الجمهورية الجزائرية الديمق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ وعلم الآثار

الإسهام العلمي للبربر في الأندلس على عهد الموحدين

من منتصف القرن السادس إلى مطلع السابع الهجريين

(ق 12- 13 م)

مذكـــرة لنيل شهادة الماجســـتير في التـــاريخ الإســـلامي

إعداد الطالب:

الحبيب حاكمي

إشـــراف:

أ. الدكتور عبد القادر بوباية

أعضاء لجنة المناقشة:

الجيلالي سلطاني	أستاذ	جامعة وهران	رئيســـاً.
عبد القادر بوباية	أستاذ	جامعة وهران	مشرفــاً.
محمد بن معمر	أستاذ	جامعة وهران	عضواً مناقشاً.
عبيـــد داود	أستاذ محاضر	جامعة معسكر	عضواً مناقشاً.

السنة الجامعية:

1430-1431هـ/2009-2010م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــــــداء

إلى روح والدتي رحمها الله

وإلى والدي و أفراد أسرتي حفظهم الله

وإلى جميع أساتذتي الأفاضل .

كلمة شكر وتقدير

بعد حمد الله تعالى وشكره على نعمه، أتقدم بجزيل الشكر والإمتنان إلى الأستاذ المشرف الدكتور عبد القادر بوباية الذي أمدنا من جهده ووقته وعلمه الكثير، وأفادنا بآرائه وتوجيهاته المتواصلة، فمن شيمه أن فتح لنا بيته ومكتبته التي كانت سندا لجميع طلبته، وهذا لما حوته من أعلاق نفيسة، فله منا جزاء الشكر والتقدير، ومني خالص الشكر إلى الدكتورة فاطمة بلهواري على دعمها وتشجيعها، وعلى ما أفادتني به من كتب ورسائل مخطوطة.

وأدين بالفضل كذلك إلى كل الأساتذة الذين أسهموا في تأطيرنا خلال الفترة النظرية بقسم التاريخ، الدكتور غازي جاسم، والأستاذ الدكتور محمد بن معمر والدكتور عبيد داود، والأستاذة سعاد عيساوي، وإلى الأستاذ الدكتور محمد المغراوي من جامعة محمد الخامس بالرباط على إرشاداته ونصائحه، والدكتور عبد الواحد أكمير مدير مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات بالرباط على نصائحه المفيدة ومناقشته القيمة لخطة البحث.

كما أشكر كلا من الطالبين محمد الحنفي ويدر بربوش بشعبة التاريخ قسم الدراسات العليا بجامعة محمد الخامس بالرباط على كرم الضيافة وحسن تواصلهما خدمة للبحث العلمي.

لا خفاء أن ما تعانيه مجتمعاتنا الإسلامية
العرقي والاجتماعي والطائفي ليس بالظاهرة الآنية ذات الأبعاد المتصلة بتطور الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، أو تلك المرتبطة بتاريخ الاحتلال الأجنبي لهذه الشعوب، ومحاولة هيمنته على الأرض والإنسان، ذلك أن جذورها ضاربة في عمق تاريخ البشرية وطبيعة نزعتها حيث تعددت صورها وتفاوتت أخطارها وتباينت من مجتمع لأخر، ولخطورتها على وحدة المجتمع وتماسكه وقف الإسلام في وجه كل أشكال التفرقة والاختلاف والتمييز، فجاءت نصوص أحكامه التشريعية مقرونة بالأوامر الموجبة للوحدة والاعتصام، والنواهي المانعة للاختلاف والتنافر حماية لبنية المجتمع وصوناً لحوزة الإسلام وشوكته، غير أن قراءة متأنية في إسطوغرافية المجتمع الإسلامي خلال مرحلته الوسيطية تكشف عن استمرار هذه الظاهرة التي طغت في أحايين على مشهده التاريخي وخفتت في أخرى بما يفسر صعوبة التوفيق الموضوعي بين الصبغة الدينية والواقع العملي لدى المسلمين، ويعتبر المجتمع الأندلسي أنموذجاً مناسباً لرصد تأثير اختلاف الأجناس العرقية والقبلية في تاريخ وحضارة الأندلس ملتقى الإثنيات والعصبيات، وقد وقع الاختيار على البربر منهم ضمن موضوع عام يشمل البحث عن دورهم السياسي والحضاري[1]، وتعتبر هذه المذكرة حلقة منه تبحث في جانب إسهامهم الفكري بمعالم زمنية ومكانية محددة سميتها" **الإسهام العلمي للبربر في الأندلس على عهد الموحدين ، من منتصف القرن السادس إلى مطلع السابع الهجريين (ق12-13م)** ".

لقد تعددت الأبحاث التي اهتمت بتتبع تاريخ البربر السياسي والاجتماعي و الثقافي في الأندلس، وركزت بعض ما وقع بين أيدينا منها على هذه الجوانب مجتمعة فيما اهتمت أخرى بجانب بعينه، غير أن ما ميزها أنها لم تتجاوز فترة القرن 5هـ/11م، ومنها رسالة الدكتوراه التي تقدم بها عبد القادر بوباية بعنوان" **البربر في الأندلس**

1- اختار عبد القادر بوباية هذا الموضوع عنوانا لطلبة الماجستير، وقد ظهر منه تحت إشرافه مذكرة بوخاري عمر، الإمارات البربرية الصغرى في جنوب الأندلس على عهد ملوك الطوائف، القرن 5هـ/11م، غير منشورة، قدمت بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2008-2009م وبالكلية ذاتها قدم زيدور حميد، البربر بين المعارضة والموالاة على عهد الإمارة الأموية بالأندلس مذكرة غير منشورة 2008-2009م، ويخلف حاج عبد القادر، الإسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي، مذكرة غير منشورة، 2008-2009م.

وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري الحادي

912 – 1031 م)" ، واهتم في بابها الأول بتاريخ استقرار البربر بالأندلس منذ زمن الفتح، وأبرز أدوارهم العسكرية والسياسية وأهم إسهاماتهم الثقافية، وتعرض في بابها الثاني إلى فتنة القرن (5هـ/11م) وموقف البربر منها متتبعاً لأسبابها وأحداثها وأبرز نتائجها[1]، والموضوع ذاته تعرض له محمد حقي في رسالة ماجستير سماها " **البربر في الأندلس دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأمــوية (92-422هـ/711-1031م)**" والتي غلبت عليها الصبغة الاجتماعية والثقافية، وتخللتها أهم المحطات السياسية البارزة في تاريخ هذه المجموعة محللاً ومناقشاً لأراء العديد من الدارسين العرب والمستشرقين وبخاصة فيما له صلة بمواطن استقرار البربر في الأندلس ودورهم في التطور السياسي والحضاري بها[2].

ولا أخفي ما لهاتين الدراستين من عون لي في توجيه طريقة بناء موضوع تتشابه فيه العديد من العناصر، في حين يبقى الفرق البارز هو اختلاف الحقبة السياسية والزمنية حيث تولى الموحدون حكم العدوتين المغربية والأندلسية في هذه الفترة، محاولاً معرفة ما قدمته هذه الفئة إسهاماً منها في تاريخ الحركة العلمية المزدهرة بالأندلس وعلى عهد حكم قبائل بربر بلاد المغرب ، وتتبع دخولهم إليها واستقرارهم بها تعزيزاً لتواجد العناصر البربرية داخل النسيج الاجتماعي الأندلسي، ومتسائلاً عن مدى تأثير الفوارق الاجتماعية والعرقية والبيئية على من استقر منهم بالأندلس، وهل حظي البربر أفراداً وحكاماً، غرباء وبلديين بالترجمة تنويهاً بإسهامهم في الحياة العلمية، نظراً لاهتمام فن التراجم بالتأريخ للعلم والعلماء ورواجه عند أهل الأندلس بما يمكن اعتباره ميزة ملفتة في تاريخهم الفكري؟ وهل سايرت كتب التراجم التفرقة بين الأندلسي وغيره أم أن تحصيل العلوم والنبوغ فيها أكبر من أن تحدده الاعتبارات العرقية والمكانية كاختلاف الموطن والنشأة؟

1- عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي (300-422هـ/912-1131م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، قدمت بقسم التاريخ، جامعة وهران2001-2002م.

2- محمد حقي، البربر في الأندلس، دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية (92-422هـ/711-1031م)، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء ط1، 2001م.

وما السبل التي اتبعها الموحدون للدفع بالحركة العـ
الأندلسية والإشراف على تسييرها؟ وما أبرز أنواع العلوم التي اشتهر بها أعلام البربر؟

وهو الجانب الذي حظي باهتمام عدة باحثين تنوعت دراساتهم حول رصد مختلف العلوم النقلية والعقلية، ومختلف أطوار الحياة التعليمية وأنماطها، ومن ذلك ما قدمه محمد المنوني في كتابه " **حضارة الموحدين**" حيث ذكر أنواع العلوم والآداب و الفنون، وأبرز دور الموحدين في تشجيع الناس على تحصيلها، ورغم تأكيده في بداية بحثه على شساعة الرقعة الجغرافية للدولة الموحدية في أقصى امتدادها [1] إلا أن قطر المغرب الأقصى نال النصيب الأوفر من الدراسة في حين لم تنل بقية المناطق بما في ذلك الأندلس إلا النزر القليل، ويكاد الأمر ذاته ينطبق على دراسة علي عبد الله علام "**الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**"[2].

وبمنهجية مخالفة لهما عرض دومينيك إرفوا دراسة سوسيولوجية ركز فيها على المنهج الإحصائي في تتبع مسيرة العطاء الفكري لعلماء الأندلس وتاريخ الحياة العلمية معتمداً على ما أوردته كتب التراجم الأندلسية بعنوان "**عالم علماء الأندلس (من القرن 5هـ/11م إلى7هـ/13م)**"، ولم يهتم كثيراً بالفوارق العرقية بالرغم من اعتماده على الشق الاجتماعي لدى علماء الأندلس، وفي عرض مقتضب تحدث عن انتقال المغاربة إلى الأندلس مقتصراً على الجوانب السياسية زمن المرابطين والموحدين[3]، وقد استفدت من الطريقة التي سلكها في تطبيق المنهج الإحصائي قصد عرض جملة من الآراء تكون أقرب إلى الموضوعية مع تأكيده أن هذا المنهج يبقى قاصرًا عن الإحاطة العلمية في استخلاص النتائج، وأبلغ ما هنالك أنه الأنسب في تقريب صورة المواضيع ذات المعطيات العددية المتكررة.

غير أن الدراسة التي تقدم بها يوسف العريني عن " **الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين** " تعد الأكثر إلماماً بالموضوع مقارنة بمن سبقه وحسب ما وقع بين

1- محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، المغرب ط1 1989 ص4.
2- عبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف القاهرة ط1 1971م ص13.
3- Dominique Urvoy : le monde des Ulémas Andalous du V/XI^{e} au VII/XIII^{e} siècle, librairie droz, Genève – 1978. P 88.

يدي البحث، ومرد ذلك إلى ثراء المواد والنصوص والمصادر المخطوطة والمطبوعة، وعدد المراجع والدراسات التي استعان بها في عرض بحثه، فأحلت القارئ عليه في عدة مواضع أسهب في بحثها، وهو النهج الذي غلب على دراسته حيث بدا مهتماً بجوانب الحياة العلمية لدى الأندلسيين[1]، ولم يول اهتماماً لغيرهم وبخاصة الداخلين إلى الأندلس ممن اصطلح أهل التراجم على تسميتهم بالغرباء، وبدا أكثر تحفظاً حيال الجوانب السياسية والمذهبية عند الموحدين، وهو ما حاول محمد المغراوي الوقوف عنده مطولاً وعرضه للنقاش في رسالته للدكتوراه مقتصراً على طبقة أهل التصوف وعلاقتهم بالموحدين بعنوان " **العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين**"[2].

ومن دواعي اختياري لهذا الموضوع:

- اهتمامي بتاريخ الغرب الإسلامي وحضارته عامة، وتعلقي بالقطر الأندلسي منه خاصة.

- محاولة إبراز جوانب الإسهام الحضاري لدى البربر في الأندلس مواصلة لسلسلة الدراسات التي تطرقت للموضوع ذاته ولكن خلال حقبة التواجد الموحدي على الأراضي الأندلسية.

- محاولة رصد أراء المؤرخين والباحثين حول وتيرة النهج التنافسي الحاصل بين العدوتين، ومدى تأثيره على أوضاع العلماء في ظل التواجد الموحدي بالأندلس.

- تتبع ذكر أعلام البربر في الأندلس من خلال كتب التراجم ومحاولة تحديد الفوارق بين البلديين منهم والغرباء ثم مقارنتها بعهودهم السابقة عن الفترة المدروسة، ولهذا الغرض حاولت الاطلاع قدر الاستطاعة على ما وقع بين يدي من مصادر ومراجع لإثراء البحث وتنويع موارده المطبوع منها والمخطوط، واقتناء العديد منها، والاستفادة من أراء من سبقني من الباحثين الذين اهتموا بالأبحاث ذات الصلة بموضوع الدراسة

1- محمد العريني، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض ط1 1995م، بداية من ص48.

2- محمد المغراوي، العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قدمت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة محمد الخامس الرباط، 2001-2002م.

أو القريبة منه، ولأجل ذلك لم أكتف بما حصلت
زيارة جامعة الجزائر العاصمة، وجامعتي منتوري والأمير عبد القادر بقسنطينة، كما زرت بعض جامعات المملكة المغربية وعددا من مراكز البحث وخزائن المخطوطات بها.

لقد فرضت طبيعة الموضوع المركبة اعتماد المنهج الإحصائي لتسهيل طريقة تحري أنساب أعلام البربر وتعقب أخبارهم وأماكن تواجدهم، ومعرفة مراتبهم العلمية ومكانتهم داخل المجتمع الأندلسي، ولسدّ فجوة قصور هذا المنهج عضدته بآخريْن تحليلي ومقارن قصد تقريب صورة إسهامهم العلمي، والربط بين مختلف النصوص المتصلة بهم والمستخلصة من مظانها، وتعتبر قلة المادة وطريقة ترتيبها من أبرز الصعوبات التي اعترضت عملية البحث وبخاصة فيما اتصل بحياة أعلام البربر الوافدين على الأندلس ومن استقر منهم فيها، الأمر الذي فرض علي محاولة تنويع المصادر قصد الظفر بما يساعد على توضيح معالم هذه الدراسة ويبرر مباحثها.

قسمت هذه المذكرة إلى ثلاثة فصول وملاحق، وقدمت لها بمقدمة ومدخل تمهيدي، أما المقدمة فبها لمحة عامة عن موضوع البحث والمنهج الذي اخترته، ثم التعريف بالمصادر الأولية التي اعتمدت عليها في عرض فصول الدراسة ومباحثها، ونقدها وإظهار مدى أهمية كل مصدر، وأما المدخل التمهيدي فحاولت من خلاله عرض موجز عن أسباب اختيار عناصر هذا الموضوع والربط بينها مستهلاً الحديث عن بداية اهتمام مؤرخي المرحلة الوسيطية بتاريخ البربر في بلاد المغرب والأندلس، وتواصله على يد الدارسين المحدثين، والغاية من ذلك رصد أهم الجوانب التي تم التطرق لها عن تاريخهم عامة، والاطلاع على إسهام نسابة البربر ومؤرخيهم في كتابته قصد تحديد بعض نقاط الاتفاق والاختلاف، وحاولت إبراز صورة البربر بالمجتمع الأندلسي في العهد الموحدي، وعرض مشكل اختلاف الأنساب واختلاطها بين البربر والعرب، وأما الفصل الأول فتابعت فيه تواصل تواجد القبائل البربرية على الأراضي الأندلسية زمن الموحدين، كما خصصته للحديث عن كتب التراجم الأندلسية ومحاولة معرفة مدى تغطيتها لتراجم القرنين السادس ومستهل السابع الهجريين، ووقفت عند شرط بعضهم ومقارنة ذلك مع عصور الأعلام المترجم بهم، وفيه اعتمدت إحصاء أعلام البربر المصرح بأنسابهم لمعرفة نسبة

مشاركتهم العلمية، وما تم استدراكه من تراجمهم ودورهم في الحياة الفكرية.

والفصل الثاني كان عن إسهام الموحدين في إنقاذ الأندلس والدفع بالحركة العلمية بها، وهذا لارتباط أهمية الاستقرار السياسي بالحياة العلمية، ولذلك افتتحته بلمحة عن الأوضاع السياسية بالأندلس في نهاية حكم المرابطين عليها ودور الموحدين في استعادة الأمن والاستقرار، وبداية عملية تعمير الأندلس بتوطين القبائل البربرية واهتمامهم بمختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية.

وخصصت الفصل الثالث للإسهام العلمي للبربر من خلال حصر الأعلام الذين عاصروا التواجد الموحدي في الأندلس حسب تقسيمهم على مستوى القبيلة البربرية الواحدة ثم على مستوى البيوتات، وأخيراً على أفراد الأعلام، وصنفت أهم العلوم التي اختص البربر بها، وأرفقت البحث عددا من الملاحق ذات الصلة بموضوع الدراسة.

وأما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

وعن مصادر البحث فقد جاءت متنوعة بين كتب التراجم والتاريخ والأدب والجغرافية، وتأتي كتب التراجم على رأس القائمة نظراً لأهميتها للباحث عن الحياة العلمية قصد تتبع سيرة العلماء ومراتبهم و أماكن تواجدهم، وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة.

أ- **كتب التراجم:**

1. كتاب الصلّة لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الأنصاري المتوفى سنة 578هـ/1183م، من شيوخ الأندلس المعترف لهم بالنبوغ في أكثر من علم، فهو المؤرخ والفقيه والحافظ المحدث، اهتم بمواصلة كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي فترجم للأندلسيين والغرباء عنهم، وبلغ فيه 1545 ترجمة، وأفادني هذا الكتاب في تتبع الأعلام الذين عاصروا الدولة الموحدية ومحاولة معرفة مدى مرافقته بالتأريخ للحياة العلمية في هذه المرحلة من عدمها، على اعتبار أنه عاصر مرحلة نهاية المرابطين وأكثر من ثلاثة عقود من تاريخ الموحدين.

2. **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** لأب... عميرة الضبي المتوفى سنة 599هـ/1202م، انتقل الضبي في رحلته العلمية بين عدة مدن مشرقية ومغربية، واطلع من خلال ذلك على جوانب من الحياة العلمية فيها، وقد صرح في مقدمة كتابه على اهتمامه بالترجمة لكل من دخل الأندلس، ولم يجعله لأهل العلم خاصة، وهو ما حفزني على محاولة تتبع ما شرطه على نفسه لمعرفة من دخل زمن الموحدين أو كان من قادتهم وولاتهم، وأخذ نظرة عن تواجد البربر في العدوة الأندلسية.

3. **أعلام مالقة** لأبي عبد الله محمد بن عسكر المتوفى سنة 636هـ/1238م، والذي أكمله أبو بكر بن خميس (كان على قيد الحياة سنة 638هـ/1240م) ، ويعتبر هذا الكتاب من أبرز المصادر التي اهتمت بالترجمة لأعلام الموحدين الداخلين إلى الأندلس على الرغم من أن صاحبه اقتصر في شرطه على من دخل مالقة، وما وصلنا منه لا تتجاوز تراجمه 174 ترجمة، ومع ذلك أفادني في توضيح صورة تواجد أعلام البربر في الأندلس ولم يفرده للعلماء فحسب وإنما انفرد بالترجمة لغيرهم من قادة الموحدين وأحفاد بني عبد المؤمن.

4. **التّكملة لكتاب الصلّة** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي المتوفى سنة 659هـ/1261م، جمع ابن الأبار بين عدة فنون فأجاد فيها، فهو المؤرخ والشاعر والأديب والكاتب، له مصنفات عديدة تنم عما وصفه به، ويعتبر كتابه التكملة من المصادر الأولية في التأريخ لسيرة علماء الأندلس والحياة العلمية بها، أكمل به كتاب الصلة لابن بشكوال، وأفادني هذا الكتاب في المقارنة بين تراجمه وتراجم من سبقه على اعتبار أنه كان مقرباً من أحفاد الموحدين وأحد الكتاب في بلاطهم.

5. **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلّة** لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي المتوفى سنة 703هـ/1303م، نوّع ابن عبد الملك من مصادره فوصلنا كتابه حافلا بالمصنفات التي حازها أو اطلع عليها، وتكمن أهميته – رغم بعده عن فترة الدراسة – في استدراكه على من سبقه في الترجمة لعلماء الأندلس خلال القرن السادس ومستهل السابع الهجريين وتعقبه بالنقد للأندلسيين منهم أو من سار على نهجهم، ودفاعه عن

المغاربة ومعرفته بسيرة حياتهم، بالإضافة إلى أن الحياة العلمية في الأندلس على عهد الموحدين.

ب- **كتب التاريخ:**

1. **المُعْجِب في تلخيص أخبار المغرب** لأبي محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي المتوفى سنة 647هـ/1249م، عاش عبد الواحد فترة نهاية تواجد الموحدين على الأراضي الأندلسية، وبحكم قربه من بلاط الموحدين حرص على تدوين ما كان يشاهده من أحداث،أو يسأل عنه من يثق به، وفي كتابه أخبار عن بعض أعلام القبائل البربرية، ووصف أحوال الأندلس السياسية والثقافية على عهد الموحدين.

2. **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمَغرب** (قسم الموحدين) لأبي عبد الله محمد، الشهير بابن عذاري المراكشي(كان بقيد الحياة سنة 712هـ/1312م) خصص هذا الجزء من كتابه للدولة الموحدية وفيه أورد أخبار دخول الموحدين إلى الأندلس، ودورهم السياسي والعسكري والفكري، وفيه تفاصيل عن أماكن استقرار جيوش القبائل البربرية، وقد أفادني في ذكر ما قام به الموحدون عند إعادتهم للأمن والاستقرار في الأندلس وإسهام قادتهم في تاريخها الحضاري.

3. **مفاخر البربر** لأبي علي صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي[1] (كان بقيد الحياة سنة712هـ/1312م)، يتناول هذا الكتاب أنساب البربر وتاريخهم ودورهم السياسي والحضاري في بلاد المغرب والأندلس، ويفهم من عنوانه ومقدمة صاحبه أن غرضه من تأليفه هو الذود عن البربر وما لحقهم من أوصاف تحط من جنسهم وتاريخهم عند الكثير من الناس، وقد أفادني في تحري أنساب أعلام البربر في الأندلس ورصد مراتبهم العلمية ومكانتهم داخل المجتمع الأندلسي خلال القرنيين السادس ومستهل السابع الهجريين.

4. **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين** لأبي مروان عبد الملك بن صاحب الصلاة المتوفى سنة 594هـ/1198م، دوّن ابن صاحب

1- توصل عبد القادر بوباية إلى تحديد اسم هذا المؤلف بعد ما بقي ردحاً من الزمن مجهولاً لدى الباحثين، وقد ذكر في مقدمة الطبعة الجديدة جملة من المعلومات التي استند إليها في ذلك، ابن عبد الحليم، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط ط2 2008م بداية من ص33 .

الصلاة الكثير من الأحداث التي عاشها بحكم قربه م الرواية الشفوية في رواية الأخبار التي لم يشهدها بنفسه أو بسبب بعده عنها، والكتاب لم يصل إلينا كاملا والموجود بين أيدينا ما هو إلا قطعة منه أرخ فيها للحوادث الواقعة بين سنتي 544 و568هـ، وأهميته تكمن في وصفه للأحداث التي أعقبت دخول الموحدين إلى الأندلس، وأبرز المنجزات الحضارية لخلفائهم، كما انفرد بذكر عدد من أعلام البربر خلال هذه الفترة.

5. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر[1] لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المتوفى سنة 808هـ/1406م، وابن خلدون من أبرز المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ الغرب الإسلامي، ولأنه من أهل هذا الصُقع فقد أفاد بما جمعه من روايات وأخبار ومعرفته بجغرافية المنطقة، ولذلك خصص الجزء السادس من كتابه للتأريخ لبلاد المغرب والأندلس، وقد أفادني هذا الجزء في تتبع أنساب القبائل البربرية والتعريف بها وبمواطن تواجدها، كما استفدت من المعلومات التي قدمها عن الحياة العلمية وما يتعلق بها في مقدمته.

6. المُغرب في حلى المَغرب لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي المتوفى سنة 685هـ/1286م، هذا الكتاب تعاقب على تأليفه ستة من عائلة ابن سعيد، وعلى مدار مائة وخمسة عشر عاماً، وهو يقوم على ترتيب مواده على البلاد وما فيها من خصائص جغرافية وسياسية، ثم يعرف بطبقات كل بلد بداية بالأمراء والعلماء والشعراء ثم من ليس له نظم ولا يحسن إغفاله، والكتاب يحتوي على معلومات تاريخية مهمة عن دولة الموحدين، وبه تراجم لكثير من الشخصيات البربرية.

1- اختلف في ضبط عنوان هذا الكتاب كما لم يسلم محتواه من عدة أخطاء نظرا لاختلاف نسخه وتعددها، والنسخة المعتمدة هي التي حققها وضبطها سهيل زكار وخليل شحاتة.

د. الكتب الجغرافية:

1. **نُزهة المشتاق في اختراق الأفاق** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف الإدريسي المتوفى سنة 560هـ/1066م، عاش الإدريسي فترة نهاية تواجد المرابطين على الأراضي الأندلسية، وقد استفدت من وصفه لأوضاع الأندلس التي زارها في هذه الفترة، كما عرف بأماكن استقرار القبائل البربرية، وأعطى صورة عن أحوال المدن والقرى، وأفادني في التعريف بالكثير منها.

2. **أنس المُهج وروض الفرج**، وفيه سجل الإدريسي أسماء المدن والقرى في شمال إفريقيا، وقد أفادني ذلك في تتبع المناطق التي حملت أسماء القبائل البربرية ومقارنتها بتلك المذكورة في العدوة الأندلسية.

3. **الروض المعطار في خبر الأقطار** لمحمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري أفادني هذا الكتاب في وصف أحوال المدن الأندلسية زمن تواجد الموحدين بها، وسرد بعض الأخبار عنها، كما اعتمدت عليه في التعريف بعدد منها.

هذه جملة من المصادر الأولية التي اقتصرت على ذكر بعض منها، ذلك لأنني استعنت بغيرها في هذا البحث إضافة إلى مختلف المراجع والمقالات التي أدرجت ذكرها ضمن قائمة المصادر والمراجع.

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت في الإلمام بأهم مباحث هذه المذكرة وما اخترته لها من مصادر ومراجع، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

ليس خفياً أن دراسة تاريخ الأجناس البشرية تتبعاً لما له صلة بجذور أعراقهم وأنسابهم ومواطنهم وهجراتهم، ثم بقية تفاصيل حياتهم اليومية كاللغة واللباس والأكل والعادات والسلوك وأنماط المعيشة، وطبيعة علاقاتهم داخل الأسرة وخارجها، وكل ما من شانه أن يسهم في إبراز جانب من أطوار تاريخ حياتهم الخاصة والعامة، وهذا النوع من الدراسات تلتزم به في العادة مناهج الأبحاث ذات الطابع الاجتماعي البحت، في حين يستند الباحثون في الجوانب السياسية والتاريخية والاقتصادية والدينية والثقافية لدى أفراد هذه الجماعات إلى ما يمكنهم من بلورة أطروحات تتناسب والتوجه الخاص لمواضيعهم.

وفي موضوع الدراسة يمثل عنصر القبائل البربرية محور هذه الجماعة، غير أن طبيعته التاريخية والثقافية المركبة تجعلنا لا نلق ببالغ اهتمام لبقية الجوانب الأخرى، وهو ما يستدعي توضيحاً يتوافق وهذا الترتيب المحصور بين ما هو حضاري في جانبه العلمي، وجغرافي ممثل بالعدوة الأندلسية، وزمني محدد بالعهد الموحدي، مع تقديم تفسير عن سبب ذكر البربر تحديداً دونا عن غيرهم، وآخر يبرر تعيين إسهامهم الفكري– علما أن هذا المسعى يشترك فيه الجميع بغض النظر عن معرفة أنسابهم–، ولماذا إفراد الأندلس جغرافيا في الوقت الذي شكلت فيه بلاد المغرب مهداً لانطلاقهم، وتوحيد العدوتين تحت راية الموحدين يصعب سياسيا وإداريا وحضاريا الفصل بينهما – على الأقل– في هذه المرحلة بالذات؟ ثم كيف السبيل للحديث عن بني عبد المؤمن ضمن القبائل البربرية بالرغم من إصرارهم على الانتساب إلى الأرومة العربية؟

لماذا عن أعلام البربر و في الأندلس تحديدا؟

يعود سبب تحديد البربر موضوعاً للدراسة إلى محاولة كشف المزيد عن تاريخ شعوبهم والإطلاع على مختلف إسهاماتهم الحضارية وبخاصة خلال الحقبة الإسلامية، رغبة في تعقب حقيقة أثبتها مؤرخو المرحلة الوسيطية ثم أكد عليها الباحثون المحدثون؛ وهي جمهرة التعداد البشري للقبائل البربرية وانتشارها داخل بلاد المغرب وخارجها على مدار القرون التي أعقبت الفتح الإسلامي لبلادهم، وقد حاز قصب السبق في الإشارة إلى

ذلك أهل المشرق على غرار ما كتبه اليعقو
(ت310هـ/922م)[2]، ومن تلاهما من المؤرخين والإخباريين ضمن ما عرف بكتب التاريخ العام.

ومع ظهور حركة التدوين التاريخي بالغرب الإسلامي وانتشارها بدا الحديث عنهم أكثر تخصصاً، فظهرت مؤلفات لمغاربة وأندلسيين تعقبوا تاريخهم وأنسابهم، واشتهر ابن خلدون (ت808هـ/1405م) بتدوينه لاسم" البربر" ضمن عنوان تاريخه مناصفة للعرب والعجم، وخصص الكتاب الثالث منه لرصد مختلف المصادر والروايات التي تحدثت عن أصل تسميتهم وجذور أنسابهم ومواطنهم وما يتصل بأخبار دولهم[3] منظراً ومناقشاً في عرض لا يخلو من إضافات وأراء بحكم مغربيته واطلاعه عن قرب على أحوال القبائل البربرية إلى الزمن الذي عاش فيه، على أن ابن خلدون وإن حاز فضل الشهرة في ذلك فإن هناك من سبقه بذكر أنسابهم ومواطن استقرارهم وأبرز أعلامهم كالذي فعله ابن حزم (ت456هـ/1063م) عندما خصص قسماً من جمهرته لذكر أشهر بيوتاتهم في الأندلس[4]، كما بادر أعلام البربر بالتأريخ لبني جلدتهم حفظاً لأنساب قبائلهم ونصرة لفضائلهم ومفاخرهم، منها " كتاب أنساب البربر" لأبي عبد الله محمد بن أبي المجد المغيلي، وتواريخ البربر لسليمان بن إسحاق المطماطي، وهانئ بن يصدور الكومي وكهلان بن أبي لؤي الأوربي[5] ومصنف" المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب" لأبي بكر بن علي الصنهاجي الشهير بالبيدق، و" النبذ المحتاجة في أخبار ملوك صنهاجة " لأبي الحسن علي بن حماده الصنهاجي(ت628هـ/1230م)، و" مفاخر البربر " لأبي علي

1- اليعقوبي، كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1 1988م ص.68.
2- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مراجعة صادق جميل العطار، دار الفكر دمشق ط1، 1998م.
3- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط ومراجعة خليل شحاتة وسهيل زكار، دار الفكر بيروت 2001 م ج3 بداية من ص.18.
4- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة 1962م بداية من ص 499.
5- ذكر عبد الله كنون أن هذه التواريخ وقف عليها أبو القاسم الزياني في تلمسان أوائل القرن 19، مقدمة تحقيقه لكتاب مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء لأبي فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي، منشورات كلية الآدب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط ط1 1964م ص 21.

صالح بن عبد الحليم الإيلاني(من أهل القرن8هـ/
ونسابتهم الذين شكلوا مورداً مهما لأصحاب هذه المصنفات.

شهد المجتمع الأندلسي عبر حقبه الإسلامية المتتالية مزيجاً مختلفاً من الأعراق والعصبيات التي تعايشت فيما بينها على اختلاف مشاربها وعاداتها من عرب وبربر ومولدين[1] وصقالبة[2] وأقليات من أهل الذمة داخل محيط تحكمه الفوارق الطبقية والامتيازات الاجتماعية. وبعيدا عما كان يسود هذا المجتمع من تضامن وتعايش تجمعهم فيه وحدة انتمائهم للقطر الأندلسي كقاسم مشترك بينهم، تطلعنا النصوص التاريخية والأدبية على صورة التدافع الحضاري الدائر بين هذه الفئات تحت شعار روح المنافسة أحياناً والمنافرة والتباغض أحياناً أخرى، على أن ما بلغنا من هذه النصوص وما ورد حول تراجم أهل الأندلس لا يفيد في الإحاطة بجميع عناصر المجتمع الأندلسي، حيث تظهر الغلبة للعنصر العربي وبدرجة أقل البربري، أما بقية العناصر فلا تكاد تظهر إلا ما ورد عرضاً ضمن نطاق السرد التاريخي للأحداث، وأن ثمة أكثر من دليل يشير إلى دور الأمويين في تشجيع النهج العروبي لدولتهم[3]، والذي انعكست تأثيراته على عدد من أعلام مرحلة ما بعد العهد الأموي، وليس أدل على ذلك من تعمد ابن بسام الشنتريني (ت542هـ/1147م) في ذخيرته إغفال الإسهام الأدبي للصقالبة عند تأريخه للحركة الأدبية خلال القرن5هـ/11م رغم اعترافه بأن منهم من " أخذ من الأدب بأوفر نصيب"[4]، ووقوفه على كتاب به " جملة من أشعارهم ونوادر أخبارهم "[5]، و بعيدا عن ذكر تأثير

1- المولدون: ظهر هذا الجيل نتيجة مصاهرة المسلمين للإسبان إثر فتح الأندلس، حيث امتزجت دماء العرب والبربر الفاتحين بدماء أهل البلاد، فأطلق على أبنائهم اسم المولدين. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، مؤسسة شباب الجامعة، مصر 2001م، ص128.

2- الصقالبة: هم رقيق أو عبيد من سبي الشعوب السلافية الذين بيعوا إلى عرب الأندلس ،وجاء أغلب هؤلاء العبيد أطفالا إلى قرطبة، وتلقى الذكور منهم تربية عسكرية إسلامية، واستخدموا في أعمال القصر، وصار منهم القواد والوزراء وكبار الدولة. أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت 1971م ص256.

3- ينظر ما كتبه محمد سعيد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس، منشورات دار أسامة، بغداد 1984م ، بداية من ص18.

4- ابن بسام، الذخيرة في محاسن آهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 1998م، ج4 ص21.

5- ابن بسام، نفس المصدر و الجزء والصفحة.

الاختلافات السياسية والاجتماعية القائمة بين هذه الف

والإبقاء على موضوع التدافع الحضاري وتأثيراته على الناحيه العلميه من خلال سرد بعض شواهده، وسبر غور مدلولاته بما يتناسب وموضوع الدراسة، مفتتحين هذا التقديم بمدلولات كلمة البربر وتأثير استعمالاتها.

كلمة " البربر" بين مدلولها اللفظي وتأثير استعمالاتها:

تقرر عند اللغويين أن الألف واللام إذا أضيفت للجنس فإنها تفيد عموم أفراده، ولذلك اصطلحوا على تسميتها بـــ "أل" الاستغراقية لأنها تستغرق نوع الجنس برمته ولا فرق بينها وبين ما يقع نكرة من حيث المعنى والاستعمال اللفظي [2] إلا ما استثني بأداة أو قرينة دالة عليه، أو أشير إلى البعض منه دون البعض الأخر كدخول "من" التبعيضية، وتكمن خطورة توظيف لفظ " البربر" في مختلف النصوص المنظوم منها والمنثور إذا اقترن بالإساءة إلى جنس البربر تجريحاً وهجاءً واتهاماً. ولنا فيما ساقه مؤرخ الأندلس أبومروان بن حيان [3] (ت469هــ/1076م) من أوصاف للبربر في خضم تأريخه أحداث فتنة القرن 5هــ/11م، وطريقة توظيفه لهذا اللفظ ما يغني عن ذكر من سبقه [4]، وتشير عدة شواهد إلى احتراز من كان بربري النسب من إيراد هذا اللفظ المقترن بالإساءة لاستغراق الوصف جميع جنس البربر بمن فيهم هو نفسه، عكس من لا ينتمي إلى قبيلهم، وللوقوف على ما يقرب صورة هذا الطرح وقع الاختيار على شاعرين أندلسيين أحدهما عربي النسب والأخر منتماه في البربر، وكلاهما عاشا فترة احتدام الصراع العربي البربري زمن ملوك الطوائف وعملا تحت سلطة عربية مناهضة للبربر، أما الأول منهما

1- حسين مؤنس، فجر الأندلس، دار المناهل والعصر الحديث، بيروت، ط1 2002م ص206.
2- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، دار الكتاب العربي بيروت،2009م ص91-117.
3- هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن وهب بن حيان مولى عبد الرحمن بن معاوية، من أهل قرطبة وصاحب تاريخها، يكنى أبا مروان، توفي سنة 469هـــ/1076م. ابن بشكوال، الصّلة في تاريخ علماء الأندلس، اعتنى به ووضع فهارسه، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا بيروت ط1 2003م ، ص138.
4- يمكن تتبع هذه الأوصاف من خلال ما نقله ابن بسام، المصدر السابق، ج1 بداية من ص31.

فهو أبو بكر بن عمار القضاعي[1](ت479هـ/086
عندما نسب اليهودية إلى البربر في قصيدة مدح بها المعتضد بن عباد[2] عند انتصار جيشه عليهم في إحدى المعارك ، منها : [الطويل]

لَكَ اللهُ إنْ كَانَتْ عُرَاتُكَ بَعْضَهَا لِبَعْضٍ فَكِلْ مِنْهُم جَميعاً إِلَى فَرْدِ

يَهُوداً وكَانَتْ بَربَراً فَانْتَضَ الظّبيُ وَأنْبَتَهُم مِنْهَا بأَلسِنَةٍ لُدِ

وفي أخرى: [الكامل]

شَقِيَتْ بسَيْفِكَ أمَّةٌ لَمْ تَعْتَقِدْ إلاّ اليَهُودَ وإنْ تَسَمَّتْ بَربَرا[3]

وأما الثاني منهما فهو ابن درّاج القسّطلي الصنهاجي[4] (ت421هـ/1030م)، الذي نوع في مدح أمراء وملوك عصره، غير أن شطرا كبيرا من ديوانه كان في مدح صاحب سرقسطة[5] وابنه، وكانا من ألد خصوم البربر، ومع ذلك لا نجده يقحم لفظ" البربر" في هجائه وإنما يكتفي في تعيين الأسماء، وابن درّاج صاحب شعر تكسبي يمدح من يدفع له أكثر، إلا أن ثمة حدا فاصلا وقف عنده في انتمائه إلى البربر وهو عدم هجوه لصنهاجة،

1- هو محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهري نسبة إلى قبيلة مهرة بن حيدان القضاعية، ولد سنة 422هـ/1030م من أرباض مدينة شِلب، والتي نشأ وتعلم بها ثم انتقل إلى قرطبة لإتمام تعليمه ومنها قصد إشبيلية والتحق بشعراء الدولة العبادية، توفي ابن عمار مقتولا على يد المعتمد سنة 479هـ/1086م، ينظر عن ترجمته ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف القاهرة ط2 1985م ج2 ص 131، وابن بسام، المصدر السابق، ج2 ص221، ومقدمة محقق شعره مصطفى الغديري، شعر محمد بن عمار الأندلسي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول بوجدة ، المغرب ط1 2001 م، ص8-12.

2- هو المعتضد بالله عباد بن القاضي أبي القاسم محمد بن عباد اللخمي، صاحب إشبيلية، كانت ولايته بعد وفاة أبيه سنة433هـ/1041م فعمل على توسيع مملكته، ولأجلها دخل في حروب طويلة مع البربر، توفي سنة 461هـ/1068م. ابن بسام، المصدر نفسه، ج2 ص10-11.

3- ابن عمار الأندلسي، المصدر السابق، ص 53 و62.

4- هو أحمد بن محمد بن دراج القسطلي، أصله من صنهاجة وينسب إلى قسطلّة دراج، يكنى أبا عمر، ولد سنة 347هـ/958م، وهو معدود في جملة العلماء والمقدمين من الشعراء وأهل الأندلس لأجل ذلك يشبهونه بالمتنبي، توفي سنة 421 هـ/1030م. ابن بشكوال، المصدر السابق، ص48، وابن حزم، المصدر السابق، ص501 -502.

5- سرقسطة: مدينة بشمال الأندلس، وهي قاعدة من قواعدها، كبيرة القطر آهلة ممتدة الأطناب واسعة الشوارع والرحاب حسنة الديار والمساكن متصلة الجنات والبساتين، وهي على ضفة النهر الكبير المسمى إبره. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1994م ج2 ص554.

وأن يشمل البربر في كلمة واحدة تستغرقهم جميعا نفسه، وهنا تكمن عصبيته[1].

وفي موضع أخر نجد أحد شعراء ملوك الطوائف[2] يقسو في هجائه على البربر فيجردهم من أصلهم البشري ليرضي المعتصم بن صمادح[3] (ت484هـ/1091م) صاحب المرية[4] بقوله: [البسيط]

رَأيْتُ آدَمَ فِي نَوْمِي فَقُلْتُ لَهُ ... أبَا البَرِيَةِ إنَّ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا

أنَّ البَرَابِرةَ نَسْلُ مِنْكَ، قَالَ إذَنْ ... حَوَّاءُ طَالِقَةُ إنْ كَانَ مَا زَعَمُوا[5]

وأنه كان يقصد بذلك عبد الله بن بلقين الصنهاجي[6] (ت483هـ/1090م) صاحب غرناطة، إلا أن المعتصم طالبه بشعر في شخص ابن بلقين لشمول المعنى الأول كل من انتمى للبربر بقوله: "وما قلت فيه خاصة مضافاً إلى ما قلته في عامة قومه؟"[7]، فأرضاه بهجاء خاص فيه، علق عليه المعتصم: " لقد أحسنت في الإساءة إليه "[8] وفي فترة احتدام

1- حاول محمود علي مكي محقق ديوان ابن درّاج تجريده من أصله وانتمائه البربري بزعم أنه لم يشعر قط بعصبيته لنسبه الصنهاجي بسبب نيله من زيري بن عطية المغراوي أيام صراعه مع المنصور بن أبي عامر، ومدح أولئك الملوك الذين ناصبوا البربر العداء، فلم تظهر أي سمة لبربريته.ولم يأخذ المحقق بمدلولات اللفظ بالأندلس في تلك الفترة بالإضافة إلى أنه تغافل عن قصيدته في مدح قبيلة صنهاجة وأعلامها، ينظر ديوان ابن درّاج القسطّلي، تحقيق محمود علي مكي، المكتب الإسلامي دمشق ط2 1964م، ص25-28، وقصيدة ابن درّاج ص 263.

2- هو الشاعر خلف بن فرج السميسر.

3- هو محمد بن معن بن محمد بن صمادح، أبو يحيى التجيبي، صاحب المرية، ولي بعد وفاة أبيه سنة 443هـ/1051م، وسمى نفسه المعتصم بالله، كان عالما بالأدب والأخبار، شاعرا مقربا للأدباء توفي 484هـ/1091م، ابن الأبار، المصدر السابق، ج2 ص78. وخير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ط6، 1984م ج7 ص106.

4- المرية: مدينة بشرق الأندلس محدثة أمر ببنائها عبد الرحمن الناصر سنة 344هـ/955م، والمرية في ذاتها جبلان بينهما خندق معمور، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة،وفي الثاني ربضها، ولها عدة أبواب الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2 1984م ص537-538.

5- المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت طبعة 2004م، ج3 ص412.

6- هو عبد الله بن بلكين - ويكتب بلقين - بن باديس بن حبوس الصنهاجي آخر ملوك غرناطة زمن ملوك الطوائف بالأندلس، تولى الإمارة بعد وفاة جده باديس سنة 465هـ/1072م، إلى أن وقع في أسر يوسف بن تاشفين الذي أخذه معه إلى عدوة المغرب، وهناك توفي سنة 483هـ/1090م، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، شرح وضبط وتقديم يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 2003، ج3 ص380.

7- المقري، المصدر السابق، ج3 ص421.

8- نفسه، ص421.

الصراع بين المرابطين والموحدين نجد الشاعر

1164م) يقتبس البيتين نفسهما لهجاء المرابطين، ولكنه يغير لفظ "البرابر" بالزّراجين[2] و" النسل" بالرهط، حتى لا يستغرق اللفظ جميع نسل البربر بمن فيهم الموحدون بقوله:

[البسيط]

إنَّ الزَّرَاجِيْنَ رَهْطُ مِنْكَ قَالَ إذاً   حَوَّاءُ طَالِقَةٌ إنْ كَانَ مَا زَعَمُوا[3]

وقد انعكست خطورة هذا الأمر على ثلة من الكتاب والمؤرخين والأدباء البربر أو من انضوى تحت حكمهم بما أدل على مدى تأثير المنافرة بين البربر وغيرهم داخل المجتمع الأندلسي خاصة، وبين العدوتين المغربية والأندلسية عامة، وامتداد صداه إلى فترة تواجد الموحدين على الأراضي الأندلسية، حيث يطلعنا أبو القاسم بن المواعيني الإشبيلي[4] (ت564هــ/1168م) أحد كتاب الدولة الموحدية فيما اقتضبه من تاريخ الأندلس الأندلس على تسمية فتنة القرن5هــ/11م "بالفتنة العامرية"[5] في مخالفة صريحة لوصف ابن حيان لها بالبربرية بالرغم من اطلاعه على ما كتب، وفي هذا العصر نكّب يعقوب المنصور

1- هو يحيى بن عبد الجليل بن سهل اليكي، أديب وشاعر أندلسي، توفي نحو سنة 560هــ/1164م، واشتهر بالهجاء الخبيث. الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ضبط وتقديم صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية صيدا بيروت ط1 2005 م ص467، وخير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8 ص152.

2- الزّراجين: يرى ابن القطان أنها صفة أطلقها ابن تومرت على المرابطين، حيث شبههم بطائر أسود البطن أبيض الريش يقال له " الزّرجان " لأنهم بيض الثياب سود القلوب، ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1990م، ص132.

3- أبو بحر صفوان بن إدريس، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، أعده وعلق عليه عبد القادر حداد، دار الرائد العربي بيروت 1980م ص120.

4- هو محمد بن إبراهيم بن خيرة الإشبيلي أبو القاسم بن المواعيني، كان كاتبا بليغا شاعرا مجيدا استكتبه أبو حفص بن عبد المؤمن، له تصانيف تاريخية وأدبية منها " ريحان الآداب وريعان الشباب" و" الوشاح المفصل " وغيرها، توفي بمراكش سنة 564هــ/1168م. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت ط1 1973م ، ج6 ص 91.

5- وقد انفرد ابن المواعيني بتفاصيل رواية قتل عبد الرحمن بن أبي عامر لأخيه عبد الملك المظفر بعدما وضع له السم في تفاحة، ريحان الآداب وريعان الشباب، مخطوط رقم 1406 و2647 ، الخزانة الحسنية الرباط، الورقة رقم 139، وتوجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية في الجزائر رقم 5074 م ج، ولم أقف على النسخة التي حققها مصطفى الحيا كرسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بجامعة محمد الخامس بالرباط سنة 1989 م.

الموحدي [1] (580-595هـ/1184-1198م) القاض

/1198م) ، لما بلغه من وصفه له بملك البربر، وهو يصف حيوان الزرافة ورؤيته لها عنده في كتابه " الحيوان " فلم يشفع له اعتذاره بأن الأمر مجرد تصحيف وأن أصلها "ملك البرين"[3]، وهذا التبرير لا يحجب مدى الكره والبغض الذي كان يكنه ابن رشد للبربر والغرباء عن الأندلس، ففي معرض تلخيصه لكتاب الخطابة للفيلسوف اليوناني أرسطو قام بتفصيل شرح العداوة بين بني البشر ومثل لها بقوله: " والبغضة والعداوة فقد تكون وإن لم يفعل المبغضُ بالمبغضِ له شيئاً، فإنا نبغض ذوي النقائص وإن لم يجنو علينا شيئاً، وبالجملة إذا ظننا بالمرء ما يستحق البغضة فنحن نبغضه أبدا "[4]، ثم مثل لقوله : " وأما البغضة والعداوة فإنها تكون للجنس فإنا نبغض البربر ويبغضوننا"، وتراه يفرق بين الغضب والبغضة، فالأول عنده " إنما هو تشوق إلى شر محدود أن ينزل بالمغضوب عليه" [5]، وأما الثانية " فإنها تشوق إلى أن ينزل بالمبغض شر غير محدود "[6]. ولأنها – البغضة والعداوة- بين الأندلسيين والبربر ذات جذور تاريخية حتى قبل عصر ابن رشد فقد ألمح إلى استمراريتها عبر التاريخ " ما لم يفعل المعادى بالمعادي ما يوجب مودته "[7]، وفي شرحه لمعاني الجور والظلم يقحم صنف الغرباء من الناس بقوله: "وهنا صنف من الناس يجار عليهم وينالون بالضر والانتقام، لا لمنفعة، لكن لمكان الإستلذاذ بذلك، وهؤلاء هم الغرباء، إما في المدينة وإما في الجنس وإما في الشيم، وإما في اللسان وإما

1- هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي، يكنى أبا يوسف، ويلقب بالمنصور بفضل الله، بويع بعد وفاة أبيه سنة 580هـ/1184م، وفي عهده عرفت بلاد المغرب والأندلس أوج ازدهارها الحضاري، توفي سنة 595هـ/1198م. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية الرباط، ط2 1999م، ص 283-284.

2- هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن رشد القرطبي، يكنى أبا الوليد الحفيد القاضي، كان متقدما في علوم الفلسفة والطب وله في ذلك عدة مؤلفات، توفي سنة 595هـ/1198م، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6 ص21.

3- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ضبط وتصحيح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت ط1 1998م ص 488- 489، وروى الغبريني أن أحد الفقهاء هو الذي أنقذ ابن رشد فأشار عليه بهذه الحيلة، الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق محمد بن أبي شنب، دار البصائر الجزائر ط1 2007م ، ص 96.

4- ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1967م، ص 311

5- نفسه ، ص 311.

6- نفسه، ص 312.

7- نفسه، ص 313.

في الملة (...) وإنما يستلذ الجور على الغرباء لأنه... عند أهل تلك المدينة أو عند ذلك الجنس"[1].

وقد جسدت الذاكرة الجماعية مظاهر هذا الاستخفاف بالبربر في المجتمع الأندلسي فيما تناقلته ألسنة العامة من أوصاف للإنسان البربري غطت جوانب عديدة من حياته الخاصة على سبيل الإساءة والتهكم والازدراء، وسارت أمثالا تناقلتها الأجيال، منها ما ظهر خلال القرن 6هـ/12م كقولهم : " البربري والفَار لا تعلمُ باب الدار" [2]، و" كلامكم يا لبرابر قلوه وعَوَدُوه "[3] ، وفيما له صلة بالحياة التعليمية أورد ابن سعيد حكاية التلميذ البربري مع أستاذه، وفيها ينال من صفاته الخَلقية، إذ كان جعد الشعر قبيح الوجه وقد وقف طويلا وهو يقرأ عليه قوله تعالى" قل إن كان للرحمن ولد فأنا ..."[4] فقال أستاذه: " ولأي شيء بالله؟ لحسن وجهك وطيب شعرك! "[5]، ولعل ما يثبت انسياق فئة من أعلام البربر خلف فكرة بعد البربر عن مجاراة غيرهم في ميدان العلم والمعرفة ما ورد في رسالتين مختلفتين، الأولى كانت جوابا على وصف الأديب والكاتب ابن عميرة المخزومي[6] (ت643هـ/1245م) لأحد أعلام البربر من بلاد المغرب بالنبوغ والإتقان وحسن التعبير، فكان رده بذكر نسبه وقساوة بيئته وطبعه وأنها كفيلة بحجب ما وصفه به[7]، وأما الثانية فكانت ردا على رسالة بعث بها أحدهم إلى الكاتب أبي زيد

1- ابن رشد، المصدر السابق، ص206-207.
2- الزجّالي، تاريخ الأمثال والأزجال، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الثقافة المغرب، ط1 2006م ج2 ص149.
3- الزجّالي، المصدر السابق، ج3 ص408 وينظر غيرها ج3، ص 104 و269 و423.
4- و الآية بتمامها " قل إن كان للرّحمن ولد فانا أوّل العابدين"، الآية81 من سورة الزخرف.
5- ابن سعيد الأندلسي، الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف القاهرة، ط2 (د ت) ، ص 48. وكرر ذكرها في المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل منصور ، دار الكتب العلمية بيروت ط1، 1997م، ج1 ص 197.
6- هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي، يكنى أبا المطرف، ولد بجزيرة شقر في الأندلس، تفنن في العلوم ومال إلى الآداب وبرع فيها، وتولى الكتابة في بلاط الموحدين ومنصب القضاء، ومن أجل ذلك تنقل بين العدوتين إلى أن توفي في تونس سنة658هـ/1259م، وقد خلف تراثا أدبيا زاخرا، ينظر عنه ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق ،ج1 ص150، والمقري، المصدر السابق ،ج1 ص314.
7- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج8 ص207.

الفازازي القرطبي[1] (ت627هـ/1229م)، يُستشف فاحتج متواضعاً بقلة بضاعته وانتسابه في البربر[2] .

لقد دفع هذا البغض والاحتقار للبربر أحد أعلامهم– وهو ابن عبد الحليم الإيلاني – لأن يؤلف كتابا خاصا في ذكر مناقب أعلام البربر ومفاخرهم، مستهلا مقدمته بما يفيد اطلاعه على ما أوردته النصوص التاريخية والأدبية عن حياتهم، غير أنه قلل من شأنهم لأنها صدرت حسب رأيه عن " كثير من جهلة الناس"[3] دون أن يفصح عن أسمائهم وكتبهم، عامتهم وخاصتهم، وأعطى مبررا حفزه على إفراد البربر بالذكر، وقد لزم الاختصار لكثرة أخبارهم وطولها، والظاهر أنه واحد من الأسباب التي حملت بعض الباحثين المحدثين على محاولة إفراد البربر في دراسات خاصة عرّفت بأنسابهم وتاريخهم ومواطنهم[4] كبدايات أولى فسحت المجال بعدها لمن توسع في جوانب حياتهم السياسية والاجتماعية والفكرية.

إن الانسياق خلف ما تداوله عدد من الكتاب والمؤرخين عن تاريخ البربر في الأندلس دون عرض لجميع الآراء والنصوص المتاحة بين أيدينا هو الذي أوقع سجريد هونكه في تقديم صورة سلبية عن دورهم في تاريخ وحضارة الأندلس بعدما نسبت لهم أعمال السلب والنهب والتخريب، في سياق إشادتها بما أسهمت به البيوت العربية في الحضارة الأندلسية كالأموية في قرطبة والعبادية في إشبيلية والنصرية في غرناطة "بينما لم يقم البربر والمسيحيون إلا بأعمال التخريب والتدمير، وبخاصة إذا كانوا لم يتأثرو

1- هو أبو زيد عبد الرحمن بن أبي زيد يخلفتن بن أحمد بن تنفليت الفازازي البربري، ولد ونشأ في قرطبة وبرع في الشعر والأدب والفقه، وهو أحد كتاب الدولة الموحدية، توفي سنة 627هـ/1229م، ابن الأبار التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار المعارف المغرب (د ت) ،ج2 ص105. وسيرد بشيء من التفصيل ذكر لجوانب من حياته العلمية هو وأسرته في فصل الإسهام العلمي للبربر.
2- ينظر نص هذه الرسالة في الملحق رقم 01 ص 139.
3- ابن عبد الحليم، المصدر السابق، ص103.
4- منها دراسة عثمان الكعاك "البربر"، وقد صدرت طبعتها الأولى سنة 1958م، وفي مقدمتها أشار إلى أن ظهور البربر في كل حقبة من تاريخ الإسلام وانتشار شعوبهم يحفز الباحثين على دراستهم. المرجع السابق ص5.والأمر ذاته أشار إليه عبد الوهاب بن منصور، "قبائل المغرب"، المطبعة الملكية، الرباط ط1 1968م، ج1ص292، و Mouloud Gaid , les Berberes dans L'Histoire En Espagne Musulmane, Editions Mimouni Alger 1996, p182.

بالثقافة العربية والعقلية العربية"[1]، وفي موضوع عرض إسهام علماء مملكة غرناطة زمن ملوك الطوائف بحجة أن حكامها: "لم يقدموا شيئا مهما للحركة العلمية والأدبية، فقد كانت هذه الأسرة تفتقر إلى رهافة الحس الأدبي والذوق الرفيع الذي كان يتمتع به غيرها من الأسر(...) هذا بالإضافة إلى ما اتصف به حكام غرناطة من بخل وتقتير، فكدّسوا الأموال والذخائر التي استولى عليها المرابطون فيما بعد"[2] متغافلة عن ذكر العلماء الذين كان الطلبة يتزاحمون على حلقاتهم العلمية في جامع غرناطة الأعظم ومختلف المساجد بالمدن التابعة للمملكة[3]، إضافة إلى دخول الشعراء على مجالس أمرائهم وعرض القصائد في مدحهم[4].

وبلغت صفة التعميم بأحد الباحثين لأن يصف عصر الموحدين بالانحطاط الأدبي والأخلاقي والاختلال الإيماني، لأجل ما وقف عليه من مجون وهزل عند تحقيق أشعار بعض الكتاب والقضاة وذوي المناصب الدينية[5].

إن الحديث عن الجانب العلمي للبربر في الأندلس على عهد الموحدين يحمل في طياته محاولة الغرض منها تسليط الضوء على فئة من المجتمع الأندلسي، ومعرفة مدى إسهامها في أهم الميادين العلمية بالفترة الزمنية التي تولت فيها قبائل المغرب أمر العدوتين المغربية والأندلسية.

1- سجريد هونكه، شمس الله تشرق على الغرب، ترجمة وتحقيق فؤاد حسنين علي، دار العالم العربي، القاهرة، ط1 2008 م ص 386.

2- سهى باعيون، إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس، عصر ملوك الطوائف (422- 479هـ/1031-1086م) ، دار المعرفة بيروت، ط1، 2008م ص 163، وأصل الكتاب رسالة دكتوراه تقدمت بها الباحثة إلى كلية الشريعة بجامعة بيروت الإسلامية سنة 2004م.

3- ينظر منهم في هذه الفترة، ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 103و 222 و241.

4- ابن عسكر وابن خميس، أعلام مالقة، تحقيق عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، دار الأمان، الرباط، ط1 1999م ص356.وينظر ما تناولته مريم قاسم الطويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر، دار الكتب العلمية بيروت ط1 1994م، ص186، وعن النهج التعليمي الذي اتبعه حكام غرناطة ينظر عبد الله بن بلقين، كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 2006م ص23.

5- ينظر مقدمة عبد القادر محداد عند تحقيقه لكتاب أبي بحر صفوان بن إدريس، المصدر السابق، ص6-7.

إشكالية اختلاط الأنساب البربرية العربية :

يعترض الباحث عن أنساب أعلام البربر مسألة لا يمكن تجاوزها أو التقليل من أهميتها، وهي الاختلاف الواقع في أنساب القبائل البربرية وتداخلها مع العربية بسبب تضارب أقوال النسابة والمؤرخين، وهو ما أدى إلى ظهور عدد من الأعلام بنسبين مختلفين أحدهما عربي والآخر بربري كأن يقال: "الصنهاجي الحميري" و"الكتامي الحميري"، عدا ما يعترض البحث من اختفاء للأنساب بسبب ظاهرة الولاء التي انتشرت بين الأسر البربرية والعربية أو الاكتفاء بالنسبة البلدية دون القبلية، على أن البربر حافظوا كغيرهم على تدوين أنسابهم وتمييزهم بذلك بين الشعوب والقبائل والعمائر والبطون والأفخاذ والفصائل كما هو الحال عند العرب، وقد بين أحد أعلام البربر سبب هذا الاختلاف المتشعب بين القبائل البربرية ووهنه في أحايين كثيرة مقارنة بالأنساب العربية في إجابة لسائله:" أن حفظ الأنساب ليس خصوصية للعرب وإن كان لهم مزيد اهتمام بها ومزيد ارتفاع الهمة، وكنت أنا قبل أن أخالط قومي أظن ذلك، ولما باحثتهم في هذا ألفيت الأمر على خلاف ما كنت أظن ووجدتهم يحفظون أنسابهم كما مر، وإذا فيهم نسابون يحققون الفصائل والشعوب على نحو ما كانت العرب تفعل في أنسابها"[1]، وأما عن مسألة الاختلاف الواقع في أنسابهم فيرى أن "الوهن وإن كان يمكن أن يداخل شيئا من ذلك فليس بعجب، فإن غيرهم أيضا ما كان يسلم من ذلك"[2] وأما من انتسب إلى البلد وضيع نسبه فيرى أن" من يكتفون بالقرى ويضيعون أنسابهم فذلك غير مختص بهم، فقد وقع أيضا للعرب حين دخلت قرى الشام والعراق ومصر والمغرب وغيرها، فلا تزال تلقى حلبيا أو حمصيا أو كوفيا أو بصريا أو قرطبيا أو باجيا، وهو تميمي أو قيسي أو أزدي وكثير منهم لا يرفع نسبه"[3].

1- الحسن اليوسي، المحاضرات في الأدب واللغة، تحقيق محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، دار الغرب الإسلامي ط2 2006م ص38.
2- الحسن اليوسي، المصدر السابق، ص39.
3- نفسه، ص39.

إن الوهن والاختلاف وتضارب أقوال النسابة
غيره، وقد أشار إلى ذلك عدد من علماء التراجم في أكثر من موضع ، ولعل ما صعب عليهم تحقيق أنسابهم وتحريرها اعتمادهم في أحايين كثيرة على مدونات الأعلام المترجم بهم، وازداد الأمر في الأندلس تعقيدا مع توسع العمران، حيث أصبحت "المدن تجمع أخلاط الناس وصار ساكنها في الغالب غريبا عن نسبه، فقد لا يكون بينه وبين جار بيته نسب ولا معرفة، فإذا نشأ نسله انتسبوا غالبا إلى البلد لا إلى قومهم من وجهتين : أحدهما أنه كثيرا ما ينقطع ما بينهم وبين قومهم فلا يعرفونهم، والثاني أن الإنسان يعجب ببلده ويتبجح به"[2].

ولما كان بنو عبد المؤمن من جملة أعلام البربر – موضوع الدراسة– والاطلاع على إسهامهم في الحياة العلمية بالأندلس مقرون بذكر نسبهم وجب التنبيه إلى مسألة الاختلاف التي اعترضت المؤرخين عند ذكر نسب عبد المؤمن بن علي (524هـ–558هـ/1129–1162م) ومن انتسب إليه من أبنائه وأحفاده، حيث تؤكد هذه الأسرة على أصولها العربية رغم اختلاف اللسان والبيئة، وقد اعتمد ابن أبي زرع على نقل نسبه – على هذا النحو– عن جماعة من المؤرخين لدولته من خط حفيده عبد الواحد[3] فكان المدون " هو عبد المؤمن بن علي بن يعلى بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الأحتم بن موسى بن عون الله بن يحيى بن ورزايغ بن صطفور بن نفور بن مطماط بن هود بن مادغيس بن بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان"[4]، واحتفاءً بهذا النسب القيسي لآل عبد المؤمن تسابق الخطباء في رسائلهم والشعراء بقصائدهم في بلاد المغرب والأندلس على الإشادة به والافتخار بانتساب الموحدين إلى

1- ينظر مثلا ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق ،ج5 ص194.
2- الحسن اليوسي، المصدر السابق، ص40.
3- هو أمير المؤمنين أبو محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي. ابن عبد الحليم، المصدر السابق، ص212، وصاحب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، المغرب ط1 1979م، ص162.
4- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص235.

الأرومة العربية[1]، وانفرد الذهبي في سيره بنص ي
نسبه في بيئة بربرية بقوله: "إنما نحن من قيس عيلان بن مضر بن نزار، ولكومية علينا حق الولادة والمنشأ فيهم وهم أخوالي"[3]، وفي المقابل اعترض عدد من النسابة والمؤرخين على هذا النسب حيث أنكر ابن حزم انتساب البربر في قيس عيلان لعدم علم النسابة بأن له ابنا اسمه "بر أصلا"[4]، وحذا حذوه ابن خلدون فنفى هذه النسبة بعدما رد على آراء النسابة وناقشها[5]، والرأي ذاته نجده عند ابن عبد البر[6]، وقد استغرب ابن خلدون من ظهور أسماء عربية في نسب عبد المؤمن وأنها ليست من أسماء البربر مع أنهم منهم وبهذا النسب عرفوا[7]، وشكك السلاوي فيه وضعفه[8].

وعلى الجملة فإن ما يمكن استخلاصه من إظهار عبد المؤمن بن علي لنسبه العربي ما يلي:

1- شرف الانتساب إلى ولد عدنان لأنهم الصريح من ولد إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) وأن محمدا رسول الله (صلى الله عليه و سلم) من عدنان[9] .

1- ينظر ذلك عند الجراوي، ديوان الجراوي ، تحقيق علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق ،ط1 1994م ص8 و197. والرصافي، ديوان الرصافي البلنسي، جمع وتقديم إحسان عباس، دار الشروق، بيروت ط2 1983م ص83 و88.وبعض الرسائل النثرية التي أوردها ابن عسكر وابن خميس ، المصدر السابق، ص56و87.

2- كومية: قبيلة من شعوب ضريسة إحدى بطون البربر البتر، ولهم ثلاث بطون وهي ندرومة وصغارة وبنو يلول، ومواطنهم بالمغرب الأوسط لسيف البحر من ناحية أرشكول وتلمسان، وهم قبيل عبد المؤمن بن علي، ابن خلدون المصدر السابق، ج6 ص165-166.

3- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت ط9 1985 م ، ج 20 ص367.

4- ابن حزم، المصدر السابق ص 43.

5- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6 ص 127 و 182.

6- ابن عبد البر: القصد والأمم، ويليه الانباه على قبائل الرواه، تحقيق محمد زينهم محمد وعائشة التوهامي ومديحة الشرقاوي، مكتبة المدبولي، القاهرة، 1998م ، ص26 .

7- ابن خلدون، نفسه، ج6 ص166.

8- السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، اعتنى به محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 2007م ص243.

9- ابن حزم، المصدر نفسه، ص6.

2- اشتراكه في نسب ابن تومرت داعية الموح
كحياته"[1].

3- في جمعه بين المنشأ البربري والنسب العربي جمع بين عصبية القبيلة وشرعية تولي أمرها.

1- ابن القطان، المصدر السابق، ص 116. وروى الذهبي أن الخطباء كانوا إذا دعوا له بعد ابن تومرت قالوا قسيمه في النسب الكريم، الذهبي، المصدر السابق، ج20 ص367.

الفصل الأول

البربر في الأندلس بين نظرية الجمهرة العددية وتجافي كتب التراجم الأندلسية

(من الربع الأخير للقرن الخامس إلى نهاية السادس الهجريين)

1-استيطان البربر في الأندلس.

2-حظ البربر من الترجمة لدى كتاب القرن (6هـ/12م):

أ- أبو القاسم خلف بن بشكوال وكتابه الصلة.

ب- ابن عميرة الضبي وكتابه البغية.

3-المستدرك من تراجم البربر وتاريخهم خلال القرن(6 و7هـ/ 12- 13م)

أولاً: الولاء للدولة الموحدية والإشادة بدعوتها المهدية:

أ- ابن عسكر وابن خميس.

ب- ابن الأبار.

ثانيًا : ظهورهما في الفترة الأخيرة من تاريخ الموحدين في الأندلس.

4- استدراك ابن عبد الملك المراكشي على تراجم الأندلسيين ومنافحته عن المغاربة:

أ- اهتمامه بالغرباء الطارئين على الأندلس وإنصافه لهم.

ب-إشادته بإسهام المغاربة ومنافستهم لأهل الأندلس.

ج- ذكره لإسهامات الموحدين العلمية في الأندلس والتأريخ لدولتهم.

د- وقوفه عند أسماء البربر تحقيقًا وضبطًا.

إن ظهور مراكش كحاضرة للعدوتين، وا
المغاربة أسهم في بروز العنصر البربري عبر واجهة الأحداث، ليس لأجل أنهم جزء من المجتمع يتتبعهم الباحث عن تاريخهم من خلال استقرائه للمصادر التاريخية وكتب التراجم والفهارس والأنساب والطبقات معتمدا على تميزهم بانتسابهم إلى قبائلهم البربرية، أو ما تم التصريح به عن نسبهم، وإنما على اعتبار أنهم الفئة المتحكمة في مصير العدوتين سياسيًا وعسكريًا.

1-استيطان البربر في الأندلس:

تطلعنا مختلف المصادر التاريخية والجغرافية وحتى الأدبية على ذلك التواجد الكبير للقبائل البربرية في مختلف أنحاء الأندلس منذ زمن الفتح (92هـ/711م)، حيث " أجازت منهم أمم و استقروا هناك "[1]، ثم توالى انتقالهم في شكل هجرات متعاقبة[2]، و يعتبر دخول البربر إلى الأندلس برسم الجهاد السِّمة الأكثر تكراراً عبر مختلف الحقب الزمنية، بداية بجواز طارق بن زياد[3]، ومرورا بعهدي المرابطين والموحدين، ثم وصولاً إلى المرينيين[4]، ودون أن نتجاوز فترة تواجد الموحدين يمكن رصد أربع مقاربات تعزز جمهرة تواجد العناصر البربرية وتؤكد استمرارية استيطانهم في الأندلس.

1- ابن خلدون، المصدر السابق،ج6 ص 155.

2- تعرض عبد القادر بوباية إلى هجرة واستقرار البربر بالأندلس منذ زمن الفتح، حيث رتبها ترتيباً زمنياً حسب مختلف الحقب التي عرفتها الأندلس إلى نهاية القرن 4هـ /10 م، المرجع السابق، ص16-105.

3- هو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهو بن ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو، و هذه أتم ترجمة تتبعت نسبه، ويؤكد الكثير من المؤرخين على نسبه البربري في قبيلة نفزة، مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية بيروت ط1، 2008م، ص153، 156. وابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت ط2 1980م ج2 ص5، والإدريسي، المصدر السابق، ج2 ص539، 540 وأورد الحميري في نسبه عدة أقوال بصيغ التضعيف،" قيل فارسي وقيل من الصدف وقيل بربري من نفزة، الحميري، المصدر السابق، ص235.

4- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6 ص 137. وابن فضل الله العمري، وصف إفريقية والأندلس، نشر حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة النهضة تونس (د ت)، ص43. و ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1 ص134.

أما الأولى فهي تعدد المناطق الجغرافية التي مواضعها بعض الباحثين المعاصرين[1]، معتمدين على مصادر لم تتعد في معظمها القرن (5هـ/11م) غير أن ما يسترعي انتباه الباحث هو استمرار هذا النمط القبلي في تسمية المناطق إلى القرن (6هـ/12م)، مع التأكيد على أن عدم ذكرها هناك لا يعني بالضرورة أنها لم تكن موجودة، بقدر ما يؤكد تنوع المصادر واستمراريتها في تغليب فكرة الكثرة العددية للبربر واستقرارهم بالأندلس، وأما المقاربة الثانية فهي تعدد الإمارات والممالك البربرية بداية من القرن (5هـ/11م) وهو ما لم يستطيع تحقيقه رغم قيامهم بعدة ثورات خلال القرون السابقة[2]، وقد شجع على ظهورها زوال الخلافة الأموية سنة (422هـ/1031م)، حيث لم يعد للانتساب القرشي العربي والبيت الأموي دور في أحقية تولي أمر المسلمين تحقيقا للولاية الشرعية فيما كان سائدا الاعتقاد به والعمل بمقتضاه[3]، فتوزع انتشار هذه الإمارات عبر الجهات الشمالية والجنوبية لشبه الجزيرة الأندلسية "ولحقت كل طائفة من البربر ببلد غلبت عليه"[4]، وكان لتفوقهم البشري دور في تماسك واستقرار العديد منها فيما عرف بعهد ملوك الطوائف.

وأما الثالثة فهي رغبة سلطة مراكش في كلتا حقبتيها المرابطية والموحدية وضع يدها على العدوة الأندلسية، وذلك بتشجيعها لقبائل بلاد المغرب بالجواز إليها والاستيطان بها، حيث نشهد بداية من الربع الأخير للقرن (5هـ/نهاية11م) استيطان القبائل البربرية[5] الداخلة إلى الأندلس خاصة مع الجيوش التي اجتازت لإنقاذها من تهديدات النصارى بقيادة

1- عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص 74-105، وعبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت ط1 2004م، ص 259-284، ومحمد حقي، المرجع السابق، ص 65-94.

2- ينظر عن تاريخ هذه الثورات وأسبابها و تداعياتها على المجتمع، محمد حقي، المرجع السابق، ص122-199.

3- ابن حزم، المصدر السابق، ص 2.

4- ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1 1981م ص 200. و ابن بلقين، المصدر السابق، ص34، و بخاري عمر، المرجع السابق، ص 47.

5- عدد ابن أبي زرع منها صنهاجة وزناتة ومصمودة وغمارة ولمتونة وعمم عن غيرهم بعبارة "وسائر قبائل البربر"، ابن أبي زرع، المصدر السابق ، ص 186.

يوسف بن تاشفين[1] (453-500هـ/1061-1106م 1090م) وسيطرتهم على المدن الأندلسية بما حوته من قصور وأموال لأمرائها وملوكها، وهذا بعد محاصرتها وانتزاعها من أيديهم[2]، في الوقت الذي لم تتعد فيه المرحلة السابقة أكثر من إعانتهم على صدّ هجمات النصارى والعودة بعدها إلى عدوة المغرب، ومن الممكن أن تكون الأماكن التي حملت أسماء قبائل بربرية اشتهرت في هذه الفترة، كالموضع الذي يعرف "بالصنهاجيين من كورة مرسية[3] "[4]، و"زناتة"[5] من نواحي أندة[6]، كما يلاحظ تعدد التسمية الواحدة لأكثر من موضع، فاسم "مكناسة"[7] أطلق على منطقتين متباعدتين في شرق الأندلس وغربها[8]، واسم "جزولة"[9] الذي أطلق على مكان في جنوب الأندلس[10] هو ذاته الذي ذكره عبد الرحمن بن مغاور الشاطبي[11] (ت587 هـ/1191م)

1- هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بن ورتانق بن منصور بن مصالة بن أمية اللمتوني الصنهاجي يكنى أبا يعقوب، وقد أوصل ابن أبي زرع نسبه إلى وائل بن حمير، تلقب بأمير المسلمين، وتوفي سنة 550هـ/1155م، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 172.

2- ابن أبي زرع، نفسه ، ص 194-197.

3- مرسية : مدينة بشرق الأندلس على نهر كبير، لها حصون وقلاع وقواعد وأقاليم معدودة، الحميري،المصدر السابق، ص539.

4- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 53 .

5- زناتة : قبيلة بربرية من البتر، لها بطون عديدة منها جراوة وبنو يفرن ومغراوة وغيرها، وقد فصل في ذكرها ابن خلدون، المصدر السابق، ج6 ص138-164.

6- أندة: مدينة بشرق الأندلس من كور بلنسية ، الحميري، المصدر نفسه، ص41.

7- مكناسة : قبيلة بربرية من البتر لها بطون كثيرة منها : صولات و بوحاب وبنو ورفلاس وبنو وردنوس قيصارة وغيرها، كانت مواطنهم على واد ملوية إلى مصبه في البحر... وأجاز منهم إلى العدوة بعد الفتح أمم، وكانت لهم بالأندلس رياسة وكثرة ، ابن خلدون، المصدر نفسه ، ج6 ص 170-171.

8- الأول بالقرب من طلبيرة غرب الأندلس والثاني في طريق طرطوشة شرقا، الإدريسي، المصدر السابق،ج2 ص 551-555.

9- جزولة : قبيلة بربرية من شعوب البرانس، واختلف النسابة في اعتبارها بطن من صنهاجة أو مصمودة كما اختلف في رسم الحرف الأول منها بين الجيم والكاف والقاف، ينظر عن ذلك ابن خلدون، نفسه ، ج6 ص117- 201. وابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج 8 ص 246.

10- العذري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد 1965م، ص 113.

11- هو عبد الرحمن بن محمد بن مغاور بن حكم بن مغاور السلمي من أهل شاطبة يكنى أبا بكر من كتاب الموحدين وجلة الأدباء المشاهير بالأندلس، ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار المعرفة، المغرب (د ت) ، ج 3 ص 39-40.

في وصف رحلته، ولكن هذه المرة بشرقها[1]، واسم ... المنطقة الجنوبية[3] هو نفسه الذي ذكره ابن سعيد المتوفى سنة (685هـ/1286م) اسما لقرية صغيرة بالقرب من إشبيلية[4]، وقد اتبع الموحدون عند جوازهم إلى الأندلس[5] الطريقة الطريقة ذاتها في تمكين العناصر البربرية من الاستقرار بها، حيث أقدم عبد المؤمن بن علي عند جوازه على بناء مدينة جبل الفتح[6] سنة (555هـ/1160م) كموقع عسكري متقدم بالنسبة لجيوش العدوة المغربية عند عبورها، والتي استغرق بناؤها عدة شهور لما ضمته من قصور وديار[7]، ثم لجأ ابنه وخليفته أبو يعقوب يوسف[8] (558هـ-

---

1- ابن مغاور الشاطبي حياته وآثاره، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة النجاح الجديدة ،المغرب ط1 1994م،ص 180-181.

2- مغيلة : إحدى بطون البربر من ولد فاتن بن تمصيت بن ضريس بن حريس بن زحيك بن مادغيس الأبتر، وقد ذكر ابن خلدون "أنهم كانوا على عهده بالمغرب الأوسط عند مصب شلف في البحر" ابن خلدون، المصدر السابق، ج6 ص155-165.

3- ابن عذاري، المصدر السابق،ج2 ص36

4- ابن سعيد، المصدر السابق،ج1 ص 234.

5- وقع اختلاف بين المؤرخين حول تحديد تاريخ هذا الجواز والسنة التي سيطر فيها الموحدون على الأندلس، وهو ما حفز الباحثين إلى جمع مختلف الروايات وعرضها للتحليل والمناقشة، وفي بحث مستفيض خلص محمد العمراني إلى صعوبة تحديد تاريخ الجواز وعملية إخضاع الأندلس بسبب تضارب أراء المؤرخين، في حين رجح معمر الهادي سنة 541هـ/1146م، ينظر محمد العمراني، الموحدون في الأندلس، الوجود العسكري وعلاقة السلطة بالمجتمع(541-609هـ/ 1147-1212م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 2002-2003م ص30-129، ومعمر الهادي محمد القرقوطي، جهاد الموحدين في بلاد الأندلس(541-629هـ/1146-1233م) ، دار هومة ، الجزائر2005م ص91-108. وهذا بسبب بعد الروايات المعروضة عن مسرح الأحداث، غير أن هناك رواية لم يتم اعتمادها من الباحثين تعتبر الأقدم والأكثر وضوحا في تحديد هذه الفترة، أوردها ابن المواعيني(ت564هـ/1168م)، ونصها : " ...فخر من فوقهم – يقصد المرابطين- سقفهم بظهور دعوة الإمام المهدي رضي الله عنه، وخلافة صاحبه وخليفته الإمام سيدنا أمير المؤمنين أبي محمد عبد المؤمن بن على فحل قيس ...فحل جيشهم المنصور بجزيرة الأندلس في جمادى الأول عام أحد وأربعين وخمسمائة، وملكوا الجزيرتين الخضراء وطريف، وانتقلوا إلى الغرب الأندلسي فحاربوا بلادا وفتحوها صلحا، ثم انحدروا إلى إشبيلية فحاصروها حتى فتحوها في السابع عشر من شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، ثم ملكوا قرطبة وغرناطة وما بينهما، وهي القواعدة الشهيرة بهذه الجزيرة ..." ، ابن المواعيني، المصدر السابق، الورقة رقم 461.

6- جبل الفتح: هو المعروف بجبل طارق فيه تحصن ومنه افتتح الأندلس فحمل اسمه، بينه وبين الجزيرة الخضراء ستة أميال، وقد اشتهرت تسميته بجبل الفتح بين الناس منذ زمن الموحدين وإلى عهد ابن سعيد المتوفى سنة 685هـ/1286م، والذي روى أن الناس هكذا عرفوه، واسم جبل طارق بقي مدونا في الكتب، ينظر الإدريسي، المصدر السابق، ج2 ص450، وابن سعيد، الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1970م ص139.

7- وصف المؤرخون كيفية بنائها وأطلقوا عليها اسم المدينة، ينظر عنها ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة و جعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دارالأندلس للطباعة والنشر، بيروت ط1 1964 م ص 137، وبن أبي زرع، المصدر السابق، ص260-261.

8- هو يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي يكنى أبا يعقوب، ولد سنة 533هـ/1138م وبويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه فحكم لأزيد من21 سنة، وكانت وفاته بعد عودته من غزوة شنترين سنة 580هـ/1184م، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص73، وابن عذاري، المصدر السابق، ص163-164 .

580هـ/1162م –1184م) إلى تقسيم القبائل البربر المضطربة وغير المستقرة بشرق الأندلس حيث "أسكن العرب وزناتة ببلنسية[1]، وأسكن صنهاجة وهسكورة[2] في شاطبة[3] ومرسية، وأسكن في لورقة[4] أهل تينمل[5]، وأسكن في المرية وبرشانة[6] كومية"[7]، ورغم أن المصادر لا تصرح على وجه التحديد ما إذا كان الغرض من هذا التقسيم هو الإسكان المؤقت المعقود على مدة الفترة التي قد تستغرقها حملة الجهاد الذي اجتازوا البحر لأجله، أو الاستيطان الدائم قصد هيمنة المصامدة على الولايات الأندلسية مثلما تؤكده الرواية التي أوردها ابن عذاري عن بنائهم لقصبة[8] جديدة بإشبيلية بعد تشكي الناس من ضررهم بحكم اختيارهم للمقبرة مكاناً لإقامتهم[9]، ولم يكن أمامهم من حل لإنشائها إلا أن " أخرجوا أهلها عن ديارهم وعوضوهم في المدينة أعواضًا (...)، وكان هذا على الناس أشد من قتل نفوسهم وزيادة همومهم وبؤسهم"[10]، والظاهر من هذه الرواية أن أهل إشبيلية تذمروا لهذا التصرف المجحف في حقهم فأنكروه بدليل رفضهم للتعويض المقدم لمدة طويلة استغرقت فترة حكم ثلاثة خلفاء إلى أن رضوا بالأمر

1- بلنسية : مدينة في شرق الأندلس، وهي سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس،عامرة القطر كثيرة التجارات، وبينها وبين البحر ثلاثة أميال، وهي على نهر جار يسقي المزارع، والسفن تدخل نهرها، ولها أقاليم كثيرة، الحميري، المصدر السابق، ص97.

2- هسكورة : من بطون قبائل البرانس، واختلف النسابة في إدراجهم مع صنهاجة أو مصمودة، ابن خلدون، المصدر السابق،ج6 ،ص117 وما بعدها.

3- شاطبة : مدينة في شرق الأندلس، وهي حسنة ولها قصاب ويضرب بها المثل في الحسن والمنعة، وقد اشتهرت بصنع الكاغد، الحميري، المصدر نفسه، ص337.

4- لورقة :مدينة بشرق الأندلس، من بلاد تدمير، وهي على ظهر جبل، بينها وبين مرسية أربعون ميلا، وهي على نهر مجراه إلى الشرق، الحميري، نفسه، ص512.

5- أهل تينمل : ترد في بعض المصادر تينملل، وهو جبل استوطنته قبائل من مصمودة، وفيه بنى ابن تومرت داره ومسجده ، وقد ذكرلهم البيدق 11 فخذا، ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6 ص04 ، والبيدق، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، دار الغرب، الرباط 1971م ، ص 43.

6- برشانة : مدينة بالأندلس، وهي حصن على مجتمع نهرين، وهو من أمنع الحصون مكانا وأوثقها بنيانا، وأكثرها عمارة، الحميري، نفسه، ص 88.

7- ابن صاحب الصلاة المصدر السابق، ص137، وابن أبي زرع ،نفسه ،ص 260-261

8- القصبة: قصبة البلد مدينته، وقيل معظمه، وهي جوف الحصن يبنى فيه بناء هو أوسطه، وقصبة القرية وسطها، ابن منظور لسان العرب، تحقيق لجنة إحياء التراث، صادر، بيروت ط2 1997م، ج4 ص68، والقصبة أكبر قرى الإقليم أو الناحية، ولا زالت هذه التسمية متداولة في دول شمال إفريقيا، ينظر معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، عاصم محمد رزق، مكتبة مدبولي القاهرة ط1 2000م ص238.

9- ابن عذاري، المصدر نفسه، ص39 .

10- نفسه، ص39.

الواقع بعد طول الزمان[1]، و يطلعنا ابن عبد الملك ا
كائنة لبلة[2] سنة (549هـ/1154م) عن تحصن الموحدين في قصبتها واتخاذها ملاذا لهم مما يدل على أهمية اختيار قصبات المدن في الأندلس كمواقع مهمة لاستقرار جند الموحدين، ويؤكد المؤرخون و الجغرافيون على أن حجم العمارة في المدن الأندلسية ازداد واتسع على عهد المرابطين والموحدين، فليس بعيدا أن يكون للقبائل البربرية التي دخلت إلى الأندلس خلال هذه الفترة دورا في تلك الزيادة.

وأما المقاربة الرابعة فهي وجود أفراد من هذه القبائل في الأندلس رغبوا في الرحلة إليها لطلب العلم والأخذ عمن اشتهر من علمائها طلبا لعلو سند التعليم وتقربًا منه[3] منه[3] فاستقر الكثير منهم بها وتولى بعضهم مناصب إدارية في كنف السلطة الموحدية ، وليس خفيًا أن قرب العدوتين جغرافيا حفز على اتساع الرحلات وأغنى الكثيرين عن تجشم الرحلة إلى المشرق لما شهدته الحركة العلمية في الأندلس من ذيعان صيت جعلها تنافس غيرها من البلدان، ولما كان الهدف والمبتغى من الدراسة هو الإسهام العلمي للعناصر البربرية فإن التفرقة بين من طرأ عليها ومن هو من أهلها يوضح أكثر مدى تأثير اختلاف الموطن والبيئة على الشخصية البربرية، ويطلعنا على نظرة غير البربري لكليهما وهو ما سنتعرض له لاحقا.

وعلى الجملة فإن أماكن استقرار البربر على أرض العدوة الأندلسية إلى غاية القرن (7هـ/13م) تنوعت بتنوع اختيارات ميولهم، فمن الجبل والفحص والإقليم، إلى المدينة والقصبة و القرية والقلعة والحصن، وأن عقد مقارنة بين العدوتين في هذا الجانب يوصلنا حتمًا إلى تأكيد أن البربر ساروا على نفس النهج الذي اتبعوه في بلاد المغرب عندما نسبوا أسماء مناطقهم السكنية إلى قبائلهم، ومرد هذا في أغلب الظن إلى عدم

1- يقصد بذلك أن هذا المشكل عمّر طويلا مدة خلافة عبد المؤمن وابنه يوسف وحفيده المنصور، والظاهر من رواية ابن أبي زرع، وابن عذاري أن عملية الزيادة في البناء والتوسعة التي استمرت إلى عهد المنصور هي سبب طول مدة هذه الشكوى، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص249-277، وابن عذاري، المصدر السابق، ص39.

2- لبلة : مدينة في غرب الأندلس وتعرف بالحمراء، وهي حسنة أزلية متوسطة القدر، ولها سور منيع ونهرها يأتيها من ناحية الجبل ويجاز عليه في قنطرة إلى لبلة، وبينها وبين البحر المحيط ستة أميال. الحميري، المصدر السابق، ص507-508.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1 ص293.

شهرتها بأسماء معينة سابقة عن وجودهم بها، و إ
نظام القبيلة، كما أن تفوقهم العددي شجعهم على إنشاء إمارات وممالك ذات نزعة عرقية خلال القرن (5هـ/11م) ، وعند توحيد العدوتين على أيدي المغاربة منهم عملت سلطتهم المركزية على دعم وتثبيت استيطان البربر قصد تقريبهم من أرض الرباط لصد هجمات النصارى من جهة، وحتى تتقوى بوجودهم في وجه الفتن والاضطرابات من جهة أخرى، كما حفز القرب الجغرافي للأندلس الطلبة المغاربة فانتقلوا إليها سعيًا وراء تحصيل العلم والرزق.

2-حظ البربر من الترجمة لدى كتاب القرن (6هـ/12م):

إن التواجد الملفت للعناصر البربرية لا يعكسه كتاب التراجم الواقعة كتبهم بين أيدينا، وبخاصة أولئك الذين عاصروا الدولة الموحدية وترجموا لمن برز من الأعلام في المائة السادسة، ومن أبرزهم ابن بشكوال المتوفى سنة (578هـ/1183م) في كتابه "الصلة في تاريخ علماء الأندلس"، وابن عميرة الضبي المتوفى سنة(599هـ/1203م) في " بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس"، وتقديم هذين المصدرين من كتب التراجم على ما سواهما من الأنواع الأخرى كالفهارس والبرامج يبرره معاصرتهما زمنيًا للموحدين، واهتمامهما بالسيرة الذاتية للعلماء خاصة وتاريخ الحركة العلمية عامة، بينما ركزت بقية الأنواع على ذكر الكتب المروية وأسماء الشيوخ ومروياتهم[1] .

1- محمد بن شريفة، كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، بواعثها وأنماطها، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، ط1 2003م، ص11.

أ- أبو القاسم خلف بن بشكوال و كتابه الصلة:

حسب تتبع التسلسل الزمني لحياة ابن بشكوال، ندرك أنه عاصر ثلاث فترات مختلفة من تاريخ الأندلس ميزتها مجموعة من الأحداث كان لها تأثير مباشر في مسيرة العلماء والحياة العلمية بها، وهي على التوالي:

- فترة تولي المرابطين حكم الأندلس.
- الفترة الانتقالية من نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (الفتنة).
- فترة جواز الموحدين إلى الأندلس وتولي أمر المسلمين بها.

ولا نجد أية علاقة مباشرة له مع من تولى حكم الأندلس خلال هذه المدة غير ما ذكره ابن الأبار من توليه لخطة القضاء[1]، المنصب الأقرب إلى مداخلة الساسة والخوض في دروب السياسة بحكم تدخل ولاة الأمر في تعيين من يتولاها، حيث يترتب عنها- في أحسن الأحوال - تعرض صاحبها للعزل دونا عن إرادته أو اعتزاله بمحضها، وقد بادر ابن بشكوال إلى اعتزال هذا المنصب، ولا ندري على وجه التحديد سبب ذلك ولا الفترة التي تولى فيها أمرها أصلا.

والدافع وراء خوضه لفن كتابة التراجم - مثلما جاء في مقدمته- هو مواصلة التعريف بأعلام الأندلس، وإتمام ما بدأه ابن الفرضي المتوفى سنة (403هـ/ 1012م) في كتابه " تأريخ علماء الأندلس "، وعن ذلك يقول :" من حيث انتهى كتابه وأين وصل تأليفه متصلا إلى وقتنا"[2]، ومؤكدا على اتباع منهجه في التأليف: "ورتبته على حروف المعجم ككتاب ابن الفرضي وعلى رسمه وطريقته، وقصدت إلى ترتيب الرجال في كل باب على تقادم وفياتهم كالذي صنع هو رحمه الله"[3]. ولكن عقد مقارنة بين الكتابين تظهر لنا أن ابن بشكوال تحايل في اتباع هذا المنهج، ولم يلتزم فيه خطأ واحدا، ويتضح ذلك من خلال

1- ابن الأبار، المصدر السابق، ج2 ص226.
2- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص17.
3- نفسه، ص17.

إعراضه وتجاوزه عن وصل النبذة التاريخية التي تعرض لذكر من تولى حكم الأندلس من بني أمية وإلى غاية آخر خليفة عاصره وهو المؤيد بالله هشام بن الحكم[1] مبينا غرضه من ذلك بقوله:" لما رأيت كثيرا من الوفيات ترتبط بدول الملوك، لم أجد بدا من ذكرها في صدر هذا الكتاب ليكون دليلا على ما تعلق بها وأضيف إليها، مع ما في علم ذلك من الفائدة "[2]، والمتتبع لهذه الإشارة عند ذكر الأعلام المترجم بهم في كتابه يدرك أن الفائدة التي رام ابن الفرضي التنبيه إليها؛ هي أن معرفة الفترة السياسية التي عاصرها العلماء، غايتها إيضاح علاقة السلطة بأهل العلم خاصة وبالحياة العلمية عامة ، ولذلك لم يغفل مختلف المحن التي تعرضوا لها على أيديهم تنويها بصبرهم وصلابتهم واتعاظ من يقتدي بهم، كما أنه لم يفوت ذكر ما نالوه منهم من تكريم وحظوة واحتفاء،[3] فكان الأحرى بابن بشكوال –على ما قرره في شرطه– أن يبدأ من حيث انتهى ابن الفرضي فيفتتح كتابه بذكر من تولى حكم الأندلس، إما بإعادة من ذكرهم ابن الفرضي ثم وصل ذلك بمن تولى بعد المؤيد بالله إلى آخر من عاصر من حكام الموحدين، وهو أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، كما فعل الضبي في بغيته عندما وصل كتاب "جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس" للحميدي المتوفى سنة (488هـ/1095م)[4] ، و إما الاقتصار على ذكر أسماء من عاصر منهم إذا اقتضى ذلك وصف حال المترجم به، إلا أنه أعرض عن ذلك وتجاوزه مكتفياً بعبارة " متصلا إلى وقتنا"[5]، أي إلى النصف الثاني من القرن السادس الهجري(الثاني عشر الميلادي) بدليل أن

1- هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الأموي يكنى أبا الوليد ويلقب بالمؤيد بالله، أمه أم ولد تسمى صبح، ولي وعمره عشرة أعوام فتغلب عليه حاجبه المنصور بن أبي عامر، وقد جرت له أحداث ومحن في حياته إلى أن قتل سنة 403هـ/1012م، وقيل غير ذلك في خبر طويل، ينظر الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 1997م، ص21. وابن بسام، المصدر السابق، ج1 ص25 و ج2 ص 19.

2- ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1 2008م، ج1 ص33.

3- ينظر مثلا ما تعرض له فقهاء قرطبة في حادثة الربض الشهيرة على عهد الحكم الربضي سنة202هـ/817م، وامتحان علماء من القرن 4هـ/10م، وتكريم آخرين، ابن الفرضي، المصدر السابق،ج1 ص149، 216- 220 و ج2 ص 62 وما بعدها.

4- الضبي، المصدر السابق، ص43.

5- ابن بشكوال، المصدر السابق ، ص17.

آخر سنة وفاة أوردها هي (564هـ/1168م)[1]، الموحدين، ولا حتى مجرد الإشارة إلى دولتهم أو تواجدهم بالأندلس، فلم أغفل ابن بشكوال ذلك وتجاوز؟

إن الكشف عن هذا الغموض وتقريب الإجابة عن هذا التساؤل تكمن في تتبع الأعلام الذين ترجمهم في صلته، و كانوا ممن عاصر دولة الموحدين الحقبة التي لم يحبذ الإفصاح عن حكامها صراحة، ولا عن دورهم في الحياة العلمية بالأندلس – وهو المؤرخ الذي لا تخفى عنه أهمية ذلك والتنبيه إليه– ودون أن نتتبع ترجمة جميع الأعلام الذين ربطتهم بالموحدين أحداث وعلاقات تقرر في غير شطط أنه لا يسع لمن يترجمهم تجاهلها، وبخاصة من بذكرهم يذكر أهل السلطة والحكم كالقضاة والكتاب والشعراء، ثم سائر من انتسب لأهل العلم، لأننا لن نجد جازمين أي إشارة ذات صلة بوضع العلماء والحياة العلمية على عهدهم تؤرخ لذلك إيجابا أو سلبا، وإن كان ولا بد فلن نجد دليلا واضحا من إغفاله – متعمدا– محنة شيخه وصاحبه القاضي عياض اليحصبي[2] على أيدي الموحدين، وكل ما قاله عنه – بعد ما عرض مراحل حياته العلمية –:" توفي رحمه الله

1- وهذا عند ترجمته عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن قزمان المتوفى سنة564هـ/1168م، ابن بشكوال، المصدر السابق، ص288، و لقد أخطأ متوهما إبراهيم الأبياري عندما اعتبر أن سنة 534هـ/1139م المدونة في آخر الجزء الأول من الصلة هي التي انتهى إليها ابن بشكوال في حصر من جاءوا بعد ابن الفرضي ومفسرا كلام ابن دحية الكلبي في كتابه"المغرب" من أنه قرأ كتاب الصلة على مؤلفه سنة 574هـ/1178م، أي بعد مرور 40 سنة من تأليفه له ومستنتجا من هذه العبارة أن ابن بشكوال لم يمض في كتابه تأليفا إلى آخر عمره، والصواب أنه كان ينقح كتابه بما يضيف إليه من زيادات واستدراكات إلى آخر حياته، ودليله سنوات وفيات الأعلام الواردة ضمن الكتاب، والتي آخرها سنة 564هـ/1168م، علما أن الأجزاء العشرة الأخرى لا ترد فيها سنوات الفراغ من النسخ عدا الجزء 10 الذي ورد في إحدى نسخه المخطوطة أن الفراغ منه كان سنة 555هـ/1160م، بينما ترد فيه ترجمة توفي صاحبها سنة 560هـ/1164م، ولذلك نجد السيوطي في بغيته يعتمد على استدراكات ابن بشكوال في بعض تراجم الأندلسيين بقوله: "ذكره ابن بشكوال في زوائده على الصلة "، وما يقطع الشك باليقين قوله نقلا عن ابن مكتوم عن أبي حيان عند ترجمة أحمد بن صارم النحوي الباجي: "وهو نقله من الزيادة التي زادها أبو القاسم بن بشكوال بأخرة من عمره على كتاب الصلة من جمعه"، ومن هنا نفهم – على أغلب الظن– أن كتاب الصلة لابن بشكوال الواقع بين أيدينا أصله عدة نسخ، منها ما هو من أصل الكتاب وما كان من زوائده في آخر حياته، وأن النساخ أو تلامذته عمدوا إلى جمعها وترتيبها في نسخة واحدة، فيما نقل آخرون من زوائده مباشرة. ينظر عن ذلك ابن بشكوال، الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية واللبنانية، بيروت ط1 1989م ج1ص 16-17، ونسخة صلاح الدين الهواري، المصدر السابق، ص535. والسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2006م، ج1 ص297.

2- هوعياض بن موسى بن عياض اليحصبي، من أهل سبتة يكنى أبا الفضل استقضي ببلده مدة طويلة، ثم ولي قضاء غرناطة، له عدة مؤلفات، توفي سنة 544هـ/1149م.ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 359-360.

بمراكش مغربا عن وطنه وسط سنة 544هـ/149
العربي[2] و تجاوزه خبر دخوله على عبد المؤمن بن علي ومحنته آخر حياته[3].

وبالجملة فإن اتباع ابن بشكوال لمنهج ابن الفرضي في التأريخ لعلماء الأندلس إنما يتوقف قبل نهاية القرن5هـ، ثم يظهر بعد ذلك بطريقة مختلفة تماما عما سبقها من القرون، وهذا إلى غاية النصف الثاني من القرن 6هـ/12م، وهي الفترة التي تولى فيها المغاربة حكم الأندلس وأضحت مراكش حاضرة العدوتين ومركز السلطة بهما، فتراه يتحاشى ذكر أمرائهم وخلفائهم وولاتهم مرابطين كانوا أم موحدين، ويهمل الكثير من الأحداث ذات الصلة بمسيرة الحياة العلمية، كحركة جلاء العلماء عن مدنهم بسبب الاضطرابات السياسية التي عرفتها الأندلس نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، والتي اصطلح على تسميتها في مختلف المصادر بالفتنة – وسيتم الحديث عنها بشيء من التفصيل في فصل الحياة العلمية–، فجاءت تراجم هذه الفترة باهتة من حيث تجريدها من كل ما له علاقة بالأحداث التاريخية والسياسية، ولم تظهر بوضوح صورة تواجد عناصر القبائل البربرية التي اجتازت إلى الأندلس خلال هذه المرحلة سواء من الذين استوطنوها

1– ابن بشكوال، المصدر السابق، ص360. ويتضح من المصادر التي ترجمت حياة القاضي عياض أن سبب امتحانه هو ولاؤه لدولة المرابطين، ورغم عفو عبد المؤمن بن علي عنه إلا أنه أبعد عن بلده حين عين قاضيا في إحدى المناطق النائية، وتختلف الروايات حول سبب وفاته بين قائل أنه مرض خارج مراكش أو أنه مات مسموما أو مات فجأة في الحمام أو أنه قتل. ينظر تفصيل محنته، ابن خلدون، المصدر السابق،ج6ص307، والمقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، المغرب(د ت) ج3 ص11 وما بعدها، والنباهي، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة بيروت 1980م، ص95، وابن أبي زرع، المصدر السابق، ص247.

2– هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن العربي المعافري من أهل إشبيلية، يكنى أبا بكر، رحل إلى المشرق وأخذ عن علمائها توفي بالعدوة ودفن بفاس سنة 543هـ/1148م، ابن بشكوال، نفسه، ص459-460.

3– حسب رواية ابن أبي زرع فإن عبد المؤمن سأله عن لقائه لابن تومرت عند الغزالي و ما كان يقول فيه ، فنفى ابن العربي لقاءه ونسب للغزالي قوله " إن هذا البربري لا بد سيظهر"، ويتحدث غيره من أنه تعرض للسجن مدة عام، وعند انصرافه توفي في طريقه إلى فاس، ينظر المقري، المصدر السابق،ج3 ص63 وما بعدها، وابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص 246 .

وتناسل أعقابهم بها أو الوافدين عليها، مشكلين بذلك سطره كتاب التراجم في الأندلس حيث قسموا أعلامها على أساس المولد والنشأة .

إن البحث عن الدافع وراء لجوء ابن بشكوال إلى تجنب ذكر حكام الأندلس المغاربة، وعدم فسح مجال الترجمة بشكل أوسع لأعلام البربر متعمدة تغييب صورة الحياة العلمية على عهدهم، ليس ببعيد عما كان يجيش في نفوس الأندلسيين تجاه أهل العدوة المغربية خاصة البربر منهم من نفرة وعداوة وبغضاء، شكل عامة قرطبة وزمرة من خاصتهم المثال والأنموذج الأكثر تكرارًا ووضوحًا عبر الحقبة التي تلت فتنة القرن (5هـ/11م)، حيث اجتاح حينها الخراب والدمار مدينة قرطبة[2]، وجعل أهلها يحمّلون البربر وزر غيرهم فألصقوا التهمة بهم لوحدهم[3]، وغذت تلك الأحداث عصبيتهم المفرطة في حبهم لبلدهم ، ونفرتهم ممن كان غريبًا عنها، ودون حصر لهم نذكر من خاصتهم ابن مفرج،[4] وابن حيّان، وابن حزم[5]، وابن أبي الخصال[6]، وابن بشكوال، والقاضي ابن رشد الحفيد، كما أن انتفاء المكانة التي اشتهرت بها كحاضرة للأندلس، وزوال حكم من منحهم

1- ظهر هذا التقسيم مع ابن الفرضي حيث اعتبر أن كل من لم يولد في الأندلس فهو غريب عنها وليس من أهلها وإن نشأ ومات بها، وعكسه أن يترجم للعلم في البلديين أهل الأندلس وإن انتقل إلى غيرها ونشأ وتوفي بها، وقد تبعه على هذا التقسيم كل من سار على نهجه فيما عرف بكتب الصلات.

2- عن نتائج هذه الفتنة ينظر عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص 460 وما بعدها.

3- تبرز بشكل واضح هذه النفرة والعصبية في تراجم النصف الأول من القرن (5هـ/11م)، ومن ذلك وصفهم لمن قتل في هذه الأحداث على أيدي البربر بالشهداء وعلى هذه الصفة يدفنون، ابن بشكوال،المصدر السابق ص214-389.

4- هو محمد بن مفرج بن حماد بن الحسين المعافري يعرف بالقبشي ويكنى أبا بكر من أهل قرطبة توفي سنة 430هـ/1038م، له كتاب سماه " الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال" أتمه سنة 420هـ، ونقل فيه الكثير من الأحداث ذات الصلة بفتنة القرن (5هـ/11م)، ونقل عنه ابن بشكوال كثيرا، وفيه يظهر مدى حنقه على البربر ووصفه لهذه الفتنة بالبربرية، ينظرابن بشكوال، المصدر نفسه، ص 126 و156.

5- وتظهر عصبيته وكرهه للبربر عندما اعتبر أن " كفار البربر كانوا أشر كفار فإنهم ليسوا أهل كتاب ولا ارتباط بشرع ،وكذلك مسلموهم شرار المسلمين وأكثرهم غائلة" مؤلف مجهول،فتح الأندلس، تحقيق لويس مولينا،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية مدريد(د ت) ص 55.

6- هو محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي القرطبي، يكنى أبا عبد الله، تولى الكتابة في البلاط المرابطي، فتنقل بين المغرب والأندلس، توفي سنة 540هـ/1145م في خضم أحداث الفتنة التي عرفتها قرطبة، وقد خلف عددا من المؤلفات منها ديوان رسائله الإخوانية والسلطانية. ابن بشكوال، نفسه، ص458، وابن بسام، المصدر السابق، ج3 ص511 ورسائل أبي الخصال، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر دمشق ط 1 1987ص149. وتتم إحدى رسائله الموجهة من مراكش إلى جند المرابطين في الأندلس عن نظرة عنصرية حاقدة لما تضمنته من أوصاف لجنسهم ولونهم ولباسهم، وكانت سببا في عزله من قبل علي بن يوسف بن تاشفين الذي تأكد من بغضه للمرابطين بعدما شك في ذلك. ابن عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت ط،2006م، ط1 ص154، وينظر نص رسالته، حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 2000م، ص23.

أهلها فرائض الطاعة والولاء من بني أمية حزّ ف
خاصة من العدويين البربر الداخلين إلى الأندلس " حتى أن السيد أبا يحي بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن[1] لما انفصل عن ولايتها قيل له: كيف وجدت أهل قرطبة؟ قال مثل الجمل إن خففت عنه الحمل صاح، وإن أثقلته به صاح، ما ندري أين رضاهم فنقصده، ولا أين سخطهم فنتجنبه، وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرًا من عامة العراق، وإنّ العزل عنها لما قاسيت من أهلها عندي ولاية، وإني إن كلفت العود إليها لقائل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين"[2] وأردف ابن سعيد الذي ساق هذا الخبر أن أبا يحي لم يخرج عن قرطبة حتى بنى بها قصرًا من أبدع القصور على نهرها الكبير[3]، وعندما سئل" كيف تأنقت في بنيان هذا القصر مع انحرافك عن أهل قرطبة؟ فقال : "علمت أنهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر لما بقي في رؤوسهم من الخلافة المروانية، فأحببت أن يبقى لي في بلادهم أثر أذكر به على رغمهم"[4]. ولذا فقد يكون السبب وراء تحاشي ابن بشكوال وتجاوزه ذكر دولة الموحدين هو احترازه في أخذ الحيطة والحذر خشية النيل منه إن هو أباح بما يختلجه تجاه ما قام به خلفاء الدولة وأمراؤها في الأندلس بما لا يرضيه، كما أنه لم يتزلف تقية كي لا يمنح ولاءً مزعومًا هو في غناً عنه[5]، وهذا ما حدا به إلى عدم إظهار ما كان يضمر بنفسه في كتابه " الصلة"، حيث يطلعنا ابن عبد الملك المراكشي في إشارة عابرة التقطها من حاشية له وبخطه، حين نقله لكتاب المقتبس لابن حيان في

1- لم أقف له على ترجمة منفردة بسبب إحجام الأندلسيين في هذه الفترة عن الترجمة للأمراء والولاة المغاربة الداخلين إلى الأندلس، وأبلغ ما يمكن استخلاصه من كتب التاريخ أن اسمه زكرياء بن أبي يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي يكنى أبا يحي، عينه والده واليا على قرطبة برغبة من ابن رشد في يوم الجمعة 21 شعبان سنة 579هــ/1183م، ومن إسهاماته الحضارية في زمن ولياته بناؤه لقصرأنيق في قرطبة، وأنه كان محبا للعلوم مقربا للعلماء والشعراء، وفي دعم ابن رشد له ما يؤكد ذلك، وأن أخاه المنصور أقدم على قتله مع أخيه عمر وعمه سليمان سنة 582هــ/1186م، ينظر عن ذلك ابن عذاري، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص156 و205، وابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 286.

2- المقري، نفح الطيب، ج 1 ص 462.

3- وصف هذا القصر الشاعر ناهض بن إدريس شاعر وادي آش بقوله :

آلاَ حَبّذَا القَصْرُ الذِي إرْتَفَعَتْ بِهِ عَلَى المَاءِ مِنْ تَحْتِ الحِجَارَةِ أقْوَاسُ

وقد نزله المنصور الموحدي عند جوازه سنة 586هــ/1190م، المقري، المصدر السابق، ج1 ص470، وابن عذاري المصدر نفسه، ص205.

4- المقري، نفس المصدر والجزء، ص462.

5- أغلب الظن أن ابن بشكوال تجنب ذكر أسماء حكام الموحدين وأمرائهم صونا لنفسه من إيراد ألقاب وتعابير ذات دلالات شرعية وسياسية وعقدية، كالخليفة والمهدي والسيد وما يترتب على ذلك من دعوات لهم وتقديم فرائض الطاعة والولاء مثلما كان الأمر سائدا زمن الموحدين.

فصل تم الحديث فيه عن توسعة مسجد قرطبة سنة نقل المصحف الذي اشتهر فيه والمنسوب إلى الصحابي عثمان بن عفان – رضي الله عنه– إلى مكان أمين[1]. فعلّق ابن بشكوال في الحاشية قائلا: " أخرج هذا المصحف عن قرطبة وغرب عنها ليلة السبت 11 من شوال سنة 552هــ/1157م وحمل صبيحة يوم السبت وجوز إلى العدوة، أخذ الله من سعى في تغريبه وخروجه عن الحضرة أخذ آسف، ولا أمهله بالذي لا إله إلا هو، وعجّل بصرفه إلى مكانه بقدرته ولا يعجزه شيء جل جلاله وعظم سلطانه"[2]، ويتدخل ابن عبد الملك المراكشي ليؤكد أن عبد المؤمن بن علي هو الشخص المقصود بهذا الوصف، ولنا أن نفترض في عدم تصريح ابن بشكوال باسمه في هذا الموضع، إما لعدم امتلاكه جرأة القيام بذلك، أو أن شدة حنقه وغضبه حالت دون إيراده لاسم امرئ مغضوب عليه، ورغم التماس ابن عبد الملك الأعذار له[3] إلا أن في هذه الحاشية ما ينم حقيقة عن حقد وكراهية ابن بشكوال للموحدين، وما دعاؤه على رأس دولتهم عبد المؤمن بن علي بتعجيل هلاكه وزوال نعمته إلا دليل على ما سقناه آنفا.

ب– ابن عميرة الضبي وكتابه البغية:

يظهر من خلال الترجمة التي قدمها ابن الأبار لحياة بن عميرة الضبي العلمية أن الرجل صال وجال في طلب العلم بين مختلف المدن، فزار سبتة ومراكش وبجاية والإسكندرية ومكة، والتقى أثناء ذلك عددًا من الشيوخ فنوّع من تحصيله العلمي، ولم يذكر له ابن الأبار أي منصب ديني أو سياسي غير تفرغه لتدريس العلم في بلدته مرسية التي أكمل فيها بقية حياته،[4] وقد عاصر الضبي الفترة التي عرفت فيها الدولة الموحدية أوج ازدهارها الحضاري وانتصاراتها على النصارى في الأندلس[5]، ومن المؤكد أنه اطلع اطلع على انجازات خلفائها في المدن التي زارها، وبخاصة فيما له علاقة بالحياة العلمية

1– ابن عبد الملك المراكشي،المصدر السابق، ج1 ص159. وعن تاريخ هذا المصحف ينظر بحث محمود بوعياد، الرحلة العجيبة لنسخة من مصحف الخليفة عثمان في أرجاء المغرب والأندلس، موفم للنشر الجزائر، 2007م، ص8.
2– ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج1 ص159.
3– نفسه، ص159.
4– ابن الأبار، المصدر السابق، ج1 ص136.
5– آخر سنة وفاة وردت في كتابه هي597هــ/1200م عند ترجمته لابن رشد الحفيد، وأحمد بن عبد الله الكتاني، ينظر الضبي، المصدر السابق، ص 54 و173.

بالأندلس وفي حاضرتهم مراكش تحديدًا، ولكن من خلال كتابه " بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، فرغم أنه اختلف عن معاصره ابن بشكوال حيث أكمل النبذة التاريخية التي بدأها الحميدي فتحدث في مقدمته عن تواجد المغاربة بالأندلس وولايتهم عليها، وإشادته بانتصارات الموحدين وكسرهم شوكة النصارى، واجتماع كلمة المسلمين على عهدهم والدعاء لهم[1]،إلا أنه وافقه في تحاشي ذكر إسهاماتهم العلمية والحضارية وعلاقاتهم بالعلماء على الأقل في الأندلس، ولم يتعرض لذكر من دخل إليها من خلفائهم وأمرائهم وولاتهم، ولم ينل المغاربة حظهم من الترجمة خاصة عناصر القبائل البربرية من بلديين وغرباء، ولم يقدم كتابه صورة تعكس حصيلة رحلاته وما قدمته الدولة الموحدية في سبيل خدمة العلم والعلماء إلا من بعض الإشارات،[2] وهو الذي اشترط في كتابه أن يفتح باب الترجمة على مصراعيه لكل من أسهم في التاريخ الحضاري والسياسي والعسكري للأندلس، وإن كانوا غرباء عنها دون أن يفرده لأهل العلم بعينهم، وعن ذلك يقول : " على أن أجمع رواة الحديث بالأندلس، وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر ومن له ذكر من كل من دخل إليها أو خرج عنها في ما يتعلق بالعلم والفضل أو الرياسة والحرب"[3]، وقد نفهم من نبرة تأكيده على عدم التماس عوض دنيوي من أحد مقابل كتابه هذا[4]، ما ينم عن بعده عن أهل السياسة ويفسر عزوفه عن قادة الموحدين وأهل الرياسة منهم.

ولذا فنحن أمام مصدرين أندلسيين عاصر صاحباهما شطرًا زمنيًا كبيرًا من تاريخ المغاربة في الأندلس وتحديدًا دولة الموحدين، ولكنهما مع ذلك لم ينقلا حقيقة هذا التواجد

1- الضبي، المصدر السابق، ص 43 وما بعدها.

2- حيث أورد ذكر الخليفة أبي يعقوب مرة واحدة عند ذكر الشاعرة الوادي آشية في خبر عن بعض أصحابه أنه عاينها بحضرة إشبيلية وقد رفعت إلى الخليفة قولها : أُمْنُنْ عَلَيَ بِصَكٍ   يَكُونُ لِلْدَّهْرِ عُدَّه
تَخُطُ يُمْنَاكَ فِيـــهِ   الحَمْدُ للهِ وَحْـــدَه
وذكر " حضرة مراكش " في أربع مناسبات، الضبي، المصدر نفسه، ص 56، 62، 340، 510.

3- الضبي، نفسه، ص 43.

4- نفسه، ص 13.

والحضور، وما قدموه من إسهامات في التاريخ الـ
الأندلسية، وقد غذى هذا التجافي والإجحاف ثلاثة أمور:

- المنافــرة التــاريخيــة بين العــدوتــين.
- بعــدهما عن أهــل الســلطــان.
- اختلاف نهجهما العقدي عن ذاك الذي سلكه الموحدون.[1]

وفي إحصاءات الجدول التالي ما يبين ذلك ويعكسه:

	عدد تراجم الكتاب	تراجم الأعلام إلى حدود سنة 484 هـ	تراجم الأعلام من الربع الأخير للقرن 5 إلى6هـ	تراجم البربر المصرح بهم من الربع الأخير للقرن 5 إلى 6هـ	ذكر أهل الرياسة المغاربة	تراجم الأعلام على عهد الموحدين	آخر سنة وفاة
كتاب الصلة	1545	1294 بنسبة 83%	251 بنسبة 16%	05	لا أحد	16 بنسبة 01%	564 هـ
كتاب البغية	1601	1406 بنسبة 87%	195 بنسبة 12%	02	ذكر منهم عرضًا دون ترجمة: – سير بن أبي بكر – علي بن يوسف بن تاشفين – أبو يعقوب يوسف الموحدي	51 بنسبة 03 %	597هـ

1– حصر رشيد بوروبية النقاط الرئيسة للعقيدة الموحدية في التوحيد ونظرية الإله والنبوة والقدر والإيمان بالمهدي. رشيد بوروبية، ابن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص97، وابن تومرت، أعز ما يطلب تحقيق، عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص242 وما بعدها، ولأننا لا نستطيع الجزم عند محاولة تحديد تفاصيل المسلك العقدي لدى ابن بشكوال والضبي غير اللجوء على تغليب النظرة التخمينية العامة أنهما من فقهاء المالكية الأشاعرة وعدم ورود ما يخالف ذلك عند من ترجمهما إلا أن هناك نقطة يمكن الاعتماد عليها لتأكيد هذا الاختلاف وهي وجوب الإيمان بالإمام المهدي وعصمته وكفر من شك في ذلك عند الموحدين، وهذا الركن في عقيدتهم حتم على أعلام تلك الفترة إظهاره في افتتاحية كتبهم وأشعارهم تعبيرا منهم على صدق اعتقادهم وتماشيا مع التقليد الذي اتبعه الموحدون في خطاباتهم، فيما تمسك آخرون– ومن بينهم ابن بشكوال والضبي بما اعتادوا عليه في مقدمات كتب أسلافهم من الاقتصار في الغالب على البسملة والحمدلة والتصلية في مخالفة صريحة لما لا يعتقدون.

تبين الإحصاءات المقدمة أن نسبة تغطية ال... 484هـــ/1091م – وهو تاريخ تولي المغاربة حكم الأندلس – وإلى غاية نهاية القرن 6هـــ/12م أنها لم تتعد (446 علما) أي بنسبة 14 % من مجموع (3146 علما)، بينما وصل عددهم إلى (2700 علم) قبل هذا التاريخ أي بنسبة تزيد عن 85 %، وبغض النظر عن الفارق الزمني بين الفترتين بحكم بعد المؤلفين عن الحقبة الأولى ومعاصرتهما للثانية فإن هناك تراجعا واضحا في نسبة تغطية فترة المغاربة والتي تتناقص أكثر على عهد الموحدين بـــ: 02 % من مجموع (67 علما)، ولم يتجاوز أعلام البربر المصرح بأنسابهم (07) مع تجاهل تام لآهل الرياسة منهم إلا ما ورد عرضا عند صاحب البغية، في حين حفل الكتابان قبل سنة 484هـــ/1091م بذكر واسع لآهل الرّياسة الأندلسيين، مع ملاحظة اهتمام بالغ من المؤلفين بالفترة الأموية، وأما عن دواعي تتبع أعلام البربر – موضوع الدراسة – فلأجل أننا نسجل تراجعا ملحوظا في التصريح بأنسابهم مقارنة بالنهج الذي اتبعه ابن الفرضي في تاريخه [1].

ونخلص من هذا الإحصاء إلى ما تم إقراره سلفا من أن أهل التراجم الأندلسيين تغاضوا خلال المائة السادسة عن فسح مجال الترجمة للمغاربة عموما [2] رغم معاصرتهم لأحداث تلك الفترة، وبخاصة ابن بشكوال الذي بالغ أحد المستشرقين [3] في اعتبار أنه واكب التأريخ للحركة العلمية إلى العهد الموحدي بحجة أن آخر سنة وفاة وردت في كتابه

1– استعمل ابن الفرضي كثيرا عبارة "أصله من البربر" أو ما شابهها تحقيقا منه لمعرفة أنساب البربر المترجم بهم دون الاكتفاء بذكر قبائلهم، وأحيانا تكون هذه العبارات مرفقة بأعلام مجهولي اسم القبيلة، ولولا تدخله لما تم التعرف على أصول أنسابهم. ينظر مثلا ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1 ص53، 147، 431، وج2 ص 181، 218 وغيرها.

2– تساءل محمد المغراوي عند محاولة رصده للمتصوفة على عهد الموحدين في المغرب والأندلس عن سبب اهتمام علماء الأندلس بفن التراجم في عهد الموحدين، ثم قدم إجابة افتراضية في أن ذلك " جزء من إستراتيجية المقاومة التي انتهجها العلماء في وجه الموحدين"محمد المغراوي، المرجع السابق، ص32، والواقع أن هذا التوجه لا يختص بالموحدين فحسب وإنما يظهر منذ أن وطأ المغاربة أرض الأندلس وألحقوها إداريا بحاضرتهم مراكش بداية من سنة 484هـــ/1091م.

3– هو المستشرق الفرنسي دومينيك إرفوا في دراسة له عن علماء الأندلس خلال القرنين 5 و7 الهجريين، والتي جاءت مرفقة بالجداول الإحصائية والمخططات البيانية بغية الإحاطة بأوضاع الحياة العلمية في هذه الفترة.

هي 564هـ/1168م وأن ما تبقى من هذه المرحلة اعتبار في دراسته لما قام به الضبي في كتابه البغية.

3- المستدرك من تراجم البربر وتاريخهم خلال القرن(6 و7هـ/12-13م) :

أمام شح المادة التي قدمها كل من ابن بشكوال والضبي عن إسهام المغاربة في التاريخ الحضاري للأندلس، فلن يكون أمام الباحث إلا أن يقلب في أوراق من تأخر عن هذه الفترة من كتاب القرن (7هـ/13م) بحثا عمّا تم استدراكه عليهما من تراجم يعود أصحابها إلى المائة السادسة ومستهل السابعة، وتتبع إسهام الموحدين والبربر في الحياة العلمية بالأندلس، وهذا بدءًا بابن عسكر [2] المتوفى سنة(636هـ/1238م) في كتابه" أعلام مالقة"، والذي أتمه ابن أخته أبو بكر بن خميس، [3] ثم يليهما ابن الأبار المتوفى سنة(658هـ/1259م) في كتابه "التكملة لكتاب الصلة"، ويأتي تقديم هذين المصدرين لأجل أنهما يشكلان حلقة الوصل في التدرج الزمني لما بعد القرن6هـ/12م ــ بحكم تعاصرهما – ولأنهما يشتركان في نقطتين هما على طرفي نقيض فيهما مع صاحبي الصلة والبغية:

أولاً: الولاء للدولة الموحدية والإشادة بدعوتها المهدية:

أ- ابن عسكر وابن خميس:

وإليهما يُنسب كتاب " أعلام مالقة" وفيه ترجما لمن " سكن مالقة أو دخلها أو اجتاز

1- Dominique urvoy, le monde des ulémas Andalous du V/XI^{e} au VII/XIII^{e} Siècle, Etude sociologique, librairie droz, Genève 1978 P28.29.

2 – هو محمد بن علي بن عبيد الله بن الخضر بن هارون الغساني المالقي، أبو عبد الله بن عسكر، كان مقرئا مجودًا نحويًا ماهرًا، تاريخيًا حافظًا فقيهًا مشاورًا، ولي قضاء مالقة، وقد خمن عبد الملك المراكشي أن تكون سنة 584هـ/1188م هي تاريخ ولادته، بينما أكد أنه توفي سنة 636هـ/1238م ينظر ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6 ص 449- 452.

3- هو محمد بن محمد بن علي بن خميس يكنى أبا بكر، ولا تعرف أشياء كثيرة عن حياته بسبب ورود ترجمته في الأجزاء المفقودة من الذيل والتكملة، ولا سنة وفاته غير أن المحقق يرى أنه كان حيًا إلى أواخر العقد الرابع من القرن 4هـ/10م، وانتهى بعد التقصي والمقارنة بين نصوص الكتاب ونقول المؤلفين عنه إلى أنه "لا حدود فاصلة بين عمل ابن عسكر وابن خميس، ولا تصميم تتميز به تراجم الأصل من الذيل" عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ودار الأمان الرباط ط1 1990 ص 27، 46.

عليها"[1]، ورغم قلة تراجم الكتاب[2] – مقارنة بغير
والشهرة التاريخية لكبرى حواضر الأندلس كقرطبة وإشبيلية وغرناطة، ومحدودية رقعتها الجغرافية، إلا أن الكتاب جاء غنيًا بما يفيد الإسهام العلمي للموحدين الداخلين إليها، ويبرز مدى تأثيرهم في حياة أهل الأندلس وبخاصة طبقة العلماء منهم، والمتتبع لمنهج المؤلفين وطريقة وصفهما للحضور التاريخي لدولة الموحدين على الأرض الأندلسية ممثلة في ذكر خلفائهم وأمرائهم وولاتهم، يدرك حجم الاهتمام الكامن وراء رصد تلك المادة وطريقة عرضها، ويتضح له بما لا يدع مجالاً للشك مدى إعجابهما وتقديرهما لما قام به الموحدون اتجاه مالقة وأعلامها، كما أن الكتاب لا يخلو من إشارات تنم عن ميل بالولاء للدولة والإشادة بدعوتها المهدية، حيث نستشف ذلك من مجموع القصائد والأبيات التي تم إيرادها، وهي موجهة لمدح قادة الموحدين، كتلك التي مدح بها ابن عسكر أبا العلاء إدريس المأمون بن المنصور الموحدي[4](624-629هـ/1226م-1231م)، ومنها :   [الطويل]

إِلَيْكَ تَرَكْتُ الأَرْضَ وَالمَالَ وَالأَهْلاَ   لأَسْمَعَ مِن دَاعِي قُبُولِكَ لِي أَهْلاَ
وَفِيكَ هَجَرْتُ العَيْشَ أَخْضَرَ نَاعِمًا   بِهَا وَنَسِيمِ الأَرْضِ أَعْطَرَ مُعْتَلاَ[5]

وهي طويلة كما يصفها ابن عبد الملك المراكشي،[6] أورد منها ابن خميس قطعة تنم عن مدى إعجاب خاله بالمأمون والافتخار بالدخول عليه، ولذلك وصفه بأنه " كان معظمًا عند الملوك مقربًا لديهم"،[7] وفي السياق ذاته أورد لعدد من الشعراء والكتاب المترجم بهم

1- ابن عسكر وابن خميس، المصدر السابق، ص73.
2- بلغت 174 ترجمة.
3- مالقة: هي مدينة في جنوب الأندلس، حسنة حصينة ويعلوها جبل يسمى جبل فاره، لها قصبة منيعة وربضان لا أصوار لهما، وبهما فنادق وحمامات، وبها من شجر التين ما ليس بأرض، الإدريسي، المصدر السابق، ج 2 ص570.
4- هو إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، ولد بمالقة سنة581هـ/1185م، وبويع بالخلافة سنة 624هـ/1226م وتوفي سنة 629هـ/1231م. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص327 وما بعدها، وتظهر ترجمته أنه أندلسي بالمولد، وقد وردت له ترجمة في القسم المفقود من أعلاء مالقة نقلا عن ابن الخطيب، المصدر السابق،ج1 ص 416 .
5- ابن عسكر وابن خميس، المصدر نفسه، ص 186.
6- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج 6 ص451.
7- ابن عسكر وابن خميس، نفسه، ص 175.

ما يشيد بالموحدين ودعوتهم،[1] وما تم استدراكه التذكير دون الحصر – إنفراد الكتاب بترجمة لأبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي[2] افتخارا بدخوله مدينتهم ومراسلته لأهلها، وللتنويه بمكانته بين قادة الموحدين تم إيراد الرسالة التي بعث بها إلى أهل مالقة والمؤرخة في سنة(548هـ/1153م) –رداً على رسالتهم– المفتتحة بما اعتاده الموحدون في رسائلهم بالتأكيد على إمامة ابن تومرت وعصمته ومهديته، لينوه بعدها بجهدهم في محاربة النصارى وحسن مبايعتهم للموحدين.[3]

ب- ابن الأبار:

تولى ابن الأبار الكتابة في بلاط الموحدين[4] ثم الحفصيين، وحين وجد نفسه مدينًا لهم بتقريبه والاحتفاء به، بادرهم هو بدوره بنظم ما جادت به قريحته من قصائد مادحًا لأمرائهم ومذكرًا بأمجادهم وفخر انتمائهم للدعوة المهدية وباعثها ابن تومرت، كقوله من قصيدة يمدح بها أبا زكرياء[5] ويشيد باتباعه لوصية والده أبي حفص السابق الذكر في

1- منها قصيدة الرصافي الطويلة التي مدح بها عبد المؤمن بن علي عند جبل الفتح وفيها قوله : [البسيط]

كَفَاهُ فَضْلاً أن اثْتَابَتْ مَوَاطِئُهُ ... نَعْلاً مَلِيكٍ كَرِيمِ السَّعْيِ مَشْكُورِ
مُسْتَنْشِقاً بِهِمَا رِيحَ الشَّفَاعَةِ مِن ... ثَرَى إمَامٍ بأقصَى الغَرْبِ مَقْبُورِ

ومنها:

فَإن يَكُن بِيَدِ المَهْدِي قَائِمُهُ ... فَمَوْضِعُ الحَدِّ مِنْهُ جِدُّ مَشْهُورِ
وَالشَّمْسُ إنْ ذَكَرَتْ مُوسَى فَمَا نَسِيَتْ ... فَتَاهُ يُوشَعَ قَمَّاعُ الجَبَابِيرِ.

وللعباس بن غالب الهمداني من قصيدة يمدح بها السيد أبا إسحاق بن عبد المؤمن: : [البسيط]

أثْوَابُ سِيرَتِهِ مَهْدِيَةٌ وَكَفَى ... أنَّ الهُدَاةَ عَلَى مِنْوَالِهِ نَسَجُ
يَا أهْلَ غَرْنَاطَةِ فِي أرْضِكُمْ جَسَدُ ... مُرَكَّبٌ فِيهِ رُوحُ القُدْسِ مُمْتَزِجُ

ناهيك عن رواياته لأخبار ونقول فيها الإشادة بالدولة المهدية والخلافة الموحدية. ينظر ابن عسكر وابن خميس، نفسه، ص94، 96 و233، 252، 274 وغيرها.

2- هو عمر بن يحي الهنتاتي، يكنى أبا حفص ويعرف بعمر بنات، كان من جلة الموحدين وأكابرهم، من أصحاب بن تومرت العشرة، وممن عقدوا البيعة لعبد المؤمن بن علي، شارك في فتح كبرى الحواضر الأندلسية كإشبيلية وقرطبة وغرناطة، وهو جد الحفصيين ملوك تونس، توفي في طريقه من قرطبة إلى مراكش سنة571هـ/1175م، ابن عذاري، المصدر السابق، ص 36، وبن أبي زرع، المصدر السابق، ص 252 وما بعدها، و الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق الحسين اليعقوبي، المكتبة العتيقة، تونس ط1 1998م ص13، 15 وابن عسكر وابن خميس، نفسه، ص 323 .

3- ابن عسكر وابن خميس، نفسه، ص 323-324.

4- كتب ابن الأبار ببلنسية عن السيد أبي عبد الله بن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن بن علي ثم عن ابنه السيد أبي زيد، المقري، المصدر السابق، ج2 ص590.

5- هو أبو يحي زكرياء بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر، بويع في تونس سنة 627هـ/1229م بعد أن خلع بيعة بني عبد المؤمن، كان فقيهًا عارفًا ظريفًا له شعر كثير مدون، توفي سنة 646هـ/1248م، الزركشي، المصدر السابق، ص 55-65.

إظهار الدعوة: [طويل]

هِيَ الدَّعْوَةُ المَهْــدِيَّةُ اسْتَخْلَصَتْ لَهَا نُهَى القَائِمِ الهَادِي فَكَانَ لَهَا خِلْصَا

بِإِظْهَارِهَا وَصّى أبُو حَفْصٍ الرِضَّى بَنِيهِ فَوَفَّــى دُونَــهُمْ مَابِهِ وَصّـــى[1]

وعلى هذه الصفة تتعدد قصائد مدحه لهم تزلفا منه لنيل رضاهم عليه[2] كما عكست بعض كتاباته[3] هذا التوجه، وأبرزت جانبا مهما من إسهاماتهم العلمية والحضارية في الأندلس، ويعتبر كتابه " التكملة" الذي أتم به صلة ابن بشكوال أهم أثر استدرك فيه الجانب المغيب من تاريخهم، وهذا برغم المآخذ التي دونها ابن عبد الملك المراكشي نقدًا لمنهجه بحكم إفراط تعصبه لأندلسيته.

ثانيًا : ظهورهما في الفترة الأخيرة من تاريخ الموحدين في الأندلس:

لقد ظهر هذان الكتابان في خضم الاضطرابات التي عرفتها الأندلس وهي مرحلة أفول الدولة الموحدية وضعفها، والتي تبدأ من انهزام الموحدين في معركة حصن العِقاب (سنة 609هــ/1212م) ثم نشوب النزاع داخل البيت الموحدي، ولم يمنع ذلك من ذكر ما يتصل بفترة قوة الدولة من خلال العودة إلى أحداث القرن(6هــ/12م)، ومن ثمّ يكون وجه اختلافهما عن صاحبي الصلة والبغية أن الأخيرين عاصرا فترة ازدهار هذه الدولة وتولي خلفائها الأقوياء، ولكنهما لم يرفقا ذلك بالتأريخ لما شاهداه أو سمعا به خلال المائة السادسة، بينما لعب الولاء للدولة ممثلة في حكامها البربر دورًا في اطلاعنا على نبذ من تراجمهم وتاريخ حكمهم في الأندلس عند كتاب تراجم القرن (7هــ/13م).

1- ابن الأبار، ديوان ابن الأبار، تحقيق عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر تونس، وديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط2، 1986م، ص 342.

2- ينظر ابن الأبار، المصدر السابق، ص 37، 66،73، 115، 271، 453 وغيرها.

3- حيث نقرأ له في الحلة السيراء إطراء في وصف أبي حفص بقوله:" الشيخ المعظم المجاهد المقدس المرحوم أبو حفص عمر بن يحيى، رضوان الله عليه، وارث الممالك ومورثها ومطفئ نار فتن التجسيم"، وقوله عن الموحدين: "رجال الدعوة المهدية خلدها الله"، ينظر ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط1 1985م، ج2 ، ص195 و275.

4- استدراك ابن عبد الملك المراكشي على تراجم الأندلسيين ومنافحته عن المغاربة :

لقد تنبه ابن عبد الملك المراكشي المتوفى سنة(703هـ/1304م) إلى هذا الإجحاف والتجافي الذي تعرض له المغاربة من طرف كتاب التراجم في الأندلس، وهو ما حدا به إلى حمل لواء الدفاع والمنافحة عن أهل بلده من خلال تذييله وتكملته لصلة ابن بشكوال على تاريخ ابن الفرضي، فسمى كتابه "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"[1] مواصلاً الترجمة لعلماء" أهل الأندلس والطارئين عليها من غيرهم بذكر من أتى بعده منهم وتكميلها بمن كان من حقه أن يذكراه فأغفلاه"،[2] ورغم اقتصاره على هذين العنوانين إلا أنه اتخذ من كتابه مطية لتوجيه نقده لأشهر من وصل أو ذيل عليهما من أهل الأندلس،[3] أو من سار على نهجهم من المغاربة[4] ويمكن التماس رغبته بالوقوف في وجه ما اعتبره "إفراطًا في التعصب واحتقارًا لأهل العدوة "[5] في أربع نقاط :

أ- اهتمامه بالغرباء الطارئين على الأندلس وإنصافه لهم:

لقد أبان ابن عبد الملك المراكشي في تقديم منهج كتابه عن نقد لاذع لكتاب التراجم الأندلسيين وهذا بعد عرضه بداية للاختلاف الواقع في ترتيب أسماء الأعلام على حروف المعجم بين مؤلفي بلاد المشرق والمغرب[6]، معترضًا على طريقة أهل الأندلس في الترتيب حيث انفردوا بتقديم الأندلسيين وتأخير الطارئين عليهم من الغرباء، معتبرًا أن هذا

1- يتألف من تسعة أسفار عكف عليه مؤلفه عمره كله، وقد وصلت إلينا منها الأول من قسمين وقطعة من الرابع، والخامس من قسمين، والسادس، والثامن من قسمين، في حين بقي الثاني والثالث وقطعة من الرابع والسابع والتاسع في حكم المفقود، ينظر محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص 42-43.
2- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج1 ص6.
3- كابن الأبار في التكملة، وابن الزبير في صلة الصلة.
4- هو أبو العباس أحمد بن يوسف بن فرتون الفاسي في كتابه "الذيل على الصلة" ينظر نقد ابن عبد الملك له، المصدر السابق، ج1 ص10.
5- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ص11.
6- حيث يتفقان إلى حرف الزاي، وبعده عند أهل المغرب والأندلس: ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ي، ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ص9.

"خارج عن عرف المحدثين والمؤرخين"[1] الذين اهتم فهم إنما ينسبونه إلى البلد الذي صار مستقره"[2] وضاربا المثال بأصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) الساكنين بالمدينة أنهم مدنيون مع أن أصلهم من مكة "[3] وكذلك يقولون فيمن استوطن بلدًا غير بلده الذي ولد به"،[4] ورغم أنه لا يستثني أحدًا من أهل التراجم بداية بابن بابن الفرضي ثم ما جاء بعده، إلا أن ابن الأبار نال النصيب الأوفر من هذا النقد لأجل أنه تعمد صراحة تبرير ذكره لبعض الغرباء في قسم الأندلسيين بسبب شهرتهم ومكانتهم العلمية، وهو ما اعتبره ابن عبد الملك " إفراطًا في التعصب الذي كان الغالب عليه حتى غلا فيه"[5] ومستشهدًا بابن المناصف[6]، حيث إن ابن الأبار أكد مصححًا مولده ببلاد المغرب إلا أنه عمد إلى الإخلال بشرطه قائلاً عنه :" وذكره في الغرباء لا يصلح ضنانة بعلمه على العدوة"[7] فعطف ابن عبد الملك معلقا: "وحسبك ما اشتمل عليه هذا القول من الشهادة على قائله بما لا يليق بأهل الإنصاف من العلماء واستحكام الحسد المذموم، واحتقاره طائفة كبيرة من الجلة العدويين"[8].

وينبغي التأكيد هنا أننا لم نعثر على أي اعتراض على هذا التصنيف عند من سبقه من المغاربة، بل هناك من سلم لهم على سبيل الموافقة والتأييد، وهو ما نلمحه من كلام ابن بشكوال في المراسلات التي تمت بينه وبين القاضي عياض في عدة مواضع من كتابه الصلة[9].

7- نفسه، ص 10.

1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ص10.

2- نفسه ، ص 11.

3- نفسه، ص11.

4- نفسه، ص 10.

5- هو محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ بن محمد الأزدي، مهدوي نشأ بتونس وهو قرطبي الأصل، يكنى أبا عبد الله تولى قضاء بلنسية ومرسية وله الكثير من المصنفات، توفي سنة 620هـ/1223م. ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ج8 ص 345-349 .

6- ابن الأبار ، المصدر السابق، ج 2 ص203.

7- ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ج1 ص11.

8- منها على سبيل المثال قوله عن إسماعيل بن حمزة بن زكرياء الأزدي المالقي بعد ما أورد اسمه ضمن البلديين "وهو من أهل سبتة بها ولد ... نبهني على ذلك القاضي أبو الفضل، وكتب به إلي صحيفة أن يذكر في الغرباء، ابن بشكوال، المصدر السابق، ص99.

لقد كان بالإمكان أن نستجلي صورة أكثر و
لهم لو أننا ظفرنا بهذا القسم كاملاً من كتابه" الذيل والتكملة" وبخاصة المغاربة منهم لأنهم لأنهم أصحاب الحظ الأوفر من الترجمة في الجزء الواقع بين أيدينا – حيث يبدو القرب الجغرافي للعدوتين أهم محفز لانتقالهم – على الرغم من أن مصطلح الغرباء يراد به كل من طرأ على الأندلس من غير أهلها[2]، سواء كانوا من المشارقة أو المغاربة، ولعل هذا ما ما يفسر سبب اهتمامه بهم خاصة وأن تراجمهم عند أهل الأندلس توحي بقلتهم ويغلب عليها الاقتضاب بينما هم يشكلون في نظره "طائفة كبيرة"[3]، قام بفصلهم عن الأندلسيين في في آخر كتابه، معللاً ذلك بأن " إفرادهم بالذكر بعد الفراغ من ذكر أهل الأندلس يكون أرفع لهم، وأدل للناظر على ملتمسهم وأوضح لتمييزهم عن سواهم"[4] ومن فرط تهممه أنه أنه كان يستطرد في أخبارهم ويطيل فيمن له شهرة منهم، إطالة لا عهد لتراجم الأندلسيين بها[5].

ب- إشادته بإسهام المغاربة ومنافستهم لأهل الأندلس :

رغم الانتقائية التي انتهجها ابن عبد الملك عند ترجمة المغاربة بسبب تقيده والتزامه بشرط الأندلسيين في ذكر الداخلين إلى الأندلس فقط، إلا أن هذا لم يمنعه من إبراز افتخاره وإشادته بمن ذكرهم منافسة للأندلسيين ووقوفًا في وجه تعصبهم واحتقارهم لأهل المغرب، فنذكر من ذلك إشادته بعلم أبي موسى الجزولي[6] المغربي الداخل إلى

1- يرى المحقق محمد بن شريفة أن السفرين السابع والثامن من الذيل والتكملة أكثر أسفار هذا الكتاب صلة بتاريخ المغرب ورجاله، وذلك لاختصاصهما بتراجم الأعلام المغاربة، واشتمالهما على فوائد جليلة ومواد نافعة لدارسي عصر الموحدين، ويشتمل السفر السابع على الأعلام المبدوءة أسماؤهم بالحروف الآتية: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط، وقسم كبير من حرف العين. ينظر مقدمة المحقق، الذيل والتكملة، ج 8 ص 133-134.
2- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج1 ص11.
3- نفسه، ص13.
4- نفسه، ص13.
5- ينظر مثلا ترجمته لميمون بن علي بن عبد الخالق الصنهاجي، وعلي بن محمد بن عبد الملك أبو الحسن بن القطان الكتامي، ابن عبد الملك المراكشي ، نفسه، ج8 ص388-404، وج8 ص165-195.
6- هو عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت بن عيسى بن يوماريلي البربري اليزد كتني العلامة أبو موسى الجزولي المراكشي، وجزولة بطن من البربر واليزدكتني فخذ منها، رحل إلى المشرق فزار مصر وتجول بها فأخذ العربية والنحو عن علمائها، ثم قفل إلى بلاد المغرب فأقام بجزائر بني مزغنا، فأخذ أصول الفقه وبها درّس العربية، ثم أجاز إلى الأندلس، وفي المرية أخذ عنه جماعة من أهلها، ثم استوطن مراكش حيث قربه المنصور الموحدي، واحتفى به، ثم لقي حظوة عند ابنه الناصر إلى أن توفي سنة 607هـ/1210م، ينظر السيوطي، المصدر السابق، ج2 ص197. وابن عبد الملك المراكشي، نفسه،ج8 ص246 وما بعدها.

الأندلس ودفاعه عن صحة نسبة كراسته القزولية[1] شككوا في نسبتها إليه وأن "كل ذلك مما ينبغي التعريج عليه، وإنما هي تقولات حسدته النافسين عليه"[2] ومعتمدًا على تأكيد صحة نسبتها إليه بوقوفه على خط صاحبها، زيادة على رسوخ قدمه في علم النحو،[3] وإظهارًا منه على مدى منافسة المغاربة لأهل الأندلس أورد قصة طريفة لأبي علي الشلوبين الأندلسي[4] عند قدومه مراكش، وكيف أنه بهت لما شاهد مجلس الجزولي واطلع على قدرته في علم النحو واستبحاره فيه، فأقر على نفسه بأنه لن يسود بعلمه في هذا البلد[5]"وعاد إلى إشبيلية مقضيًا العجب مما شاهده".[6]

ومن ذلك أيضا تشكيكه في عبارة كان قد أوردها ابن بشكوال في صدر كتابه الصلة[7] حيث يتوهم الواقف عليها أنها من كلامه بينما أصل العبارة حسب ما أكد ابن عبد الملك هي لأحد أشياخ بلاد المغرب،[8] وهذا التشكيك في أسلوب ابن بشكوال إنما يفهم منه مدى قدرة ابن عبد الملك على معرفة أساليب كتاب التراجم والتفريق بينها. ونجده في موضع آخر من قسم الغرباء يعترض على ابن الأبار ذكره لأحد الخرسانيين[9] منكرًا عليه ذلك على اعتبار أنه لم يدخل الأندلس أصلاً، وأن تونس هي أقصى ما وصل إليه من بلاد

1- هي كراسة في النحو وعنها يقول السيوطي : "هي حواشي على الجمل للزجاجي، وقال بعضهم، ليس فيها نحو، وإنما هي منطق بحدودها وصناعتها العقلية" السيوطي، المصدر السابق، ج2 ص197.

2- ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ص 248.

3- ابن عبد الملك المراكشي، نفس المصدر الجزء والصفحة.

4- هو عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الأزدي، الإشبيلي أبو عمر الشلوبين، كان ذا معرفة بالقراءات، متقدما في العربية، قدم مراكش أيام المنصور من بني عبد المؤمن، وتوفي بإشبيلية سنة645هـ/1247م. ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ج5 ص460 وما بعدها.

5- ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ج8 ص249.

6- نفسه، ص250.

7- وردت هذه العبارة في قوله : " سألني صاحبنا الفقيه الزكي المحدث الكامل أبو محمد عبد الله بن إسماعيل بن فرج، تولى الله تعالى كرامته وضاعف جلالته، مناولة كتاب الصلة، فأجبته إلى ما سأل على وجه الطاعة له بعد أن أشفقت مما رسم أن يتعاطى مثلي مع مثله منزلة الأشياخ، لكن بعض الشيوخ كان يقول: موافقة الإخوان خير من الإبقاء على النفس ... "، وأن العبارة المنتحلة هي بداية من قوله : " فأجبته ... إلى النفس "، كتبها أبو عمر السفاقسي إلى القاضي أبي عمر أحمد بن محمد بن الحذاء الأندلسي المتوفى سنة 335هـ/965م، وقد عبر ابن عبد الملك عن سروره بصدق حدسه في ذلك، ينظر، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج 4 ص 182-183.

8- هو أبو عمر السفاقسي، لم أقف على ترجمته وتبدو مغربيته ظاهرة من نسبته إلى سفاقس إحدى المدن بإفريقية.

9- هو محمود بن أبي القاسم الفارسي يكنى أبا المعالي، زار المغرب على عهد الناصر من بني عبد المؤمن، كان فقيهًا شافعي المذهب، ذا حظ صالح من الأدب ناظمًا ناثرًا، توفي بالعراق ولا تعرف سنة ذلك. ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ج 8 ص 368-372.

المغرب[1]، إلا أنه استأنس بترجمته حيث ناسب ذلك ذي الأصل المغربي، قصيدة في مدح هذا الخرساني، معللا إثباتها – مع طولها – بأن في ذكرها " تنبيهًا على ما لأهل المغرب في الفضل من الحسن والزيادة"[2].

وتحظى" بلاد العدوة" عنده بمكانة بارزة في الحياة العلمية لا تقل أهمية عن الأندلس، وبخاصة عند ذكر الأندلسيين الذين لهم تجول بها طلبا للعلم، فتراه لا يغفل عن ذكرها تنويهًا بمدنها ومجالسها العلمية، وأعلامها الذين أسهموا في التواصل الفكري والعلمي بين العدوتين، ومن المؤكد أن لمغربيته دورًا في هذا الإلمام الذي مكنه من إتمام ما أغفله غيره[3]. ومن باب الإنصاف والموضوعية التأكيد على أن النهج الذي سلكه ابن عبد الملك المراكشي في " الذيل والتكملة" جعله يمثل الطرف المغربي الأكثر مبالغة في منافرة الأندلسيين ومنافستهم، فلم يسلم هو ذاته من الدخول في معتركها، وهذا لكثرة ما يمكن أن نرصده له من متابعة ونقد لهم أوصله إلى حد التشكيك والهجاء والتعريض بهم.[4]
بهم.[4]

جـــ- ذكره لإسهامات الموحدين العلمية في الأندلس والتأريخ لدولتهم:

يمثل كتاب "الذيل والتكملة" أحد المصادر المهمة في التأريخ لدولة الموحدين عامة والحياة العلمية على عهدهم خاصة، وإن كنا نخص بالذكر هنا صُقع الأندلس المغيب عند من أسلفنا من كتاب التراجم الأندلسيين المعاصرين للموحدين إلى نهاية القرن(6هـــ/12م)، وهي فترة ازدهار الدولة وتقدمها الحضاري وتفوقها العسكري والسياسي، فإن ما أورده ابن عبد الملك المراكشي يعد بحق تتبعا لما تم إغفاله وعرضًا للمسكوت عنه، ولذلك وصفه محمد من شريفة بإمام المؤرخين بالمغرب بعد أن عرض

1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص368.
2- نفسه، ص 368.
3- يظهر تفاوت بين ابن عبد الملك المراكشي وغيره من كتاب التراجم الأندلسيين عند تتبعنا لذكر عبارة "بلاد العدوة" أو ما أدل عليها، ينظر عن ذلك للمقارنة ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ج6 ص24، 174، 191، 252،255، 289، 429.
4- من ذلك زيادة على ما ذكر أورد رواية تشكك في نسبة كتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" لابن رشد، ورواية نسب فيها ابن عميرة المخزومي إلى الأصول اليهودية، وعرّض بأبي علي الشلوبين الإشبيلي النحوي عندما اعتبر أن كثيرا من أهل بلده كانوا يرغبون بأبنائهم عنه ولا يسمحون للتتلمذ له لقبيح لا يليق بأهل العلم نسبوه إليه، ناهيك عن حدته في الرد على الأندلسيين فيما له علاقة بالشعر والنثر، وقد تفطن إلى ذلك التجيبي وهو أحد تلامذته حيث دافع عن شيخه ابن الزبير فيما رصده من تعليقات وردت في السفر الرابع من الذيل والتكملة.

منهجيته في الكتابة التاريخية، وأن ما ورد في كتاب الموحدين وأصح نصوص هذا التاريخ؛ ذلك لما عرف به محررها من اطلاع واسع وإكباب طويل على المدونات التاريخية والوثائق الرسمية، ولما يلتزم به من منهجية صارمة وموضوعية عادلة"[1]، وعن قيمة الكتاب العلمية فيرى محققه " أنها أوسع من قيمته الأدبية لأن الحياة العلمية من حيث حركة التعليم والتأليف هي محور الكتاب ومداره"[2] وأن الواقف على عدد المصادر والموارد التي اعتمدها فيه، يجد أنها" تؤلف القاعدة العريضة لمن يدرس الحركة العلمية والفكرية في عصر الموحدين دراسة منهجية ومتقصية"[3]، وهو يقدم بذلك عرضًا غاية في الإلمام والوضوح مما يتيح للباحث رصد علاقة السلطة الموحدية بطبقة العلماء المغيبة عند صاحبي الصلة والبغية، حيث جاء حافلاً بأسماء خلفاء الموحدين وأمرائهم وولاتهم الداخلين إلى الأندلس، ذاكرًا لإسهاماتهم العلمية في عرض لمناقبهم ونوادر أخبارهم، وهو ما يتم إرجاء الحديث عنه بشيء من التفصيل في فصل الحياة العلمية بالأندلس.

د- وقوفه عند أسماء البربر تحقيقًا وضبطًا:

إن ما يلفت انتباه الباحث عند رصد أسماء البربر الداخلين إلى الأندلس في الكتاب، هو انفراد صاحبه دونًا عن غيره من كتاب التراجم الأندلسيين بذكر أعلام تتضمن أسماؤهم تراكيب لألقاب وكنى بربرية تختلف من حيث نمط ترتيب حروفها عن الأسماء العربية، وهو ما جعله يدرجها حسب توافق بدايات حروفها مع الترتيب المعجمي الذي اعتمده دون أن يساير أهل التراجم في تخصيص أقسام لأفراد الأسماء والكنى وتفاريقها، والتي تضم عادة الأسماء غير المعهودة، ومن ثمة حرص في الغالب على ضبط حركاتها تجنبًا لما قد يعتريها من تصحيف وعجمة عند قراءتها، أوإعادة نسخها مع التأكيد أن هذا لا يتم دون تحريه السماع عند النطق بها، وفي أحايين نجده يعطي ترجمة لمعناها باللسان

1- ابن عبد الملك المراكشي،المصدر السابق، ج 8 ص 16.
2- نفسه، ص16.
3- نفسه، ص17.

العربي[1] في محاولة منه لرفع الإشكال والغرابة ع... البربر، ولعل ما ساعده على ذلك نشأته في بيئة يغلب عليها الطابع البربري وتحكمها قيم وعادات حافظ الكثير من البربر على التمسك بها، والتي منها توريث الأسماء البربرية لأبنائهم رغم مواكبة قبائلهم فيما سلف من تاريخهم لاعتبارات عملت على تفضيل غيرها من الأسماء كظهور الإسلام وانتشار اللغة العربية[2].

ورغم ضياع تراجم عديدة من هذا القسم إلا أن ما بقي منها يظهر مدى أهمية الإضافة التي قدمها المؤلف في التعريف بالعناصر البربرية وأغفلها غيره من الأندلسيين، وهو ما يقودنا إلى التساؤل حول سبب قلة عثورنا على أسماء بربرية شبيهة بها في تراجم الأندلسيين التي تغلب عليها الأسماء العربية ولا يتميز أصحابها إلا بانتسابهم إلى قبائلهم أو تصريح المترجم بأصولهم، في حين يختفي العديد منهم بسبب "غلبة شهرة الولاء واكتساب أنساب عربية"[3]، وبخاصة إذا ما سلمنا بخصوصية بربر الأندلس البلديين لاعتبارات سياسية وتأثيرات مخزونات المجتمع الأندلسي عبر تاريخه[4]؛ فكيف بمن تأكدت محافظتهم على أسمائهم وكناهم البربرية في بلاد المغرب، وقامت المصادر التي اهتمت بتراجم المغاربة وتاريخهم بتدوينها خلال القرن السادس ومستهل السابع الهجريين، كأبي

1- من ذلك مثلا حرصه على ترجمة جميع الألقاب والأسماء والصفات البربرية الواردة في اسم أبي موسى الجزولي، ينظر ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص246.

2- ثبت في الصحيح عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :" إنّ أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن" رواه مسلم، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، صحيح مسلم، مؤسسة المختار القاهرة ط1 2005م ص918، وفي السنن عن أبي الدرداء أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال :" أحسنوا أسماء أبنائكم فإنهم يدعون بها يوم القيامة" وقال :" تسموا بأسماء الأنبياء" سنن النسائي، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، دمشق، ط1، 2001م، ج6 ص262.

3- محمد حقي، المرجع السابق، ص 117.

4- حيث لا يوجد نص صريح يوضح هذا التحول الذي اتبعه البربر في الأندلس غير عزوه إلى محاولة اندماجهم في مجتمع عملت سلطته خاصة خلال الفترة الأموية على تفضيل وتغليب السمة العروبية وترسيخ حضورها، ومن ثم كان الحرص منها على معرفة عناصر المجتمع بتمييز أنسابهم وطبقاتهم، وهي المهمة التي أوكلها الأمويون للمؤرخين العارفين بالأنساب، فظهرت كتابات مثل: كتاب الحكيم عبد الله بن عبيد الله الذي رفعه إلى عبد الرحمن الناصر سنة 330هـ/941م و"الذي ذكر فيه الخلفاء ومن تناسل منهم بالأندلس، ومن سائر قريش ومواليهم وأهل الخدمة والتصرف لهم ومشاهير قبائل البربر الذين احتلوا الأندلس" وللرازي مؤرخ الدولة الأموية " كتاب أعيان الموالي بالأندلس" كما اشتهر عن الحكم المستنصر تحريه للأنساب وتقييده لذلك بخطه ودفعه للعارفين بها رصدها في مصنفات رفعت إليه، وتواصل هذا التصنيف لعناصر المجتمع الأندلسي على أساس العرق إلى النصف الأول من القرن 5هـ/11م عند من بقي متمسكا بولائه للأمويين أمثال ابن الفرضي وابن مفرج وابن حيان ثم يبدأ بالاختفاء بعد هذا التاريخ. ينظر ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج 8ص213، وابن الأبار، المصدر السابق،ج2ص82.

ورواية ابن خير الإشبيلي عن تحقيق الحكم لنسب أحد أعلام البربر، فهرسة ابن خير الإشبيلي، وضع حواشيه محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1998م ص162.

بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيدق في أخباره و
سنة (594هـ/1198م) في" تاريخ المن بالإمامة" وابن الزيات التادلي المتوفى سنة (627هـ/1229م) في" التشوف إلى رجال التصوف" وابن القطان الكتامي في" نظم الجمان"، وهو ما لم يعكسه-على الأقل- قسم الغرباء في كتب التراجم الأندلسية على الرغم من استمرار حركة الهجرة نحو الأندلس، ثم اتساعها عند توحيد العدوتين.

وفي الجدولين التاليين صورة تقريبية لاختلاف أسماء الأعلام بين الأندلسيين والمغاربة:

1- عند المغاربة أو من أرخهم:

المؤلف	المصدر	أسماء البربر وكناهم	نسبته في البربر	موطنه	سنة وفاته أو الفترة التي عاش فيها
البيدق	أخبار المهدي بن تومرت	- يبورك آيمسيجين	- مصمودي	من أهل المغرب	القرن 6هـ
		- آيسلداين ان وه ناين	- مصمودي		
		- وتيميغن بن أبي غزوان	- هنتاتي		
		- مسعود بن ورتيغ	- زناتي		
		- زيري بن ماخوخ	- صنهاجي		
		- محمد بن تافطين	- جزولي		
		- تاماكونت بنت سير بن وربيل	- صنهاجية		
ابن صاحب الصلاة	المن بالإمامة	- عمر بن تيمصليت	- تينملي	مغاربة دخلوا الأندلس	القرن 6هـ
		- محمد بن تيفليشت	- مصمودي		
		- يلول بن جلداسن	- مصمودي		
		- إين وانودين	- مصمودي		
		- يصلاتن إبن عم المهدي بن تومرت	- مصمودي		
ابن الزيات التادلي	التشوف إلى رجال التصوف	- أبو حفص عمر بن ميكسوط	- الدغوغي	من أهل المغرب	ت546هـ
		- أبو وزجيج يفراكس بن يسولال	- الدكالي		ت 540 هـ
		- أبو يعزى يلنور بن ميمون	- هسكوري		ت 572 هـ
		- أبو ولجوط تونارت بن علي	- إيلاني		ت571هـ
		- أبو يلبخث ياللتن	- هسكوري		ت602هـ
		- أبو وزغار تيفاوت بن علي	- المشنزائي		ت603هـ
		- أبو ويعزان يبريدن بن ويبدن	- إيلاني		ت610هـ

– أبو ينور ووران بن يكطيف		

2-

الأندلسيين:

المؤلف	المصدر	أسماء البربر وكناهم	نسبته في البربر	موطنه	سنة وفاته
ابن الأبار	التكملة لكتاب الصلة	– سليمان بن علي بن محمد بن سليمان يكنى أبا الربيع	– كتامي	– من أهل إشبيلية	642هـ
		– عبد الحق بن سعيد بن محمد بن أيوب يكنى أبا محمد	– هنتاتي	– من أهل قرطبة	634هـ
		–علي بن يحي بن القاسم يكنى أبا الحسن	– صنهاجي	– من أهل المغرب	585هـ
		– محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مطرف يكنى أبا عبد الله	– نفزي	– من أهل مالقة(غرباء)	590هـ
		– محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن غالب يكنى أبا عبد الله	– غماري	– من أهل شاطبة	635هـ
		– علي بن الحسين بن علي بن الحسين يكنى أبا الحسن	– لواتي	– أهل المغرب (غرباء)	573هـ
		– علي بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن عبد الله يكنى أبا الحسن	– كومي	– من أهل المغرب (غرباء)	ق6هـ
ابن الزبير	صلة الصلة	– عبد اللّه بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد يكنى أبا يحي	– صنهاجي	– من أهل غرناطة	ق6هـ
		– عبد الرحمن بن القاسم بن يوسف بن محمد يكنى أبا القاسم	– مغيلي	– من أهل المغرب (غرباء)	616هـ
		– عبد الرحمن بن محمد بن مغنين يكنى أبا عمرو	– كتامي	– من أهل إشبيلية	620هـ
		– عمران بن موسى بن ميمون يكنى أبا موسى	– هوّاري	– من أهل المغرب (غرباء)	640هـ
		– محمد بن مرزوق بن أبي الأحوص يكنى أبا عبد الله	– زناتي	– من أهل إشبيلية	592هـ
		– يوسف بن محمد بن علي يكنى أبا الحجاج	– صنهاجي	– من أهل بلنسية	640هـ
		– أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلصة يكنى أبا جعفر	– كتامي	– من أهل قرطبة	600هـ

ونخلص من هذا الفصل إلى أن ما وقع بين أيدينا من كتب التراجم التي عاصرت الدولة الموحدية لم ترافق بالترجمة لمن دخل الأندلس على عهدهم رغم أن تواجدهم واستيطانهم في العدوة الأندلسية أكدت عليه النصوص التاريخية والأدبية، وشكلوا بذلك جمهرة من حيث كثافة تواجدهم، وأن تعمد أصحاب هذه المصنفات تجنب ذكر المغاربة وبخاصة من تميزوا بأسمائهم البربرية فوّت علينا معرفة حياة العديد منهم، ولولا المتابعة الحثيثة لابن عبد الملك المراكشي لهذا التجافي لما تمكنا من رصد ذلك.

الفصل الثاني

جهود الموحدين وإسهامهم في إنقاذ الأندلس ودفع الحركة العلمية بها

أولا: الغرض من تحديد الجانب العلمي في الأندلس زمن الموحدين.

ثانيا: نظرة على أوضاع الأندلس السياسية والعلمية قبل جواز الموحدين.

ثالثا: الموحدون في الأندلس:

1- دواعي الجواز ومبرراته.

2- إهتمام الموحدين بالأندلس وأهلها.

3- الإسهام العلمي للموحدين في الأندلس.

أ- نظام التعليم في الأندلس على عهد الموحدين.

- انتشار مكاتب تعليم الصبيان.
- المساجد ودور العلماء.

ب- إسهام خلفاء الموحدين وولاتهم في الحياة العلمية بالأندلس.

ج- ميادين الحياة العلمية:

- الشرعية.
- علوم العربية وآدابها.
- العلوم الاجتماعية.
- العلوم العقلية.

لقد أولى الباحثون اهتماماً كبيراً بالحياة العلم
الزمنية التي مرت بها، والأكيد أن للزخم المعرفي المتنوع الذي اشتهرت به سواء العقلي والنقلي، المنشور منه والمخطوط، ومدة استقرار المسلمين بها لأزيد من7 قرون دوراً في فسح مجال اختيارات الباحثين لرصدها، فجاءت أبحاثهم متنوعة بتنوع الفنون والعلوم، وشملت عدة حقب سياسية متباينة، ولم تقتصر على الأندلس بعمومها، وإنما امتدت إلى أقاليم جغرافية محددة منها، كما انحصرت في مدن خاصة وأفراد بعينهم من أهل السلطة والحكم، وأن الواقف على هذه الأبحاث مجتمعة يدرك أهمية الإشعاع الحضاري الذي قدمته الأندلس ليس للمسلمين وحسب وإنما للإنسانية جمعاء، واعتبرت قرطبة جذوة بدايته، وفيها استمر رسوخ التعليم والحضارة على طول امتدادها الزمني[1]، وقبل الحديث عن إسهامات الموحدين العلمية تحقيقاً لهذه الاستمرارية ينبغي التعريج على نقطتين تمهيديتين:

أولا: الغرض من تحديد الجانب العلمي في الأندلس زمن الموحدين:

إن سبب التركيز على ما قدمه الموحدون خدمة للعلم والعلماء في الأندلس فيه رد على التغييب المتعمد الذي سلكه بعض الأندلسيين في حقهم- كما سبقت الإشارة إليه-، ومحاولة إظهار مدى انسجام بربر بلاد المغرب مع وتيرة التقدم العلمي والحضاري الذي عرفت به العدوة الأندلسية، وإسهامهم في الدفع به من جهة والاستفادة منه من جهة أخرى، وهذا بسبب استمرار ظاهرة المنافرة بين العدوتين والتي غذتها النظرة العنصرية المتفشية داخل المجتمع الأندلسي، وأما عن أطوار الحياة العلمية في العهد الموحدي، فإن عرض فكرة عامة و موجزة عنها يفي بالغرض دون الحاجة للتطرق إلى العلوم وأنواعها وانتشار مراكز تحصيلها وأبرز علماء الفترة ومؤلفاتهم إلا بالقدر الذي يمكننا من توضيح علاقة الموحدين بذلك، لأن جانب الحياة العلمية أشبع إلى حد ما في بحث يوسف العريني"الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين"[2]- الذي يعتبر من أشهر البحوث

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 544.
2- يوسف العريني، المرجع السابق، ص48.

التي غطت مرحلة الموحدين في هذا المجال- غير [illegible] يتناسب مع الفترة الزمنية، ولم يول للدور السياسي والفكري للموحدين إلا مبحثا واحدا من بضع صفحات ضمه الفصل الأول، في حين استغرق اهتمامه بالأندلسيين وحياتهم العلمية معظم الفصول الثلاثة المتبقية، فلم يظهر التأثير الموحدي بالقدر الذي يعكس ظروف انتقالهم كمغاربة إلى الأندلس، وسيطرتهم عليها مع ما يحملونه من توجه عقدي وفكري وإصلاحي جديد يختلف عما كان الحال عليه في البيئة الأندلسية، ولذلك فإن عملية حصر أعلام الفترة المدروسة قياساً على سنوات وفاتهم دون التطرق إلى علاقتهم بالموحدين- في حدود ما تطلعنا به تراجمهم ومؤلفاتهم- استدرج الباحث إلى عرض نظرة شمولية وإيجابية، بالنظر إلى العدد المعتبر من الأعلام والمصنفات وخزائن الكتب ودور العلم التي قام برصدها، بينما تطلعنا المصادر على طبقة من القضاة والفقهاء والكتاب والشعراء وغيرهم وقد انقسمت على نفسها بين فئة معارضة لكل ما له صلة بالموحدين، وأخرى موالية ومدافعة عنهم وعن توجهاتهم السياسية والمذهبية، وأخرى محايدة أو أن المصادر لم توضح بما يكفي لإثبات نظرتها لهم.

ثانيا: نظرة على أوضاع الأندلس السياسية والعلمية قبل جواز الموحدين:

لقد عرفت السنوات الأخيرة من عمر دولة المرابطين اضطرابات سياسية هددت كيان الدولة ونسيجها الإداري، وكان لقيام الموحدين دور بارز في تفاقمها انطلاقاً من بلاد المغرب ووصولاً إلى الأندلس التي استولى النصارى على أجزاء كثيرة من شمالها،[1] وأمام ضعف أحوال المرابطين وارتباك أمرهم وجد الأندلسيون الفرصة سانحة لأن يعلنوا انفصالهم حيث "أخرجوا من كان عندهم من الولاة، واستبد كل منهم بضبط بلده"[2] ولم يبق

1- أورد صاحب المعجب" أن ملك أراغن استولى على بلاد أفراغة وسرقسطة وكثيراً من أعمال تلك الجهات"، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 154-155.
2- نفسه، ص 154.

تحت سيطرة المرابطين غير غرناطة وإشبيلية[1]، ولا ... الحروب الدائرة بينهم مع تكالب قوى النصارى عليهم- وبخاصة في المراحل الانتقالية من تاريخهم- بالفتن، فإن هذه الحقبة العصيبة حملت أيضا اسم "الفتنة"، والتي يمكن حصرها على ما ورد عند المؤرخين وأهل التراجم- بداية من سنة (539هـ/1144م)، وعن مجريات أحداثها أورد ابن سعيد خبر تأليف أحد المؤرخين كتاباً في أخبارها بدأ من هذه السنة، ورتبه على السنين وبلغ به سنة 547هـ/1152م[2]، ووصف الشريف الإدريسي الذي زار الأندلس في هذه الفترة مدينة قرطبة بقوله:"طحنتها رحى الفتنة وغيرتها حلول المصائب والأحداث مع اتصال الشدائد على أهلها"[3]، ولم يكن أفراد القبائل البربرية بمعزل عنها، حيث انفرد ابن حَيون الصقلي الأندلسي بخبر عن " تجمع ثوار البربر من مختلف المدن الأندلسية كإشبيلية وغرناطة ومرسية وبلنسية وسرقسطة، ولم تهدأ ثورتهم إلاّ بدخول الموحدين"[4] حيث تطلب منهم الوضع بضع سنوات قبل أن يستتب الأمر على أيديهم وذلك بإحكام سيطرتهم على الأراضي الأندلسية، ولنا أن نتساءل بالعودة إلى سنوات هذه الفتنة عن أحوال العلماء والحياة العلمية فيها مع تردي الأوضاع وانعدام الاستقرار، وعمدتنا في الإجابة على ما سجلته كتب التراجم التي اهتمت برصد حياة العلماء ومختلف تنقلاتهم ورحلاتهم، حيث نشهد انطلاقاً من سنة 539هـ/1144م ظاهرة جلاء العلماء عن أوطانهم بحثاً عن أماكن أكثر استقراراً وأمناً، في الوقت الذي تعرض فيه غيرهم إلى الامتحان والقتل[5]، ويبين الإحصاء التالي صورة تقريبية عن هذه الظاهرة.

1- أما بقية قواعد الأندلس وجهاتها فنجد من ثوارها، أحمد بن قسي بحصن ميرتلة وابن حمدين بقرطبة وابن همشك في جيان، أما بلنسية ومرسية فتقدم أمرها رجل اسمه عبد الرحمن بن عياض، ثم تولى بعده محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش، وابن الرميمي في ألمرية، وأبو الغمر بن عزون في شريش، وعلي بن عيسى بن ميمون في قادس، وابن حسون في مالقة، وانتزى غيرهم في أماكن غير هذه، ينظر ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 248، وعبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص155.

2- المقري، المصدر السابق، ج 3 ص181.

3- الإدريسي، المصدر السابق، ج2 ص579.

4- ابن حيون الصقلي الأندلسي، كتاب الجمان في أخبارالزمان، مخطوط رقم 2614، المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة ، الورقة رقم 416.

5- ينظر عن بعضهم ابن الزبير، المصدر السابق، ج3 ص 61، وج4 ص 92-165.

أسماء الأعلام	مكانته العلمية	أصل موطنه	زمن			
– أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري	فقيه وتاجر	قرطبة	خرج زمن الفتنة	لبلة ثم فاس	610هـ	جذوة الإقتباس
– علي بن أحمد بن محمد الكلبي	فقيه	قرطبة	539هـ	مرتلة ثم مراكش	565هـ	صلة الصلة
– عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الصقلي	لغوي	إشبيلية	خرج زمن الفتنة	سبتة	541هـ	صلة الصلة
–عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي.	فقيه ومحدث	إشبيلية	خرج من موطنه في الفتنة	لبلة ثم بجاية	582هـ	التكملة
– عبد الغفور بن إسماعيل بن خلف السكوني	من أهل العلم	لبلة	540هـ	بلاد المشرق	؟	التكملة
-محمد بن خليل بن مفرج بن عبد العزيز	فقيه وقاضي	المرية	أزعجته الفتنة عن موطنه	بلنسية	؟	صلة الصلة
- محمد بن محمد بن أحمد التجيبي	قاضي	قرطبة	خرج زمن الفتنة	مرسية	567هـ	التكملة
– محمد بن أحمد بن إبراهيم البغدادي	فقيه	جيّان	سنة 539هـ	فاس	546هـ	صلة الصلة
– محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأنصاري	قاضي	غرناطة	سنة 539هـ	بلنسية	567هـ	التكملة
– محمد بن عبد الله بن ميمون العبدري	فقيه ومشاور	قرطبة	خرج من بلاده في الفتنة	مراكش	567هـ	التكملة
– محمد بن عبد الله بن محمد الخشني	قاضي	مرسية	سنة 539هـ	غرناطة	540هـ	التكملة
– إبراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري	قاضي	غرناطة	أزعجته الفتنة عند انقراض الملثمين	ميورقة	579هـ	التكملة

ليس الغرض من هذا الإحصاء حصر جميع الأعلام الذين اضطرتهم الفتنة إلى مغادرة مدنهم كرهاً، وإنما هي مجرد عينة تمثل شريحة واسعة من المجتمع الأندلسي تم اختيارها على أساس وفرة المادة التفصيلية المقدمة من أهل التراجم عن مراتبهم العلمية،

وأصل مواطنهم وزمن جلائهم ومكان انتقالهم وسنو [illegible] انتقالهم بسبب الفتنة دون إيراد لهذه المعطيات قد يطول، وأول ما يلاحظ عن هؤلاء الأعلام أن منهم من اختار اللجوء إلى المدن الأندلسية الآمنة ولم يبغ عنها بديلاً رغم أن هذا بدا مؤقتاً وأكثر ارتباطاً بمدى تحسن الأوضاع فيها مع قصر المدة، بدليل أننا نجد في السنة الواحدة (539هـ/1144م) من انتقل من مرسية إلى غرناطة والعكس، بينما تنقل آخرون إلى مدن أندلسية ثم منها إلى مدن أخرى في بلاد العدوة، كما يلاحظ أن القضاة يأتون على رأس من مستهم الأوضاع المضطربة، وأغلب الظن أن هذا راجع إلى طبيعة مناصبهم كولايات دينية ملزم أصحابها بالتزام الأحكام والوقوف على سيرها، حفاظا على النظام العام وامتثالاً لأعلى سلطة يمثلونها، زيادة على شهرتهم بين الناس، وكانوا في هذه الفترة أكثر عرضة للخطر من غيرهم، فاضطروا إلى المغادرة طلباً للنجاة، في حين استغل آخرون منهم مكانتهم في المجتمع وهموا بالدعاء لأنفسهم سعياً وراء تولي الإمارة[1] فانغمسوا في أتون الفتنة.

وبقدر ما كانت هذه الأوضاع نقمة على العلماء والحياة العلمية بالأندلس فهي في المقابل نعمة على بلاد المغرب وذلك بانتقال العلماء وسند التعليم إليها[2]، وهو ما أهلها لأن تكون أماكن استيطان دائم للعديد منهم على غرار مراكش وفاس وبجاية وسبتة وتلمسان، رغم ما عرف عن شدة تعلق الأندلسيين بمدنهم[3].

فكيف واجه الموحدون هذه الأوضاع؟ وما الأساليب التي اعتمدوها لإعادة الأمن والاستقرار إلى المدن الأندلسية؟ وكيف كانت ردود أفعال الأعيان وأهل العلم منهم؟

1- منهم عبد الملك بن عبد العزيز قاضي بلنسية، والقاضي ابن حمدين بقرطبة، وابن حسون قاضي مالقة، وأبو عبد الله بن أبي جعفر قاضي مرسية، والقاضي الحكم يوسف بن عبد الرحمن بن جزي ببجيان، ينظر ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف بيروت ط2 ص252 وما بعدها.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1 ص544.

3- المقري، المصدر السابق، ج2 ص 105.

ثالثا: الموحدون في الأندلس:

1- دواعي الجواز و مبرراته:

تكاد المصادر تتفق حول إرجاع سبب اتصال الموحدين بالأندلس إلى أهلها الذين بادروا بالاستنجاد بهم ومبايعتهم[1]على اعتبار أنهم كانوا يشكلون الطرف الأكثر قوة في هذه المرحلة. رغم أن الأمر لم يكن قد استتب لهم على تمامه في بلاد المغرب بحكم انشغالهم بملاحقة فلول المرابطين، وكان أطراف الصراع الداخلي بالأندلس هي من بادرت بالاتصال بالخليفة عبد المؤمن بن علي، حيث تلقى مبايعة "أبي الغمر السائب بن عزون[2] الثائر بمدينة شريش[3]"، وطاع له علي بن عيسى بن ميمون[4] قائد الأسطول البحري للمرابطين والمنتزي عليهم بقادس[5] التي خطب بجامعها أول خطبة لعبد المؤمن سنة 540هـ/1145م.[6]

كما اجتاز إليه ابن قسَي[7] صاحب ثورة المريدين، فكان أن " تحفى عبد المؤمن به وأكرم وفادته، ثم انصرف إلى الأندلس"[8]، ولم يقتصر الأمر على القادة العسكريين

1- وشذ البيدق فتحدث عن ارتداد أهل المرية قبل جواز الموحدين في إشارة قد يفهم منها بلوغ دعوة الموحدين في وقت مبكر إلى الأندلس، ينظر البيدق، أخبار المهدي ابن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1975م، ص69.

2- لم أقف على ترجمة وافية له، وكل ما هنالك أنه أحد ثوار الأندلس في نهاية الدولة المرابطية دعا لابن حمدين في بداية أمره، ثم خلع طاعته واستقل بمدينة شريش وأركش ورندة، إلى أن اتصل بالموحدين وصار واحداً منهم، ينظر ابن عذاري، المصدر السابق، ص38، وابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص242.

3- شريش: مدينة بالأندلس وهي متوسطة حصينة مسورة الجنبات حسنة الجهات، وقد أطافت بها الكروم الكثيرة وشجر الزيتون والتين والحنطة، الإدريسي، المصدر السابق، ج2 ص572.

4- هو أبو الحسن علي بن عيسى ين ميمون اللمتوني قائد الأسطول البحري في دولة المرابطين، استقل بجزيرة قادس في أعقاب الدولة المرابطية، وإليه ينسب تحطيم صنم قادس الشهير، بايع الموحدين وقدم خدماته لهم، ابن أبي زرع، المصدرالسابق، ص345، وابن عذاري، المصدر نفسه ، ص34.

5- قادس: جزيرة جنوب الأندلس، طولها من القبلة إلى مدينة الجوف أثنا عشرة ميلاً، وعرضها في أوسع مواضيع ميل، بها مزارع كثيرة ومن أعجب آثارها الصنم الذي في وسطها.الحميري، المصدر السابق، ص287.

6- ابن عذاري، نفسه، ص27.

7- هو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي أول الثائرين بالأندلس عند اختلال دولة المرابطين، رومي الأصل من بادية شلب، لقي أبا العباس بن العريف بالمرية، وأقبل على قراءة كتب الغزالي، وكان يدعو إلى الثورة، ثم ادعى الهداية وتسمى بالإمام، وفي سنة 539هـ/1144م أقام ثورة عرفت باسم أصحابه المريدين، ينظر ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص197-198.

8- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 251.

فقد قصده القاضي ابن حمدين[1] –الثائر بقرطبة– ب... وعده"[2]، ويفهم من مجمل الروايات التاريخية أن هذه المبايعة إنما وقعت تحت طرف المصالح السياسية وتبادل الأدوار، فقد نزع كل من ابن قسي وابن حمدين يديهما منها[3] ، أما الموحدون فإنهم "بقدر ما اجتهدوا في تحطيم الدولة المرابطية، حاولوا بصلابة حماية إرثها الوحدوي الذي اعتبر تجربة مغربية رائدة، ولم يقبلوا بأن يرتبط تفتيته باسمهم"[4] حيث شكلت مبايعة وفد إشبيلية المكون من أبرز أعيانها وفقهائها[5] الدعم السياسي والشرعي الذي حفزهم للانطلاق نحو مختلف المدن الأندلسية، وتحقيق رغبة أهلها في توحيد ما تفرق، والوقوف في وجه تكالب النصارى وبخاصة بعد أخذهم لإشبيلية إحدى كبرى قواعد الأندلس من يد المرابطين في 12شعبان541هـ/1146م، ودخول عبد المؤمن مراكش منتصراً في شوال من السنة ذاتها[6]، وكما تم توضيحه فيما تقدم أن الموحدين اعتمدوا عند جوازهم على توطين القبائل البربرية داخل المدن وقصباتها[7] قصد إحكام سيطرتهم عليها بضمان ولاء جيوشهم مقارنة بجند الأندلس وقادتهم، وما يؤكد هذه السياسة في تدبير حكمهم لقواعدها اقتصارهم على آل عبد المؤمن وقرابته عند تعيين الولاة عليها[8]، والتي "امتدت إلى الأجهزة الاستشارية والإدارية خاصة العسكرية، فظهرت فظهرت شريحة اجتماعية جديدة مسيطرة حلت مكان تلك الشرائح القديمة"[9]، ورغم أن ما تم جمعه من معطيات لا يفصح عن تفاصيل الحياة الاجتماعية لأفراد هذه القبائل في بيئة تختلف عما تعودوا عليه في بلاد المغرب، فإن الأمر لا يخلو من إشارات توضح ما تميز

1- هو أبو جعفر حمدين بن محمد بن حمدين التغلبي قاضي قرطبة، دعي له بالإمارة سنة 539 هـ/1144م، وتعاورته المحن إلى أن توفي سنة 547هـ/1152م، إبن سماك العاملي، تاريخ قضاة الأندلس، ص103-104.
2- ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص 254.
3- ابن الخطيب، نفسه، ص251-254.
4- محمد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع، مطبعة جذور للنشر الرباط، ط1 2006م، ص30.
5- ترأس هذا الوفد أبو بكر بن العربي الفقيه المالكي إلى جانب عدد من الفقهاء والأعيان، وقد أورد أسماءهم صاحب الحلل الموشية، ص147.
6- ابن عذاري، المصدر السابق، ص33، و الحلل الموشية، ص138.
7- ينظر ص22 من هذا البحث.
8- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 268.
9- عز الدين موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1991م ص213.

به البربر الوافدون على الأندلس، كظهور لغة تخ
متعدد الأجناس والقوميات، فبرزت أسماؤهم وأطعمتهم البربرية في غير موطنهم، وشهرة جمال بناتهم[3]، وشيوع أسماء المصامدة في الوسط الأندلسي نسبة إلى كبرى قبائل الموحدين، وهو ما تعداه إلى التسمية القبلية للدولة عند ابن سعيد وعبد الواحد المراكشي بوصفهما لها بــ" دولة الصامدة"[4] خلافاً لما ذهب إليه كتاب الدولة أو من أرخها.

وأياً ما كان الأمر فإنه بات من الواضح أن الأندلس أضحت مقبلة على مرحلة جديدة من حكم بربر بلاد المغرب بعد تلك التي شهدتها زمن المرابطين غير أنها ذات توجهات فكرية وعقدية مختلفة تماماً، جسدت بعض ملامحها أقدم رسالة[5] ــ بين أيدينا من حيث تاريخ صدورها ــ وجهها عبد المؤمن بن علي إلى من ولاهم على أمر الأندلس، وفيها يحثهم على العدل بين الناس، ويحذرهم من مغبة قتل المسلمين واستباحة أموالهم

1- أدل على ذلك الخطب التي كانت تلقى على جيوش الموحدين باللسان البربري، منها الخطبة التي ألقاها الشيخ الزاهد الزاهد أبو محمد عبد الواحد بن عمر ــ أحد أعلام البربر ــ عند حصار رندة سنة 567هــ/1171م، ينظر مقتطف منها بالملحق رقم02 ص140، وأخرى ألقاها في حضرة أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي سنة 568هــ/1172م عند محاصرة آبلة، ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 524.

2- تبدأ الأسماء البربرية بالظهور في المشهد الأندلسي بشكل واضح مع دخول الزيريين الصنهاجيين نهاية القرن 4هــ/10م، ثم مع المرابطين، وتتعدد أكثر مع دخول الموحدين الذين نجد منهم في هذه الفترة (يصلاتن، يعفور، يلول بن جلداسن، ينتان، يدر، ابن وانودين، ابن يعمور، ابن يمور، بن بخيت، ابن تيمصيلت، ابن تلكعت وغيرهم)، كما حملت بعض ألوان الطعام مسميات القبائل البربرية كالصنهاجي الملوكي واللمتونية ورفيس البربر، وقد تزامن ظهورها مع العهد الموحدي، ينظر ابن عذاري، المصدر السابق، ص46-50، ومؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، تحقيق أمبروسيو هويثي ميرندا، مجلة المعهد المصري للدراساتا الإسلامية، مدريد، 1961-1962م، ص24- 187.

3- ذاع صيت شهرة جمال نساء البربر في بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي لبلادهم، فكن يؤخذن سبايا إلى بلاد المشرق زمن الحكم الأموي، وهو ما جعل المرأة البربرية تتبوأ مكانة بارزة في قصور الأمويين، ومنهن والدة الأمير عبد الرحمن بن معاوية مؤسس الدولة الأموية بالأندلس واسمها "أثل" والتي ارتفعت مكانتها من جارية إلى أم ولد، ويؤكد السقطي الذي بين بعض جوانب المجتمع الأندلسي خلال القرن 6هــ/12م على شهرة البربريات فمدح صفاتهن بين بقية نساء الأندلس وحكى عن رئيس النخاسين بالمشرق تفضيله للبربرية كتامية الأم صنهاجية الأب ومصمودية المنشأ ينظر السقطي، في آداب الحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال وكولان، مكتبة أرنست لوروا، باريس (د ت) ص50.

4 - إذا كان عبد الواحد المراكشي قد نوع في وصف الدولة بين "الموحدية" و"المصامدة" فإن ابن سعيد اقتصر على الوصف القبلي لها "الدولة المصمودية " و"ولاة الصامدة"، وجرّد أبناء عبد المؤمن من ألقابهم السلطانية كقوله: "منصور بني عبد المؤمن" و"منصورهم" و"مستنصر بني عبد المؤمن" و"مأمون بني عبد المؤمن"، وهو ما يقال عن المرابطين، ينظر عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 12-179 و223، وابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1 ص193،238،340، وج2 ص250-257.

5- وجهها عبد المؤمن بن علي عندما وصل إلى تينملل في 16 ربيع الأول سنة 543هــ/1148م، رسائل موحدية، جمع وتحقيق أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب 1995م، ج1، ص61.

وأعراضهم، وإبطال ما كان يؤخذ عنهم من مغارم
يأمر بشيء من ذلك. فقد كان يرى "ضرورة قطع تلك المفاسد وإشعار السكان بالاطمئنان إلى الحكم الجديد وتشريعاته"[2].

2- اهتمام الموحدين بالأندلس وأهلها:

لقد أولت الدولة الموحدية اهتماماً بالغاً بالأندلس وأهلها، فزيادة على تلبية نداء استنجاد الأندلسيين بها في وقت حرج من تاريخهم، والعمل على إعادة الاستقرار بعد إنهاء موجة الاضطرابات الداخلية، الأمر الذي حمل ابن الخطيب على الوصف بأنها " أنقت الأرض من عشب الثوار"[3]، ثم حمل لواء المنافحة والذود عن حوزتها بتصدي خلفائها في حملات جهادية طويلة لاعتداء الممالك النصرانية[4]، عملت على توطيد صلتها بسكان الأندلس عن طريق نشر العدل والمساواة، ومن ذلك قيام الموحدين بمعالجة أخطاء قادتهم في حق الأندلسيين بصرامة وحزم؛ خشية أن ينسب للدولة ما يتعارض مع ما روجت له من أفكار وشعارات، ولنا أن نذكر هنا حادثة أخوي المهدي بن تومرت بإشبيلية من " استطالة أيديهما على أهلها وعلى الأندلسيين المجاورين لها"[5] وقد ظهر منهما "مذهب "مذهب في قتل الناس وإباحة الدماء وأخذ الأموال واتصال الاعتداء"[6] فكان أن أخرجهما عبد المؤمن من الأندلس وقطع صلتهما بها، وتعقب من تعسف في سلطته من عماله وموظفيه بالملاحقة والطرد من الأندلس، من ذلك على سبيل المثال مواجهته لما قام به أبو

1- كالمكوس والقبالات وتحجير المراسي وغيرها، أحمد عزاوي، رسائل موحدية، المصدر السابق، ج1 ص64.
2- أحمد عزاوي، المصدر نفسه، ج2 ص14.
3- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص137.
4- واجه الموحدون في معارك مختلفة مملكة البرتغال في غرب الأندلس وليون وقشتالة وآرغون في الشمال والشرق، وقدموا في سبيل الذود عن الأندلس النفس والنفيس، ينظر عن تفاصيل هذه المعارك ونتائجها، معمر الهادي محمد القرقوطي، المرجع السابق، بداية من ص84.
5- ابن عذاري، المصدر السابق، ص39.
6- نفسه، ص98.

زكرياء يحيى بن يمور [1] باعتدائه على أهل لبلة ح

وخبيثهم ولم يصغ إلى صوت مستغيثهم ، فلما بلغ خبره عبد المؤمن أمر باعتقاله في الحديد وإعادته إلى عدوة المغرب، ولم تخل عهود أبناء عبد المؤمن من أحداث مشابهة سببها جور الولاة والعمال والتي تم مجابهتها بإنزال العقوبة على المتسببين فيها [3] ، مع ما يمكن أن نستشفه من نبرة التذكير باتباع منهج الكتاب والسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي نصت عليهما بعض رسائلهم الرسمية الموجهة إلى القائمين على شؤون الدولة في الأندلس.

ومن تهمم الموحدين بأمرها أثر عن عبد المؤمن قوله:" إن أرض الأندلس تستحق منا كل غال ونفيس" [4]، وجاءت وصية أبي يوسف يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1198م) لتدل على سمو المكانة التي حضيت بها في خلده، وهذا عندما صاغ وصفاً ينم عن ضرورة اهتمام من يخلفه بها، ورعاية من قد يكون مصيرهم الضياع بقوله: " أوصيكم بالأيتام واليتيمة " [5] وعندما سئل عن معنى ذلك قال:"الأيتام أهل جزيرة

7- لم أقف على ترجمته، وحسب ابن عذاري فإنه كان متردداً بالنظر والحماية بما أمر به من الولاية بقرطبة وإشبيلية، ابن عذاري، المصدر السابق، ص52

1- ابن عذاري ، المصدر السابق، ص52.

2- في سنة 568هـ/ 1172م سلط أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عقوبة القتل على الطالب عمر بن سحنون والي باجة لاستبداده وظلمه للرعية، وفي سنة 573هـ/1177م كانت السطوة على الوزراء والعمال ومنهم أبو عبد الله محمد بن معلم مشرف إشبيلية، وفي سنة 571هـ/1175م نكب محمد بن عيسى مشرف إشبيلية بعد أن أخذ ماله، وفي عهد المنصور الموحدي كانت نكبة والي مرسية أبي حفص الملقب بالرشيد سنة 584هـ/1188م لأخذه أموال التجار وإذايته للناس، وعزل محمد الناصر بن المنصور عمه أبا إسحاق بن أبي يعقوب والي إشبيلية سنة601هـ/1204م بسبب مظالم الخواص والعوام. ينظر ابن عذاري، نفسه، ص 128، 139، 199، 243، وغيرها من الأحداث الشبيهة.

3- ابن القطان، المصدر السابق، ص139.

4- ابن سماك العاملي الأندلسي، رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، تحقيق سليمان القرشي، دار الكتب العلمية بيروت ط1،2004م، ص157. وينظر مقتطف من هذه الوصية بالملحق رقم03 ص141 وقد اقتصر ابن سماك هنا على ما له علاقة بالأندلس، وكذا صاحب الحلل الموشية، ص160، مما يفيد أن ابن سماك العاملي هو نفسه مؤلف الحلل، وقد رفع عبد القادر بوباية الجهالة عن هذا المصنف بإعادة تحقيقه وهو تحت الطبع. والوصية أطول من ذلك، حيث أوردها ابن عذاري بتمامها ابن عذاري، المصدر السابق، ص230-232.

الأندلس، والأندلس هي اليتيمة"[1] ثم ذكرهم بما يجب
النصارى صوناً لها ولأهلها، كما أمرهم بإجراء الشرائع على منهاجها .

5- ابن سماك العاملي الأندلسي، المصدر السابق، ص157.
6- نفسه، ص157.

3-الإسهام العلمي للموحدين في الأندلس:

انتهج الموحدون منذ انطلاق دعوتهم سبيل العلم والمعرفة من أجل بعث مجتمع إسلامي هدفه الإصلاح والتجديد، وكانت لشخصية ابن تومرت –داعية الموحدين– ومستواه العلمي دور بارز في تعبئة من حوله ومثال القدوة التي تحتذى، فقد عاد من رحلته المشرقية العلمية "بحراً متفجراً من العلم وشهاباً وارياً من الدين"[1]، ولنشر دعوته وترسيخها ألف مجموعة من الرّسائل تنوعت مواضيعها بين العقيدة والفقه والخطاب الوعظي والسياسي[2]، واتبّع منهجاً تعليمياً صارماً[3]، أخذ فيه بعين الاعتبار بنية المجتمع البربري حيث استعان بلغتهم "فعلمهم التوحيد باللسان البربري"[4]، ولم تنقطع وتيرة هذا النهج بوفاته سنة (524هـ/ 1129م)، بل سار على دربه خليفته عبد المؤمن بن علي فأسس مدرسة بمراكش ضمت آلاف الطلبة من المغرب والأندلس يتعلمون فيها القرآن والحديث ومؤلفات ابن تومرت وفنون الحرب، ومن حينها عرفوا بطلبة الحضر[5]، "ولما كمل له المراد فيهم عزل بهم أشياخ المصامدة عن ولاية الأعمال والرئاسة"[6]، في خطوة منه لمنح أهل العلم الأفضلية في تولي أمور الدولة.

والواقع أن المصادر لا تطلعنا على تكرار مثل هذه التجربة لدى خلفائه إلا أن وتيرة الدفع بالحركة العلمية في منحاها العام استمرت مع استمرار بناء الدولة وتوسيعها، ولعل هذا الانشغال هو الذي حمل الموحدين على عدم فرض تعاليم ابن تومرت بمختلف

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 302.

2- نذكر منها "أعز ما يطلب" و"المرشدة في التوحيد" و"كتاب تحريم الخمر"، و"كتاب الطهارة"، و"كتاب الإمامة" و"كتاب الزكاة" و"علامة المنافق"، و"الكلام في العموم والخصوص"، وقد وردت عناوين هذه الرسائل وغيرها في آخر ورقة من كتاب "موطأ إبن تومرت" وبلغت 43 عنواناً، ينظر ابن تومرت، مخطوط موطأ ابن تومرت، رقم 840 ج، الخزانة العامة، الرباط، والملحق رقم 04 ص 142.

3- ينظر عن هذا المنهج بلقاسم فيلالي، التعليم والدعوة الموحدية (510- 524هـ/ 1116- 1129م)، مذكرة ماجستير غير منشورة، قدمت بكلية الحضارة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003-2004م، ص34 و ما بعدها.

4- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 226.

5- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 150، وعبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 172.

6- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 151.

خطاباتها المذهبية والسياسية على أهل الأندلس، " فأ
أنه معطى جاهز بخلفية تقديسية أثرت على استيعابهم له، واقتصروا من ثم على الأخذ ببعض جزئياته فقط، خاصة وأن التومرتية تحولت إلى مجرد رسوم وطقوس رسمية، أصبح الهدف منها هو تقوية تماسك الصف الداخلي للعصبية المتحولة إلى دولة"[1]، والحديث عن الجوانب الحضارية والعلمية في هذه الفترة بقيت متباينة بين مختلف حواضر الغرب الإسلامي حيث فرضت الأندلس نفسها بحكم رسوخ زخمها الحضاري، وهو ما جعل الدولة الموحدية تستفيد منها.

وحسب ابن خلدون فإن الحظ الكبير الذي ناله الموحدون من الحضارة إنما يعود إلى ذلك الإشعاع الحضاري المعروف عن الأندلس وأهلها، في نظرة أحادية غلّب فيها أسلوب الاستفادة الطوعي والإكراهي بانتقال علمائها إليهم بعد استيلائهم على الأندلس[2]، وهذا الطرح الخلدوني إنما يندرج ضمن مجمل الأمثلة التي ساقها عن دولة الموحدين من وجهة التأثير الحاصل بين البداوة والحضارة، دون أن يستحضر شواهد اندماجهم مع وتيرة الحراك الحضاري الذي عرفته الأندلس، وإسهاماتهم في مختلف تجلياته السياسية والاقتصادية والعمرانية والعلمية.

ولأن الجانب العلمي في الأندلس هو أبرز ما يهمنا في هذا الموضوع فلا بد من عرض ما له صلة بنظام التعليم وأماكن انتشار تحصيله، ومعرفة مدى إسهام خلفاء الموحدين وولاتهم في الحياة العلمية عامة، مع عرض لمحة موجزة عن تأثير الفكر العقدي والمذهبي للموحدين في الأندلس، وموقف علمائها منه.

أ- نظام التعليم في الأندلس على عهد الموحدين:

ظهرت بوادر الحركة التعليمية في الأندلس منذ زمن الفتح الإسلامي، واتضحت معالمها مع تعاقب الدول وازدهار العمران، وعناية الحكام بالعلوم وتشجيع العلماء

1- محمد المغراوي، المرجع السابق، ص 52.
2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 464.

وتقريبهم[1]، وقد تواصلت هذه الحركة مع تواجد المو
تختلف كثيراً عما شهدته العهود السابقة إلا ما كان من إضافة أثبت الموحدون من خلالها قدرة على الدفع بالحركة التعليمية ومسايرة تطورها.

- **انتشار مكاتب تعليم الصبيان:**

عرف مكان تعليم الصبيان في الأندلس بالمَكتب، ويكاد هذا المصطلح أن يكون الأكثر تداولاً لدى أهل الأندلس[2]، وأطلق على القائم عليه لقب المُكتب والمُعلم والمُؤدب، ويفهم من كثرة حامليه في كتب التراجم أن انتشار المكاتب كان واسعاً، وفي أحايين كثيرة ارتبط اسمه بالمسجد، وشمل مختلف المدن والقرى الأندلسية، وهي بالنسبة للصبيان أولى مراحل التعليم، كتب حولها أهل الأندلس مصنفات ورسائل دلت على مدى اهتمامهم بهذه المرحلة المهمة في حياة المتعلم، وقد تحدثت –على العموم– عن الشروط التي ينبغي أن تتوفر في المعلمين وأماكن التعليم، ووصايا للمؤدبين عن طرق التلقين وأهم ما يلقن للصبيان وأساليب التعامل معهم، ورغم التباين الواضح بينها، إلا أن تحفيظ القرآن وتعليم اللغة العربية هما أبرز ما تم التأكيد عليه.

وأقدم ما وقع بين أيدينا من هذه المصنفات رسالة عبد الملك بن حبيب[3] (ت238هـ/852م) إلى معلم ولده[4]، وبعده ظهرت عدة كتب منها: كتاب " آداب المعلمين"

1- ينظر عن تطور حركة التعليم في الأندلس، محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ط1، 1982م بداية من ص 65.

2- هناك مسميات أخرى مثل "المحضرة والحضار"، ويبدو أنها متأخرة من حيث الظهور. الزجّالي، المصدر السابق، ج1، ص 286، وابن عبدون ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م ص25-26، بينما يؤكد الرّصاع أن المغاربة يطلقون على المكتب اسم المسيد، فهرست الرصاع، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس 1967م ص14. وجميع هذه الأسماء لا زالت متداولة لدى المغاربة إلى اليوم.

3- هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي، نشأ في قرطبة وتعلم على يد علمائها، رحل إلى المشرق لطلب العلم، وعند عودته ضمه الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأموي إلى طبقة المفتين وأهل الشورى إلى أن توفي سنة 238هـ/852م، ولابن حبيب عدة مؤلفات في الفقه والحديث والتاريخ. ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1 ص 359.

4- ابن حبيب، رسالة إلى معلم ولده، تحقيق سعيد أعراب، مجلة الثقافة المغربية، العدد 7، 1972م، ص 57-59.

في خمسة أجزاء لأبي عمر أحمد بن عفيف القرطب
أبو بكر بن العربي والرعيني(ت666هـ/1267م) آراءهما حول تعليم الصبيان[2]، وتحدثت كتب الحسبة عن الموضوع ذاته[3]، وألف أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي[4] (ت582هـ/ 1186م) كتاب "تلقين الوليد الصغير"[5]، وقد ناقش بعض الباحثين بإسهاب تاريخ المكاتب وما يتصل بها في الأندلس[6]، وأظهرت المصادر مدى حرص الموحدين على العناية بالصبيان وتحفيزهم على التعلم في المراحل الأولى من حياتهم في بلاد المغرب والأندلس.[7]

أمر عبد المؤمن بن علي أتباعه في إحدى رسائله الموجهة إلى مختلف الولايات بضرورة تعليم القرآن وتحفيظه للنّاس عن طريق أمهر المعلمين والقراء[8]، وعرف عن خلفائه شدة حرّصهم على اختيار أشهر المؤدبين علماً وأدباً لتربية وتعليم أبنائهم، حيث اختبر المنصور الموحدي معلمين لولده وصفا له بأن " أحدهما بر في دينه والآخر بحر في علمه"[9]، فكان جوابه إلى من وصفهما "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ظهر الفساد في البّر والبحر"[10]، ورغم أن ثمة أكثر من دليل يثبت كرم ما كانت تغدقه خزينة الدولة

1- هو أحمد بن عفيف بن عبد الله بن مريوال بن جراح بن حاتم الأموي من أهل قرطبة، كان يعظ الناس بمسجده بحوانيت الريحاني، ويعلم القرآن فيه، ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 47.
2- عمار طالبي، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (د ت)، ج1، ص 233-234، والرعيني، برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق 1962م، ص 270.
3- السقطي، المصدر السابق، ص 68، وابن عبدون، المصدر السابق، ص 25.
4- هو عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الإشبيلي، ولد سنة 510هـ/1116م، كان ذا حظ من الفقه والحديث واللغة، رحل إلى بجاية وتخيرها وطناً، وفيها تولى الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم، وولاية القضاء، رحل إليه الطلبة من كل صوب، وقد خلف عدة تآليف، توفي في بجاية سنة 582هـ/1188م، الغبريني، المصدر السابق، ص 18
5- حققه أبو الفضل بدر العمراني الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.
6- منهم محمد عبد الحميد عيسى، المرجع السابق، ص217، ويوسف العريني، المرجع السابق، ص79، وصفية الديب، التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي غير منشورة، قدمت بكلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، الجزائر، 2000- 2001م، ص 138.
7- ابن القطان، المصدر السابق، ص 178.
8- رسائل موحدية عن كتاب الدولة المؤمنية، تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط،1941م، ص133.
9- الزّركشي، المصدر السابق، ص32.
10- نفسه، ص 33، وهي الآية 41 من سورة الروم.

الموحدية من أرزاق وأعطيات على الطلبة وأهل الع الكفاية عن علاقة السلطة بهذه المكاتب من حيث تنظيمها والإشراف على تسييرها، بما يوحي أن أمرها كان خاضعا لعرف المجتمع وعاداته الموروثة، وأن الأعيان وأهل العلم هم من كان يقف وراء تعيين المؤدبين وترتيب أمور المكاتب، وهو ما يستشف من تراجم الأعلام الذين اشتهروا بهذه المهنة، وحصّلوا نفقتهم منها[2]، حتى أن منهم من أنهى حياته العلمية في المكاتب معلماً للصبيان بعد أن قضى ما سبق منها في التدريس والرواية للطلبة الأكبر سناً[3]، من غير شعور بالحرّج من ذلك تواضعا للعلم وأهله، ولم نقف على ما يثبت يثبت أنه كان يتم التساهل في أمرها كدليل يمكن أن يقاس عليه[4].

ولا غرابة أن تدفع الأسر البربرية بأبنائها إلى أماكن تحفيظ القرآن وتعلم العربية على غرار بقية الأسر الأندلسية، وإن لم تورد لنا المصادر عنها الشيء الكثير، فلا بأس من الاستئناس بحكاية[5] ابن سعيد الأندلسي – وكان إيراده لها على سبيل السخرية والتهكم من البربر–، وما قد يستفاد من رسالة طلبة الموحدين والكافة من أهل إشبيلية إلى المنصور الموحدي عند وصفهم لحال المصنف الذي بعث به إليهم، فكان ردهم أنهم "أخذوا بتحصيله كافة نسائهم وصبيانهم وإمائهم"[6]، و"عمرت بدراسته المساجد والمحاضر"[7].

- **المساجد ودور العلماء:**

عرفت المساجد في تاريخ الحضارة الإسلامية بتعدد أدوارها التي أسهمت في ترقية الفرد والجماعة، دينياً على اعتبارها بيوت للعبادة، ودعوياً بنشرها لرسالة الإسلام

1- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص204.
2- ابن الأبار، التكملة، ج2 ، ص180، وابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 69.
3- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج1 ص 439، وابن عسكر وابن خميس، المصدر السابق، ص 261.
4- حيث ادّعت الباحثة صفية الديب – بلا دليل – أن وظيفة التعليم بالكتاتيب في العصر الموحدي لم تخضع لمعايير محددة كالحصول على الإجازة مثلا، وأن الواحد يكفيه أن يستوعب كتابا في التاريخ أو غيره يؤهله لممارسة التعليم، صفية الديب، المرجع السابق،ص115.
5- ينظر عنها، ص10 من هذا البحث.
6- رسائل موحدية، ج2 ص210.
7- نفسه، ص210.

والتعريف به، وتعليمياً لأجل أنها منارات لنشر العـ... سياسية واقتصادية واجتماعية لا تقل أهمية عما سبق ، وإذا اقتصرنا على الجانب التعليمي وفي الأندلس تحديداً جاز أن يطلق عليها مصطلح المدارس لملازمة التدريس بها مع توجيه مقصد ابن سعيد الأندلسي الذي نفى أن يكون "لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد بأجرة"[2] بأن المراد به – في أغلب الظن – المدارس النظامية الشبيهة بتلك التي شاهدها في بلاد المشرق، والتي لم تقتصر على العلوم النقلية لوحدها[3]، ولذلك اعتبرها أحد الباحثين الفارق الوحيد، حيث ظلت العلوم العلوم العقلية في الأندلس تدرس بعيداً عن المساجد ولم تفرد لها مدارس خاصة[4].

وإذا كان في إقامة المساجد فتح لمدارس العلم ونشره فإن الموحدين اهتموا ببنائها وتوسعتها[5] تنشيطاً للحياة العلمية وفسح مجال التعلم لأعداد كبيرة من المجتمع الأندلسي.

وإلى جانب المساجد نالت منازل العلماء شهرة واسعة حيث اتخذوا منها مدارس يقصدها الطلبة سعياً منهم لكسب الوقت ورجاء خدمة العلم ونيل ثوابه، دون أن يمنع ذلك بعضهم من طلب الأجرة[6]، ولنا في وصف ابن بشكوال أبلغ دليل على أهمية دور العلماء عند ترجمته لأبي عمر أحمد بن سعيد [7] الذي كان يقصده الطلبة في داره بإحدى قرى الأندلس، وهم" نيف على أربعين تلميذا" [8] ثم عدّد أوصاف ما جهز لهم من طعام وتدفئة وإكرام لمدة ثلاثة شهور، وتفيدنا كتب التراجم أن الأمر لم يقتصر على منازل العلماء،

1- ينظر عن هذه الجوانب، محمد ناجي، تاريخ المساجد في الإسلام، دار ابن حزم، بيروت، ط1 2006م، ص82.
2- المقري، المصدر السابق، ج1، ص 220.
3- ينظر عن بعض هذه المدارس، ابن سعيد الأندلسي، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط1، 1970م ص 114.
4- خوليان ربيرا، التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1980م ص 135.
5- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 157.
6- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج5 ص 463.
7- هو أحمد بن سعيد بن علي الأنصاري القرطبي، اشتهر بتعليم الطلبة وإكرامهم، ابن بشكوال، المصدر السابق،ص245.
8- ابن بشكوال، المصدر نفسه، ص 49.

بل تعداه إلى وجود أماكن مختلفة لجأ إليها أهل الموثقين والوراقين[1].

ب- إسهام خلفاء الموحدين وولاتهم في الحياة العلمية بالأندلس:

إن النهج العلمي الذي اختاره الموحدون أساسا لبعث دعوتهم وترسيخ أركان دولتهم مهد لهم طريق الإسهام في الحياة الفكرية المزدهرة بالأندلس، ولم تمنع حملاتهم ضد النصارى، ومواجهة المنتزين عليهم من تغليب الجانب السياسي والعسكري على حساب التوجه العلمي والديني لدولتهم كذاك الذي غلب على غرمائهم المرابطين، وكان للنصيب العلمي الذي حازه خلفاء الدولة وولاتها الداخلين إلى الأندلس والقائمين على أمرها دور في رعاية العلوم وتشجيع الناس على طلب العلم، وإقامة المحاضرات الأدبية والمجالس العلمية، وطبعوا كل ذلك بطابعهم الثلاثي الخاص، العظمة والدين والتجديد[2] فقد كان عبد المؤمن " فصيح اللسان، نبيها عالما بالجدل فقيها في علم الأصول، حافظا لحديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) متقن الرواية، مشاركا في كثير من العلوم الدينية والدنيوية إماما في النحو واللغة والأدب والقراءات، ذاكرا للتاريخ وأيام الناس"[3]، وأن حبه لأهل العلم جعله يقربهم ويؤثرهم "ويجري عليهم الأرزاق الواسعة ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم" [4]، ولا تخلو المصادر التاريخية والأدبية من شواهد عن حسن علاقته بطبقة بطبقة العلماء[5]، وإن وجدت بعض صور امتحانهم والتضييق عليهم فإنها ليست سمة غالبة في عهده[6]، وقد عد أهل التاريخ لعبد المؤمن ثمانية عشرة ابنا عمل على تأديبهم وتلقينهم مختلف العلوم، وجلب لهم أمهر المؤدبين وكبار العلماء، فأهلهم ذلك لولايات

1- الرعيني، المصدر السابق، ص 38، وابن الأبار، المصدر السابق، ج1 ص 273.
2- محمد المنوني، المرجع السابق، ص 13.
3- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 267.
4- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق ص 172.
5- ينظر المقري، المصدر السابق، ج3 ص 419. و ابن ظافر الأزدي، بدائع البدائه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ط1، 1992 م، ص 134 ، وعبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص 182.
6- من الغريب أن هويثي ميرندا قاس ما تعرض له الفقيه محمد بن خيرة القرطبي من رعب بسبب تهديد عبد المؤمن له على تعميم ظاهرة رعب العلماء في البلاد إبان عهده، هويثي ميرندا أمبروسيو، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبد الواحد أكمير، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط1 2004 ص144.

الأعمال في المغرب والأندلس[1]، وكان خليفته أبو بالقرآن، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية ، ويربط عبد الله عنان بين هذه الأوصاف وأصوله من ناحية أبيه وأمه والبيئة البربرية التي نشأ فيها، وأن والده عينه واليا على إشبيلية وهو لم يتجاوز 18 من عمره، وفيها قضى 8 أعوام مكنته من الإطلاع على الحياة الفكرية المزدهرة بها[3]، وعند توليه الخلافة بعد وفاة أبيه اهتم برعاية العلماء واستجلابهم وإغداق العطايا والأرزاق عليهم، وكان شغوفا بجمع الكتب حتى شبه بالحكم المستنصر بالله الأموي[4]، وقد أعجب ابن رشد بحب أبي يعقوب وشدة تعلقه بعلم الفلسفة بقوله: "رأيت منه غزارة حفظ لم أظنها في أحد من المشتغلين بهذا الشأن " [5]، وكان ابنه أبو يوسف يعقوب المنصور " عالما بالحديث والفقه واللغة مشاركا في كثير من العلوم النافعة للدين والدنيا، محبا في العلماء معظما لهم صادرا عن رأيهم" [6]، [6]، وأسهم في " بناء المساجد والمدارس في بلاد المغرب والأندلس وأجرى المرتبات على على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم"[7]، وتابعه على هذا النهج ابنه محمد الناصر لدين الله (595-610هـ/1198-1213م) فاحتفى بالعلماء وأكرم وفادتهم عليه وأجزل لهم العطاء على ما كان يرفع إليه من كتب ومصنفات[8]، وعلى الرغم مما أصاب الدولة الموحدية بعد هزيمة العِقاب سنة (609هـ/1212م) على يد النصارى في الأندلس، وبداية مرحلة الضعف وكثرة الفتن إلا أن الحركة الفكرية الأندلسية استمرت في الاحتفاظ بنشاطها[9]، واستمر خلفاء الدولة في تشجيع الجوانب العلمية، ولم يختلف وصف بن أبي

1- السيوطي، المصدر السابق، ج1 ص 259، وابن عذاري، المصدر السابق، ص 50، وعبد الله علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة ط1 1971م ص63.
2- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 135.
3- عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي القاهرة ط2، 1990م ص135.
4- عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص 175.
5- نفسه، ص 179.
6- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 284.
7- نفسه، ص 284.
8- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج5 ص 321.
9- عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 645.

زرع لإدريس المأمون بن يعقوب المنصور (624
وصف والده وجده بالمشاركة في العلوم ومعرفة الآداب[1].

لم تخرج ولاية الأندلس من يد بني عبد المؤمن، حيث تعاقبوا على إدارة المدن الأندلسية، واتخذوا من إشبيلية حاضرة لهم، واشتهروا بعقد مجالس العلم واتخاذ خزائن الكتب والبحث عن الأعلاق النفيسة منها[2] ومن مناقبهم ما ذكره ابن عبد الملك المراكشي عند ترجمته لأبي زكرياء مجد الدين الأصفهاني الوافد إلى غرناطة، وقد أقدم واليها أبو إبراهيم إسحاق بن أبي يعقوب بن عبد المؤمن على إرسال من يوصله إليه، وعندما أبى ذلك هم الوالي بالاتفاق معه والالتقاء بمكان لا يراهما فيه أحد للأخذ عنه، وفي هذا إشارة إلى حرص الوالي على العلم والتقرب من العلماء[3] ومنهم أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن، الذي ولاه والده على غرناطة فكان " محبا للآداب مؤثرا لأهلها، يهتز للشعر ويثيب عليه، وقد اجتمع عنده من الشعراء وأعيان الكتاب ما لم يجتمع عند غيرهم[4]، وكان وكان أبو عمران بن أبي عبد الله بن يوسف بن عبد المؤمن والي إشبيلية يتخير أمهر الكتاب والنساخ في الأندلس، ويشير عبد الواحد المراكشي عند نزوله إشبيلية أن أحد أصدقائه قدمه " من واليها إبراهيم بن أبي يعقوب يوسف أخي الخليفة الموحدي الناصر فحظي عنده وأصبح من أصحابه وجلاسه "[5]، وقد أثبت أبناء عبد المؤمن بن علي عند دخولهم الأندلس أنهم ليسوا أقل شأنا من الأندلسيين أهل الحضارة والعلم رغم قدومهم من بيئة بربرية يغلب عليها طابع البداوة[6].

1- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 328.
2- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج5 ص 297-299.
3- نفسه، ج8 ص411.
4- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 165.
5- نفسه، ص 173.
6- Dominique Urvoy, pensée d'Al-Andalous, la vie intellectuelle a cordoue et seville au temps des empires berbères (fin XI[e] siècle- début XIII[e] siècle)- édition du centre national de la recherches scientifique, Toulouse,1990.P 63.

ج- ميادين الحياة العلمية:

اشتغل أهل الأندلس بمختلف العلوم النقلية والعقلية، ونالت العلوم الشرعية أهمية أكثر من غيرها، وتليها علوم اللغة ثم التاريخ والسّير، وبدرجة أقل العلوم العقلية.

- **العلوم الشرعية:**

وتشمل علوم القرآن وعلم القراءات والتفسير وعلم الحديث وعلم الكلام والفقه وأصوله[1]، ومن الملاحظ أن مدرسة الحديث شهدت في هذه الفترة اهتماما بالغا أسهمت الدولة الموحدية بقسط كبير فيها من خلال دعوتها بالعودة إلى الكتاب والسنة، وقد عرف عهد أبي يوسف يعقوب المنصور نهضة حديثية[2] شجّعت العلماء على الاشتغال بالقرآن والحديث، والحذر من الخوض في علم الفروع بعد حادثة حرق كتب المالكية الشهيرة[3] والظاهر أن دافع الموحدين من وراء هذه الحادثة هو الحد من الاختلاف الواقع بين رجال المذهب المالكي، والدعوة إلى التجديد بالعودة إلى أصول المذهب حسما للخلاف "وتحسيس الفقهاء بخطورة التقليد وضرورة الرجوع في الاجتهاد الفقهي إلى النصوص الأصلية للإسلام، وليس فقط على ما تراكم من أقوال الفقهاء على مر العصور"[4] ، وأن هذه الدعوة لم تفرض بشكل قصري على فقهاء المالكية إذ نجد منهم من تمسك بالمذهب، بل وكتب أحد الأندلسيين في الرد على المخالفين، ولم يمنع ذلك من توليه قضاء الجماعة في إشبيلية ثم مراكش[5] ورغم أهمية هذا المنصب إلا أن أصحابه تمتعوا باستقلالية لا تقبل

1- تتبع يوسف العريني هذه العلوم وأبرز من اشتهر من أعلامها والمصنفات التي ألفت حولها، ينظر يوسف العريني، المرجع السابق، بداية من ص 212.

2-عبد الهادي أحمد الحسيسن، مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي (554 - 595هـ/1159-1198م)، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لإحياء التراث الإسلامي، المغرب والإمارات العربية المتحدة، 1982م، ص265.

3- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 255 ، وعبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص272.

4- محمد المغراوي، المرجع السابق، ص 162.

5- هو عبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق الأنصاري الإشبيلي قاضي الجماعة بإشبيلية ومراكش على عهد الموحدين توفي سنة 631هـ/1233م، وله كتاب في الرد على ابن حزم، ابن الأبار، المصدر السابق، ج 3 ص 125- 126.

تقبل تدخلا من جانب السلطة[1]، ولم يجد علماء الأند
مثلما تظهر ذلك تراجم أعلام البربر عند التعرض لإسهامهم في الحياة العلمية فيما نستقبل من هذا البحث، وبالمقابل حافظ خلفاء الدولة على رواية موطأ الإمام مالك، وعرف عندهم باسم " موطأ ابن تومرت "[2]، والنسخة المحفوظة منه إلى وقتنا تبدأ في سندها بعبد المؤمن بن علي بحضرة مراكش سنة544هـ/1149م، رواية عن ابن تومرت سنة 515هـ/1121م.

شجع حكام الدولة الموحدية الناس على قراءة مؤلفات ابن تومرت، وأضافوا إليها مصنفات تعتمد في الغالب ظاهر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فقد أمر أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عددا من علماء الحديث بجمع الأحاديث التي تتحدث عن الجهاد، وطلب ابنه وخليفته يعقوب المنصور بجمع أحاديث ترغب الناس في الصلاة، وعرف هذا المصنف بكتاب " الترغيب في الصلاة "[3]، وقد أرسلت هذه المصنفات إلى جميع الولايات، وظهر تداولها في الأندلس خلافا لما جزم به يوسف العريني من أنها " لم تكن ضمن الكتب التي يدرسها العلماء في حلقاتهم، ولم تكن متداولة فيما بينهم" [4] مستدلا في ذلك على أنه لم يرد ذكرها في تراجم العلماء وفهارسهم، وقد اتضح – فيما سبق – أن كتب تراجم أهل الأندلس المعاصرة للموحدين لا يمكن التعويل عليها في الحديث عن إسهام الموحدين في الحياة العلمية بالأندلس، حيث أشار ابن مغاور الشاطبي في إحدى رسائله من إشبيلية سنة 570هـ/1174م إلى تداول أهل الأندلس لمؤلفات ابن تومرت وتدارسها[5]، وتشير

1- محمد بن معمر، نظام القضاء في الأندلس الموحدية خلال القرن6هـ/12 م، محاضرة ألقيت ضمن الملتقى الدولي حول الحضارة الإسلامية بالأندلس في القرن 6هـ/12م (الجزائر أفريل2007م)، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر 2008م، ج2 ص105، وذهب النويري إلى أن عبد المؤمن بن علي جمع الناس على مذهب مالك في الفروع، النويري، تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيق أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1984م ص427- 428.

2- ابن تومرت،" موطأ ابن تومرت" توجد نسخة مخطوطة منه تحت رقم 840ج، الخزانة الحسنية ، الرباط ، وهي برواية يحي بن بكير كما أشار إلى ذلك محمد المنوني، مجلة دعوة الحق، نشر وزارة الأوقاف، المغرب، العدد الأول سنة 7 ، ماي 1976م ص68 وينظر الموطأ بجميع رواياته، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، مجموعة الفرقان التجارية، ط1 2003م، ج1 بداية من ص 142.

3- توجد نسخة مخطوطة منه تحت رقم 4478، الخزانة الحسنية، الرباط، تنظر الورقة الأولى منه بالملحق رقم 05 ص 143.

4- يوسف العريني، المرجع السابق، ص237.

5- ابن مغاور الشاطبي، المصدر السابق، ص 128- 129.

إلى ذلك أيضا إحدى الرسائل الموحدية الموجهة من المنصور جوابا عن مصير الكتاب الذي كان قد بعث به إليهم، وبهذه الرسالة جملة قرائن ترجح أن مقصد المنصور الموحدي نشر هذا المصنف بين الناس نسخا وتعليما، في حين ذكر أحمد عزاوي – محقق هذه الرسائل – أنها جواب على المنصور بشأن الاهتمام بالكتاب والسنة[1]، وهذا يرد من وجوه:

1.صحيح أن الكتاب قد يطلق على الرسالة ولكن القرائن المذكورة توضح بما لا يدع مجالا للشك أنه كتاب فيه توضيح لأمور الدين بالاعتماد على ما ورد في الكتاب والسنة، وهو ما يوضحه قولهم: "...الكتاب الكريم العزيز...لقد أشرقت بما تضمنه من الأنوار الساطعة والآثار البينة الواضحة "[2].

2. وأن هذا الكتاب تضمن فصولا، والهدف منه هو معرفة حقيقة دينهم من كتاب الله و سنة الرسول (صلى الله علية وسلم)، والاطلاع على ما ينفعهم في دنياهم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

3." الاعتكاف على دراسته وحفظه لكل من بلغ سن التكليف أو ناهزه، وأن يحصّل ما فيه النساء والصبيان و الإيماء"[3]

4. " وهو يتدارس بالأبرية والأفنية، ويتلى حق تلاوته... ودراسته في المساجد والمحاضر ...وأعملت في انتساخ نسخته الأمدة والأقلام و المحابر"[4]، ولو كان المراد هما الكتاب والسنة لجاءت الألفاظ الدالة على ذلك مثناه لا مفردة كما هي العادة عند الحديث عن هذين المصدرين.

5. ولو كان هذا الكلام عن القرآن الكريم لاعترض عليه بأن حفظه ودراسته والاهتمام به واقع في الأندلس ولا يحتاج الأمر إلى توضيح وتأكيد، مع إمكان إطلاق التلاوة على غير القرآن.

1- أحمد عزاوي، رسائل موحدية، ج1 ص208 .
2- نفسه، ص209.
3- نفسه، ص209.
4- ينظر مقتطف من هذه الرسالة بالملحق رقم 6 ص144.

6. وإذا كان المراد هما " الكتاب والسنة " فإن
دون تحديد للأحاديث لكثرتها، ودليله ما ذكره عبد الواحد المراكشي أن أبا يوسف يعقوب المنصور أمر جماعة من المحدثين بجمع أحاديث نبوية على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة وغيرها من أمور الدين فأجابوه إلى ذلك وجمعوا ما أمرهم بجمعه، فكان يمليه بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه، وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب وحفظه الناس من العوام والخواص"[1].

لقد حاول خلفاء الدولة الموحدية مواصلة حركة الإصلاح التي انتهجها ابن تومرت بإدخالهم لهذه المؤلفات إلى الأندلس إلا أن تأثيرها مع مرور الزمن بقي محدودا بسبب تمسك عدد كبير من الأندلسيين بالمذهب المالكي والمعتقد السني " ومشاركتهم الفعالة في نشر هذه العلوم في مجالي التدريس والتأليف "[2]، مع التردد الذي انتاب بعض قادتهم حول العقيدة التومرتية إلى أن صدع بإبطالها إدريس المأمون(624-629هـ/1226-1231م) معتبرا أن ما فعله المهدي وتابعه عليه أسلافه بدعة ولا سبيل لإبقائها[3].

وإلى جانب العلوم الشرعية اهتم أهل الأندلس بعلم الوثائق وتحرير العقود لصلته بهذه العلوم خاصة الفقهية منها و"هو صناعة جليلة شريفة وبضاعة عالية منيفة تحتوي على ضبط أمور الناس على القوانين الشرعية، وحفظ دماء المسلمين وأموالهم والاطلاع على أسرارهم وأحوالهم ومجالسة الملوك والاطلاع على أمورهم وعيالهم" [4]، وقد عدد الونشريسي (ت914هـ/1508م) شروط الموثق وما ينبغي له من معرفة بالفقه وعلم الفرائض وسلامة من اللحن وحسن الخط، والحذر عند كتابة الأعداد والتواريخ وكل ما من شأنه أن يوقع الخلاف بين المتعاقدين[5]، وتطلعنا كتب التراجم على مدى صلة هذا الفن

1- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 206.
2- يوسف العريني، المرجع السابق، ص237.
3- ينظر خطبة المأمون عند ابن عذاري، المصدر السابق، ص 286-287، وابن أبي زرع، المصدر السابق، ص251.
4- الونشريسي، المنهج الفائق، والمنهل الرائق، والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق، تحقيق لطيفة الحسني، رسالة لنيل دبلوم الدراسات الإسلامية العليا، غير منشورة، دار الحديث الحسنية، الرباط 1995-1996 م، ج2 ص27.
5- الونشريسي، المصدر السابق، ج2 ص46.

بالقضاء حيث إن الكثير من الموثقين والعارفين
واتخذوا دكاكين خاصة بهم انتشرت في الأسواق[1]، وأسعارهم تختلف حسب الطلب وجودة الوثيقة، ولأهمية هذا الفن علما وصناعة ألف حوله جلة من العلماء مصنفات عرّفت به وبشروط الموثق والوثيقة، وأرخت بذلك لتاريخ ظهوره وانتشاره في بلاد المغرب والأندلس منها كتاب " المقصد المحمود في تلخيص العقود " للقاضي علي بن يحيى الصنهاجي[2] (ت585هـ/1189م) الذي أشاد ابن الأبار بشهرته وجودته وتداوله بين الناس[3]، وقد أسهمت دكاكين الموثقين في الحياة العلمية من خلال نشر هذا العلم بين الراغبين في تعلمه أو القاصدين إليها للأخذ عن أصحابها علوما أخرى نبغوا فيها [4].

- **علوم العربية وآدابها:**

وتشمل هذه العلوم: اللغة والنحو والأدب، وقد اشتهرت الأندلس بمدارسها التي اختصت بتبليغها لطلبة العلم، وعرفت الحركة الأدبية واللغوية ازدهارا على مر القرون التي سبقت العصر الموحدي، وبرز أعلام من اللغويين والنحاة والكتاب والشعراء الذين نافسوا نظرائهم المشارقة[5]، ومن شدة افتخار الأندلسيين بأهلهم وحب منافستهم لغيرهم ألفوا كتبا في طبقاتهم ومناقبهم شملت بعضها القطر الأندلسي، واختصت أخرى بأقاليم بعينها، وتواصل اشتغال أهل الأندلس بهذه العلوم على عهد الموحدين، ولم يخل عصرهم من علماء يرجع إليهم في علم اللغة، وقد تتبع يوسف العريني أبرز الذين اهتموا بالنقد والشرح لكتاب الصحاح للجوهري[6] على اعتبار أن دخوله إلى الأندلس أول مرة كان سنة

1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج1 ص468.
2- هو أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم الصنهاجي، أصله من المغرب وسكن الجزيرة الخضراء وبها درّس الفقه وولي قضاءها، ابن الأبار، المصدر السابق، ج3 ص 245.
3- ابن الأبار، المصدر نفسه، ص245.
4- الرعيني، المصدر السابق، ص38، وابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج6 ص443.
5- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1 ص361.
6- هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، أصله من بلاد الترك ودخل العراق وطاف بعدة مدن في بلاد المشرق لكي يأخذ العربية من مواطنها، توفي سنة 393هـ/1002م، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق فريدة عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية بيروت 1992م ص151.

سنة 595هـ/1198م كما يشير إلى ذلك ابن عبد ال الكتاب ومنتخب الآداب" لمؤلفه البونسي [2] (ت651هـ/1253م) حافلا بالكتب اللغوية التي تم تداولها في الأندلس خلال هذه الفترة واشتهرت بأيدي الناس، مع ذكره لمن برز من اللغويين والأدباء من أهل عصره[3].

وبلغت الدراسات النحوية غاية كبرى في العصر الموحدي، ومن شدة اهتمام الأندلسيين وحرصهم على معرفة النحو اعتبر ابن سعيد أن عندهم من لم يتمكن منه لا يستحق التمييز[4]، واشتهرت إشبيلية بمدينة النحو لكثرة من انتسب إليها من النحاة وإليهم كانت ترفع أسئلة المقرئين ومدرسي النحو من مختلف البلدان[5]، وعرف كبيرهم باسم "رئيس النحاة"، ومن أشهر أعلام هذه الفترة محمد بن صاف اللخمي الإشبيلي (ت586هـ/1190م) وعبد الرحمن بن مضا اللخمي (ت592هـ/1195م) صاحب كتاب "الرد على النحاة"، وعلي بن محمد الحضرمي الإشبيلي(ت609هـ/1212م) الشهير بابن خروف له شرح على كتاب سيبويه سماه "تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب " في أربعة مجلدات أهداه لمحمد الناصر الموحدي فأثابه عليه أربعة ألاف درهم[6]، وأبو علي عمر بن محمد الأزدي الإشبيلي المعروف بالشلوبين (ت645هـ/1247م)، وأبو موسى الجزولي (ت607هـ/1210م) من أعلام البربر الداخلين إلى الأندلس، وغير هؤلاء كثير، رحل إليهم الناس من داخل الأندلس وخارجها، وعلى أيديهم تخرج جلة من علماء النحو.

1- ومن هؤلاء: أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم البطليوسي (ت642هـ/1244م) الذي ألف كتابا جمع فيه بين الصحاح والغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام، ووضع محمد بن علي الشاطبي (ت648هـ/1250م) حواشي عليه، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج1 ص29. وتنظر مقارنة يوسف العريني، المرجع السابق، ص284.

2- هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي الفهري من أهل شريش، ويعرف بالبونسي نسبة إلى قرية بونس من أعمال شريش، ابن الأبار، المصدر السابق، ج1 ص146.

3- ينظر الفهرسة التي وضعتها المحققة لكتاب البونسي، كنز الكتاب ومنتخب الآداب، تحقيق حياة قارة، المجمع الثقافي، ط1 2004م، ج2 ص638.

4- المقري، المصدر السابق، ج3 ص 184.

5- محمد المنوني، المرجع السابق، ص44.

6- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج5 ص310.

اعتنى الأندلسيون بالأدب وفنونه في عصر ال للاستقرار السياسي الذي عرفته الأندلس خلال هذه الفترة دور في ازدهار الحركة الأدبية حيث تنافس الشعراء والكتاب على تقديم أفضل ما لديهم من منظوم الكلام ومنثوره، ولم يخل أدب هذا العصر من مظاهر التجديد والاستقلال[1]، وأظهرت الدراسات الحديثة مدى تأثير ظروف الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية على ما بلغته الحياة الأدبية من تنوع وانفتاح على فنون الأدب بمختلف اتجاهاته، منها الأدب السياسي مع بداية سيطرة الموحدين على الأراضي الأندلسية ومحاولتهم التقليل من شأن المرابطين، وقد مثل شعر يحيى بن سهل اليكي أنموذجا لتبرير الثورة ضدهم[2]، وتنافس أدباء الأندلس في رفع رسائل سلطانية[3] إلى حضرة مراكش غاية في البلاغة والجودة، واختلفت أغراضها بين الإبلاغ عن البيعة أو عرض أحوال البلد الدينية والدنيوية[4]، كما تنافس الشعراء في مدح خلفاء الدولة وولاتها في الأندلس، منهم محمد بن غالب الرصافي البلنسي[5](ت572هـ/1176م) الذي اشتهر بقصيدته في مدح عبد المؤمن بن علي عند اجتيازه إلى الأندلس وبنائه مدينة جبل الفتح، ومحمد بن أخيل الرُندي[6] وابن حريق البلنسي[7]، وغيرهم ممن شارك بأدبه في دعم سلطة الموحدين بالأندلس.

1- حكمة علي الأوسي، الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة (د ت) ص243.

2- حكمة علي الأوسي، المرجع السابق، ص98.

3- كانت مواضيعها تدور حول السلطة وعلاقاتها برعاياها في الأمور الدينية والدنيوية، كما أنها تبتعد في صياغتها كل البعد عن الأساليب الشعرية، الطاهر محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع والثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993م، ص 84-85.

4- ينظر نماذج من هذه الرسائل، ابن مغاور الشاطبي، المصدر السابق، بداية من ص118، والبونسي، المصدر السابق، ج1 ص 258-262.

5- هو أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافي من رصافة بلنسية، اشتهر بمدح عبد المؤمن بن علي، ومن تولى من أبنائه في الأندلس كابن سعيد وعثمان على غرناطة وبلنسية، ينظر شعر الرصافي البلنسي، المصدر السابق ص 101-127.

6- هو أبو بكر محمد بن أخيل من أهل رُندة، لا تعرف سنة وفاته، غير أنه كان حيا بعد عام 580هـ/1184م، اشتهر بمدح خلفاء الموحدين وولاتهم وبرسائله السلطانية، ينظر ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6 ص110، والبونسي، المصدر السابق، ج2 ص262.

7- هو علي بن محمد بن أحمد بن حريق المخزومي البلنسي شاعرها الفحل المستبحر في الأدب واللغات دوّن شعره في مجلدين، إبن الأبار، المصدر السابق، ج2 ص174، وتنظر أمداحه في ولاة الأندلس، محمد بن شريفة، ابن حريق البلنسي حياته وآثاره، دراسة وتحقيق، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب ط1 1996م، ص111 وما بعدها.

ودخل غير هؤلاء الشعراء في خضم التنافس
الهزيمة في وقعة العِقاب سنة (609هـ/1212م)، وبداية مرحلة الضعف التي أعقبت هذه المعركة، ووفاة محمد الناصر الموحدي سنة (610هـ/1213م) .[1]

عرف التصوف في عصر الموحدين انتشارا واسعا، وإقبالا لا نظير له بسبب سياسة تقريب العلماء التي ميزت علاقة الموحدين بالصلحاء والعباد، وبالرغم من أن التصوف سلوك وممارسة وليس علما بحد ذاته إلا أنه كظاهرة عرفها المجتمع وتأثر بها، أدى إلى تعدد الرباطات وكثرة المريدين في بلاد المغرب والأندلس، وظهر أعلام من المتصوفة تنقلوا بين العدوتين، وعكست محتويات مصنفاتهم حرية لم يتمتعو بها في عهد الدولة المرابطية كابن عات النفزي[2] وأبي مدين شعيب[3]، وابن عربي[4] وابن سبعين[5]، ومن تأثر تأثر بهم وسار على خطاهم كأبي الحسن الششتري[6] وغيرهم، وكان من نتائج هذا الظهور الظهور انتشار الأدب الصوفي بجميع أنواعه وأنماطه وأشكاله[7].

1- ينظر عن هذه الخصومات الشعرية السياسية ، حكمة الأوسي، المرجع السابق، ص99.
2- سترد ترجمته بشيء من التفصيل في الفصل الثالث.
3- هو أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الاشبيلي نزيل بجاية، أخذ العلوم الشرعية والتصوف عن شيوخ الأندلس وفاس، كان شيخ الصوفية في وقته، ولما اشتهر أمره ببجاية استدعاه المنصور الموحدي إلى مراكش فأتته منيته وهو في تلمسان سنة 594هـ/1197م وقيل غير ذلك، ودفن بمقبرة العباد، من أثاره وصاياه وحكمه المشهورة، وديوان شعر. ترجمته عند ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج4 ص127، والغبريني، المصدر السابق ص7.
4- هو أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي، يلقب بمحي الدين ويعرف بابن العربي، أصله من مرسية، وسكن إشبيلية له تآليف كلها في علم التصوف، توفي نحو 640هـ/1242م، الغبريني، المصدر نفسه، ص78.
5- هو أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسي، له علم وحكمة ومعرفة ونباهة وبراعة وبلاغة، رحل إلى العدوة وسكن بجاية، وله شعر في التحقيق وكتابته مستحسنة في طريق الأدباء، توفي سنة 609هـ/1212م، الغبريني، نفسه، ص110.
6- هو أبو الحسن علي بن عبد الله النميري، عروس الفقراء، له علم وعمل بالحكمة ومعرفة بالطرق الصوفية، وله تقدم في النظم والنثر، توفي سنة 658هـ/1259م، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة،ج4 ص205، وعن أشهر علماء المتصوفة بالأندلس في هذه الفترة ينظر، جمال علال البختي، الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع الهجري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ط1 2005م، بداية من ص64، ومحمد المغراوي، المرجع السابق، بداية من ص270 .
7- منها الأحزاب والأوراد والتصليات والتوسلات والمولديات والحجازيات والربانيات والحكم، وقد شرحت نور الهدى الكتاني هذه الأنواع، ينظر الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، دار الكتب العلمية ط1، 2008م، بداية من ص23. وبيّن تأثير الأدب الصوفي في الحركة الأدبية خلال هذه الفترة رحمون الحسين العربي، أدباء الأندلس، إسهاماتهم وتأثيرهم في الحركة الأدبية العربية خلال القرن7و8 الهجريين، مقال بالسجل العلمي لندوة الأندلس، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض ط1، 1996م ص101.

وظهر على عهد الدولة الموحدية شعراء من أ
الجانب العقدي للدعوة التومرتية كوصف ابن تومرت بالمهدي والاعتقاد بعصمته وخوارقه وبلوغ شفاعته لمن اتبعه، وغيرها من الأوصاف التي رفعوه بها إلى مقام الأنبياء، وهي لا تخلو من أوصاف التشبيه لخلفاء الدولة وولاتها بما كان عليه حال الأنبياء تعظيما لشأنهم بين الناس، ومنها قول أبي العباس أحمد بن شكيل الشريشي[1] (ت605هــ/1208م) في مدح السيد أبي إسحاق إبراهيم بن عبد المؤمن والي غرناطة : [الكامل]

بُشْرَايَ دَالَتْ دَوْلَةُ المَعْصُومِ   بِحَيَا العُفَاةِ وَنُصْــرَةِ المَظْلُـــومْ

مَدْحُ الأمِيرِ ابْنُ الخَلِيفَةِ قُرْبَةٌ   للهِ كَالتَّكْبِيـــرِ وَالتَّعْظِيــــم

قُلْ لِلــذِي شَادَ التَّسِيبَ مُقَدِماً   مَــدْحُ الأمِيرِ أحَقُّ بِالتَّقْدِيــم

فَإذَا طَرِبْتَ إلَى التَّسِيبِ فَتَقْتُهُ   بَعْدَ الصَّلاَةِ عَلَى ذَوِي الْمَعْصُومِ[2]

وقول ابن غالب الرصافي يمدح عبد المؤمن بن علي في قصيدته المشهورة التي أنشده إياها بجبل الفتح عند إجازته إلى الأندلس، منها : [البسيط]

كَفَاهُ فَضْلاً أن اِنْتَابَتْ مَوَاطِئُــهُ   نَعْلاً مَلِيكٍ كَرِيمِ السَّعْيِ مَشْكُــور

مُسْتَنْشِقاً بِهِمَا رِيحَ الشَّفَاعَةِ مِن   ثَرَى إمَامٍ بِأقْصَى الْغَرْبِ مَقْبُــور

مَا انْفَكَ آمِلَ أمْرٍ مِنْهُ بَيْنَ يَدَي   يَوْمِ الْقِيَامَـةِ مَحْتُوم وَمَقْــدُور[3]

وقوله يمدح أبا سعيد عثمان بن عبد المؤمن والي بلنسية : [البسيط]

السَّــيدُ الْمُتَعَالِي كُنْهُ سُــؤْدَدِهِ   عَمَّــا تَأوَّلَ أَلْبَابُ وَأذْهَــانُ

1- هو أبو العباس أحمد بن أبي الحكم يعيش بن علي بن شكيل الصدفي من أهل شريش، وأحد شعرائها الفحول. ابن الأبار، تحفة القادم، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1 1986م ص140 .
2- البونسي، المصدر السابق، ص289- 290.
3- الرصافي، المصدر السابق، ص 94.

مَنْ زَارَ حَضْرَتَهُ العُلْيَا رَأى عَجَباً   المُلْكُ
كُنَّا إِلَى الْمَلإِ الأعْلَيْنَ نَنْسُبُــــــهُ   لَوْ نَاسَبَ الْمَلأَ الْعُلْوِيَ إِنْسَــــانُ
فَفِطْنَةٌ مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ صَادِقَــةٌ   مِنْهَا عَلَى فَضْلِهَا فِي الْحُكْمِ عُنْوَانُ
مِــزْيَةٌ مَا أَرَاهَا قَبْلَهُ حَصَلَـــتْ   لِوَاحِدٍ مِن مُلُوكِ الأَرْضِ مُذْ كَانُوا
أَسْتَــغْفِرُ اللهَ إِلاَّ قِصّةٌ سَلَفَـــتْ   قَــدْ كَانَ قَيِّمَـــهَا يومَـــاً سُلَيْمَــانُ
فَــلو لَحِقْتُمْ زَمَانَ الْوَحْيِ نُزِّلَ فِي   تِلْكَ الصِفَاتِ مَكَانَ الشِّعْرِ قُــرْآنُ[1]

ويرى أحد الباحثين أن أغلب الشعراء وخصوصا الطائفة الملتزمة منهم تعرضت في جل أشعارها إلى عقائد المهدي ومعتقدات خلفائه من بعده فيما عرف بالشعر الديني[2]، رغم أن الموقف الأندلسي لدى الكثير من الفقهاء حول هذا المعتقد بقي متصلبا في أن ابن تومرت ليس هو المخلص المنتظر في الإسلام[3] .

عرف المجتمع الأندلسي انتشارا واسعا لفن كتابة الرسائل، وتنافس الكتاب في إجادتها، وأشار السقطي (ت631هـ/1234م) إلى رواجها في المدن الأندلسية، وأطلق على أصحابها " كتاب الشارع"[4]، وأن الناس كانوا يجتمعون حولهم لكتابة خطاباتهم بما تعارفوا عليه من ضوابط[5]، ونال كتاب الأندلس حظهم من الشهرة في بلاط الموحدين، والظاهر أن التقدم الحضاري الذي عرفته بلادهم وازدهار الحياة العلمية فيها كان وراء ما وصفوا به من براعة في الخط وبلاغة بالأسلوب وشهرة في قرض الشعر أهلت العديد

1- الرصافي، المصدر السابق، ص128- 129.
2- ينظر عنه، الجيلالي سلطاني، الشعر الديني على عهد الموحدين، رسالة دكتوراه في الأدب العربي القديم، غير منشورة، قدمت بكلية الآداب اللغات والفنون سنة 2001-2002م بداية من ص295.
3- فلتشر مادلين، الأندلس وشمال إفريقيا في عقيدة الموحدين، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م، ج1، ص370.
4- السقطي، المصدر السابق، ص 68.
5- نفسه، ص68.

منهم إلى تولي مناصب إدارية في بلاد المغرب

الحضاري الملتزم بالدعوة إلى العقل والتفكر، وهو ما ميز أسلوب الخطابة في العصر الموحدي المتطلع إلى الأسلوب القرآني والنبوي، واتصالها بحياتهم السياسية ونظمهم الاجتماعية[2].

ومن الفنون الأدبية ازدهارا في هذا العصر فن الموشحات[3]، فيما تراجعت الأزجال[4]عما كانت عليه، حيث يرى أحد من بحث موضوعاتهما أن الزجل كان أقل حظا من الموشح في توافر النصوص على الرغم من اتصاله بالبيئة الأندلسية بأجوائها الشعبية ولغتها المحلية فأضفى عليه طرافة ومنحه قيمة أدبية[5].

لا تطلعنا المصادر–المتوفرة بين أيدينا– على ظهور التأليف باللغة البربرية في الأندلس بشكل واضح وصريح إلا ما ذكر من أسماء النباتات الطبية أو كلمات ارتبط ظهورها بالتواجد الكبير للبربر في الأندلس[6]، خلافا لما تشير إليه مؤلفات بعض المغاربة[7] المغاربة[7] وتؤكد عليه أبحاث الدارسين المحدثين من انتشار كتابتها بالحرف العربي في بلاد المغرب

1- منهم أبو جعفر بن عطية (ت553هـ/1158م)، وأبو الحسن عبد الملك بن عياش(ت568هـ/1172م)، وأبو عبد الله ميمون الهواري القرطبي، وآل بن سعيد الفازازي، وغيرهم كثير، ينظر عن أشهر من وصلتنا رسائلهم، أحمد عزاوي، رسائل موحدية، ج1 بداية من ص18

2- رضا عبد الغني الكساسبه، النثر الفني في عصر الموحدين وارتباطه بواقعهم الحضاري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، ط1، 2004م، ص169.

3- حسب ما أورده ابن خلدون فإن أهل الأندلس هم من استحدث هذا الفن وسموه بالموشح، ينظمونه أسماطا وأغصانا، ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عندها قوافي وأوزان متتالية، وكان المخترع لها مقدم بن معافر الفريري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني. ابن خلدون، المصدر السابق، ج1 ص817.

4- لما شاع فن التوشيح بالأندلس، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله بلغتهم الحضارية من غير أن يلتزموا فيه إعرابا واستحدثوا فنا سموه بالزجل، والتزموا النظم فيه على مناحيهم.ابن خلدون، المصدر نفسه، ص825.

5- فوزي سعد عيسى، الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1990م، ص195- 196.

6- تشارلز بيرنيت، حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في إسبانيا، بحث ترجمه إلى العربية عمران أبو حجلة، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية،المرجع السابق، ج2 ص1439- 1440.

7- ينظر بعض العبارات البربرية، العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين، تحقيق أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب المغرب، 1989م، ص36،48،64، والبيدق، المصدر السابق، ص22-31، وابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص46.

خلال المرحلة الوسيطية[1]، والظاهر أن المكانة ال... وانتشارها الواسع في العالم الإسلامي واعتمادها كلغة رسمية حال دون ظهورها في الخطابات الرسمية على عهد قادة المرابطين والموحدين بالرغم من ظهور لغة تخاطبهم باللسان البربري[2].

العلوم الاجتماعية:

وتشمل هذه العلوم: علم التاريخ والسّير والجغرافيا والرحلات، وقد لقيت عناية من قبل علماء الأندلس منذ القرن 3هـ/9م[3]، وتواصل الاهتمام بها إلى عصر الموحدين الذين الذين أسهموا في التأريخ لدولتهم، ورصد مختلف الحوادث التاريخية و تدوينها سيرا على خطى الخلفاء والملوك الذين كلفوا من يؤرخ لسيرهم وتاريخ دولهم، فألف أبو علي الأشيري التلمساني[4] (569هـ/1073م) " نظم اللآلى في فتوح الأمر العالي"، وهو في حكم المفقود إلا من بعض النصوص والروايات التي حفظها لنا من نقل عنه، وفيها ذكر لفتوحات عبد المؤمن وغزواته[5]، ولأبي مروان عبد الملك بن صاحب الصلاة (كان حيا أواخر القرن6هـ) كتاب" تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين"، وقد بلغنا منه قطعة تبدأ من أحداث سنة 544هـ/1149م، وتنتهي

1- ينظر أحمد بوزيد الكنساني، التأليف بالأمازيغية، بيبليوغرافيا انتقائية لمؤلفات أمازيغية بالحرف العربي في منطقة سوس، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، العدد 25، سنة 2005م، ص211، وإبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2006م، ص56، وما اطلع عليه Henri Basset, Essai sur la littérature des Berbères, Editions, Ibis press, Awal, Paris, 2001, p51,52

2- اعتبر أحد الباحثين- في رأي مخالف- أن المراسلات المرابطية كانت تتم باللغتين العربية والبربرية أو بلغة نصارى الأندلس حسب مقتضى الحال، استنادا منه إلى النص الذي يتحدث عن كاتب يوسف بن تاشفين ومعرفته باللغات. ينظر بغداد غربي، خطة الكتابة على عهد الموحدين، مذكرة ماجستير غير منشورة، قدمت بكلية الحضارة والعلوم الإنسانية، جامعة وهران، 2006-2007م، ص11. والظاهر أن الباحث اختلط عليه الأمر بين الترجمة والكتابة، حيث أن مفهوم النص يثبت أن الكاتب كان يقوم بترجمة محتوى الرسائل التي كانت تصل يوسف بن تاشفين ويكتب الجواب بما يمليه عليه.

3- عبد الواحد ذنون طه، نشأة التأريخ العربي في الأندلس، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط1 2004م، ص11.

4- هو أبو علي الحسن بن عبد الله الأشيري من أهل تلمسان، المؤرخ والكاتب والشاعر، كان مقربا من الموحدين وروى الكثير من الأحداث التي عاصرها، ينظر عن ترجمته ابن الأبار، التكملة، ج1، ص 38.

5- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2 ص92، وابن عذاري، المصدر السابق، ص 26-28 وغيرها، وصاحب الحلل الموشية، ص130-149.

بسنة 568هـ/1172م، وأما من دون تاريخ الدولة والكاتب يوسف بن عمر الإشبيلي[1] كما أشار إلى ذلك كل من ابن ابي زرع وابن عذاري[2]، وروى ابن القطان الكتامي(كان حيا سنة 646هـ/1248م) أخبار دولة الموحدين في كتابه" نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان".

ومن كتب التراجم والأنساب كتاب " تاريخ علماء إلبيرة وأنسابهم وأبنائهم" لأبي القاسم الملاحي[3]، لم يصل إلينا هذا المصنف كاملا رغم أهميته إلا ما بقي من نقولات عنه عند أهل التراجم، ويعتبر ابن الأبار(ت658هـ/1259م) أشهر من أرخ لحياة علماء الأندلس خلال فترة نهاية دولة الموحدين التي عاصرها وكتب عن ولاتها، ومن أبرز مؤلفاته: " التكملة لكتاب الصلة"، و" الحلة السيراء" و" تحفة القادم" و" المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي" و" إعتاب الكتاب" و" درر السّمط في خبر السّبط"، وله غير ذلك مما هو في حكم المفقود[4]، كما اشتهرت كتب برامج العلماء وفهارسهم وعكست بذلك جانبا مهما عن الحياة العلمية في الأندلس[5]، وأرخ أبو المطرف بن عميرة المخزومي (ت658هـ/1259م) لأحداث سقوط جزيرة ميورقة[6] على يد النصارى، وخروجها عن دولة الموحدين سنة 627هـ/1229م.[7]

1- هو يوسف بن عمر، - وقيل غمر- منسوب إلى جده الأموي من أهل إشبيلية، يكنى أبا الحجاج، له تاريخ، وكتاب الحلى الكتابية والتحف الأدبية، ابن الأبار، التكملة، ج4 ص221.

2- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص273، و ابن عذاري، المصدر السابق، ص251.

3- هو محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الملاحي منسوب إلى قرية الملاحة من قرى غرناطة، كان محدثا حافظا عارفا بالتواريخ والأنساب. ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج 6 ص414.

4- منها " خضراء السندس في شعراء الأندلس" و"إيماض البرق في أدباء الشرق"، ابن الأبار، المصدر السابق، ج1 ص21، والحلة السيراء، ج1، ص235.

5- عبد العزيز الأهواني، كتب برامج العلماء في الأندلس، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1955م، المجلد1، ج1 ص91.

6- ميورقة : جزيرة بالأندلس في البحر الزقاقي (المتوسط) وهي كبرى الجزر المجاورة لها من الشرق منورقة ومن الغرب يابسة، وبميورقة مدينة كبيرة آهلة بالسكان، الحميري، المصدر السابق ص567، والإدريسي، المصدر السابق ج2 ص582.

7- ابن عميرة المخزومي، تاريخ ميورقة، دراسة وتحقيق محمد بن معمر، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 2007م، بدية من ص61.

ولأهل الأندلس اهتمام بعلم الجغرافية والرح[illegible]
المدن والأقاليم بكتب التاريخ حيث كان يتم التقديم لها بمقدمة عن جغرافيتها وحدودها وما فيها من معالم طبيعية، ولهذه الكتب صلة وطيدة بالرحلات الداخلية والخارجية، وفيها اعتمد أصحابها على الملاحظة والوصف لمختلف المشاهد، وقد أسهمت الرحلة لأداء فريضة الحج وطلب العلم في ظهور ما سمي بالأدب الجغرافي، ومن أشهر جغرافي هذا العصر: أبو حامد الغرناطي [1] (ت565هـ/1169م) صاحب كتاب " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب"، والشريف الإدريسي صاحب كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" و"أنس المُهج وروض الفُرج"، ومحمد بن أيوب بن غالب الغرناطي(من أهل القرن6هـ) في كتابه " فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس"، وابن جبير الكناني[2](ت614هـ/1217م) في رحلته المسماة " رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك".

- **العلوم العقلية:**

وتشمل هذه العلوم : الطب والصيدلة والفلك والعلوم الرياضية والفلسفة والكيمياء وعلم الفلاحة[3] وقد شهد العصر الموحدي تطورا كبيرا لهذه العلوم، ولنبدأ بعلم الطب وذكر أشهر من نبغ فيه من أعلام هذا العصر حيث يأتي في مقدمتهم أشهر الأطباء ارتباطا بدولة الموحدين؛ وهو عبد الملك بن زهر(ت557هـ/ 1161م) من أسرة اشتهرت بالفقه والأدب وممارسة الطب، وقد كان عبد الملك طبيب أسرة عبد المؤمن بن علي، ومن أشهر مؤلفاته المطبوعة " كتاب التيسير في المداواة والتدبير"، ثم تولت بعده

1- هو أبو حامد محمد بن عبد الرحمن بن ربيع القيسي الغرناطي، خرج من الأندلس وزار عدة مدن من بلاد المشرق، وكان أقصى ما بلغه مدينة خرسان، وعاد إلى دمشق وبها توفي سنة 565هـ/1169م، المقري، المصدر السابق، ج2 ص235، ومقدمة كتاب " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م ص7-9.

2- هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير الكناني، من أهل غرناطة، كان أديبا بارعا وكاتبا بليغا وشاعرا مجيدا، كتب في شبيبته عن والي بلنسية سعيد بن عثمان بن عبد المؤمن وعن غيره من ذوي قرابته، وله فيهم أمداح كثيرة، اشتهر برحلاته إلى بلاد المشرق قصد الحج والسياحة وسنواتها على التوالي: 578هـ/1182م، 583هـ/1187م،601هـ/1204م، وتوفي بالإسكندرية سنة 614هـ/1217م، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق ج5 ص595-607.

3- ينظر تفصيل هذه العلوم وأشهر مؤلفاتها وأعلامها على عهد الموحدين، يوسف العريني، المرجع السابق، ص331، ومحمد المنوني، المرجع السابق، ص69.

هذه المهمة أخته أم عمرو بنت أبي مروان بن زهر أنها اختصت بنسائهم وأطفالهم وإيمائهم[1].

ومن أطباء الأندلس الذين نالوا الحظوة لدى خلفاء الدولة محمد بن رفاعة الجذامي الشريشي[2] (ت637هـ/1239م)، كان طبيبا ماهرا موفق العلاج، ومن كتبه في الطب "مناجاة الأطباء"، وقد وضع للمنصور الموحدي رجزا عن الأدوية المركبة من خمسين دواء سماه " الهبة "، وكان له مناظرات مع أطباء مراكش ظهر فيها تفوقه، وهو ما جعل المنصور يرفع من رتبته، ومن اهتمام الموحدين بالجانب الصحي لرعيتهم قاموا بإنشاء مستشفيات عرفت بالمارستانات للمرضى والمجانين، وجلب لها أمهر الأطباء من المغرب والأندلس[3].

وإلى جانب الطب اشتهرت صناعة الأدوية وكتب تركيبها، وهو ما عرف بعلم الصيدلة، وممن برز فيه : ابن العشاب الإشبيلي[4] (ت637هـ/1239م)، والذي أشاد بعلمه في تركيب الأدوية من ترجم له، وأحصى له ابن عبد الملك المراكشي عددا كبيرا من المصنفات والمقالات[5]،واشتهر من علماء النبات ابن البيطار المالقي[6] (ت646هـ/1248م)، الذي رحل في سبيل تحصيل هذا العلم واجتمع مع ابن أبي أصيبعة في دمشق سنة 633هـ/1235م، واشتغل معه في دراسة النباتات وجمعها[7]، ومن أعلام هذا العصر

العصر

1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص483.
2- هو أبو بكر محمد بن علي بن سليمان بن رفاعة الجذامي، شريشي، كان محدثا وفقيها حافظا، وأديبا بارعا وطبيبا ماهرا، توفي بشريش سنة 637هـ/1239م، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج6 ص446.
3- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص286، ومحمد المنوني، المرجع السابق، ص92.
4- هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي الخليل مفرج الأموي الإشبيلي، ويعرف بابن العشاب وابن الرومية والنباتي، أخذ علم الصيدلة عن أبيه وجده، ورحل إلى المشرق فأخذ عن أشهر الأطباء والصيادلة، وكان له دكان متسع يقعد فيه لبيع الحشائش الطبية، وله تصانيف في عدة علوم، ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ج1 ص487.
5- نفسه، ص513.
6- هو أبو محمد عبد الله بن أحمد البيطار المالقي، درس في الأندلس، ثم رحل إلى بلاد المشرق فزار عدة مدن وأخذ عن علمائها، وخدم سلاطين بني أيوب في مصر، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص703.
7- نفسه، ص703.

من جمع بين الطب والصيدلة كأبي جعفر أحمد بن محمد الغافقي[1] (ت650هـ/1252م)، ومن آثاره "كتاب الأدوية المفردة"، وصف فيه أسماء النباتات بالعربية واللاتينية والبربرية[2].

ولأن الموحدين اشتهروا بالعمارة الدينية والمدنية والحربية فليس بعيدا أن يكون للمهندسين يد في إقامتها مثلما أشار إلى ذلك ابن صاحب الصلاة عند وصفه لعملية تعمير مساجد وقصور إشبيلية[3]، ولهذه العلوم صلة كبيرة بعلم الفلك، ويعرف بعلم الهيئة حيث الحاجة إلى الهندسة لمعرفة مواضع الأفلاك وحساب حركاتها بين المنازل ومعرفة الأيام والشهور والتواريخ[4]، ومن أسباب اهتمام المسلمين بعلم الفلك –عموما– هو معرفة أوقات أوقات الصلاة واختلافها بحسب المواقع، واتجاه المسلمين إلى الكعبة عند الصلاة اقتضى معرفة القبلة، ولغرض رؤية الهلال الذي ارتبط بالصيام، والاهتداء في السفر بالنجوم[5]، وممن برز في هذا المجال: الحسن بن علي بن خلف الأموي (ت602هـ/1205م)، وفيه صنف كتاب " الأنواء "، وكتاب " اللؤلؤ المنظوم في معرفة النجوم "[6].

ولا يختلف علم الفلاحة عن غيره من العلوم التي نالت اهتمام أهل الأندلس حيث حفزت طبيعة الأرض الأندلسية ووفرة المياه على التأليف حول المعارف الزراعية والحيوانية وظهور ما سماه أحد الباحثين بالمدرسة الزراعية الأندلسية التي حاول روادها التوفيق بين النظرية والممارسة العملية، وانتقل من مرحلة المعرفة المشرقية إلى

1- هو أحمد بن مجمد بن أحمد الغافقي الأندلسي، كان من أعرف أهل زمانه بالأدوية المفردة ومنافعها وخواصها وأعيانها وعرفة أسمائها، ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص483.
2- عبد العزيز فيلالي، الطب والصيدلة في الأندلس في القرن6هـ/12م، محاضرة ألقيت ضمن الملتقى الدولي حول الحضارة الإسلامية بالأندلس في القرن 6هـ/12م (أفريل 2007م)، المرجع السابق، ص249.
3- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 377 وما بعدها.
4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1 ص641.
5- يوسف السويدي، الاسلام والعلم التجريبي، مكتبة الفلاح، الكويت ط1 1980م، ص164.
6- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1 ص264.

الاستقلالية والازدهار مع مطلع القرن7هـ/13م[1] الجانب الفلاحي في العصر الموحدي من خلال الإشارة إلى اهتمام خلفاء الدولة وولاتها بإقامة البساتين والحدائق والاستعانة في تزيينها بمن اشتهر في ذلك من علماء الأندلس[2].

وبلغت الفلسفة في العصر الموحدي ما لم تبلغه في عصر آخر من حيث الاهتمام بدراستها والتأليف في مواضيعها وشغف بعض الخلفاء بمعرفتها كأبي يعقوب يوسف وابنه المنصور، واحتفائهما بالفلاسفة وفتح مجالسهم العلمية أمامهم، ومن أشهرهم ابن طفيل[3] (ت581هـ/1185م) مؤلف قصة "حي بن يقظان" التي جمع فيها بين السرد والتأمل الفلسفي، وحاول التدليل على توافقية الفلسفة والوحي[4]، وابن رشد (ت595هـ/1198م) الذي غلب على كتاباته الجانب الفلسفي، وقد كلفه صديقه ابن طفيل –بطلب من المنصور الموحدي– شرح مؤلفات الفيلسوف أرسطو، والتي منها "كتاب الحيوان"، و"تلخيص الخطابة"، وعدّ له ابن عبد الملك المراكشي أزيد من 50 مصنفا في هذا المجال ما بين كتب ومقالات وتعاليق وشروح [5]، وعلى الرغم مما بلغته الفلسفة في عصر الموحدين إلا أن ذلك ترافق مع استمرار مواقف الرفض التي تبناها عدد من الفقهاء حيث عملوا على تحريض السلطة على الفلاسفة واتهامهم بالزندقة والتقية والمروق عن الدين[6]، فكانت نكبة نكبة ابن رشد على يد المنصور الموحدي[7] الذي هم بعدها بكتابة رسالة إلى الولايات يأمر

7- إكسبيراثيون غارثيا سانشيز، الزراعة في إسبانيا المسلمة، بحث ترجمه إلى العربية أكرم ذا النون، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، المرجع السابق، ج2 ص 13-67.

1- من هؤلاء أحمد بن ملحان الطائي الذي استعان به عبد المؤمن بن علي في تهيئة بستانه، وظهر أبو القاسم الحوفي في عهد المنصور الموحدي، وابن العوام الإشبيلي مؤلف كتاب "الفلاحة"، ينظر ما كتبه عن علماء هذه الفترة إكسبيراثيون غارثيا، المرجع السابق، ج2 ص1374. وابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص376، وصاحب الحلل الموشية، ص146-147.

2- هو أبو بكر محمد ابن عبد الملك بن محمد بن طفيل القيسي، الوادي آشي أو الجياني، كان فقيها بارع الأدب ناظما وناثرا، مشاركا في فنون المعارف، طبيبا حاذقا. ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6 ص 407.

3- ج ك. بيرغل، ابن طفيل وكتابه "حي بن يقظان" نقطة تحول في الكتابة الفلسفية العربية، ترجمة مريم عبد الباقي، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، المرجع نفسه، ج2، ص 1155.

4- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج6 ص23-24. وينظر ما طبع منها، أبو عمران الشيخ، عصر ابن رشد القرن 6هـ/12م محاضرة ألقيت ضمن الملتقى الدولي حول الحضارة الإسلامية بالأندلس، المرجع نفسه،ج1 ص09.

5- ابن عبد الملك المراكشي ، نفسه ،ج5 ص611.

6- ينظر تفاصيلها عند عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص253 وابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ج6 ص26.

يأمر فيها الناس بترك علوم الفلسفة وإحراق كتبها[1]، ونكّل بهم[2]، والحال ذاته كان على من هم بالكتابة عن الكيمياء وممارستها حيث التبس أمرها عند كثير من الناس بالرمز والألغاز والسحر[4].

وعلى الجملة فقد ازدهرت ميادين الحياة العلمية بالأندلس في العصر الموحدي، واشتهرت حواضر الغرب الإسلامي بمختلف العلوم ومن انتسب إليها من الأعلام، وراجت أسواق الكتب وخزائنها الخاصة والعامة.

7- ينظر نصها، أحمد عزاوي، رسائل موحدية، ج1 ص206.
1- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج1ص217.
2- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص241.
3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1 ص706.

الفصل الثالث

أعلام علماء البربر

(مواطنهم وأهم تخصصاتهم)

1- قبيلة نفزة البربرية، أصولها وأبرز أعلامها:

أ- أصولها ومواطن أعلامها.

ب- الإسهام العلمي لأبرز أعلامها.

2- الأسر العلمية البربرية

3- علماء البربر(أفراد أسمائهم وأنواع تخصصاتهم)

- **العلوم النقلية**
  - علوم القران
  - علوم الحديث
  - الفقه وأصوله
  - علوم اللسان
  - علم التاريخ والسّير
- **العلوم العقلية**

4- إسهام البربريات في الحركة العلمية.

إن رصد أعلام البربر في الأندلس، وتتبع ن
تقريباً من منتصف القرن السادس إلى مطلع السابع الهجريين، يتطلب القيام بعملية إحصاء لهم تتوافق زمنياً مع العصر الموحدي، الأمر الذي يحتم معرفة سنوات وفاتهم، أو ما يدلل على معاصرتهم لهذا العهد قصد تجنب إدراج أسماء بربرية عديدة أوردتها كتب التراجم ولكنها مجهولة الفترة، وظهور أخرى في مناطق جغرافية تأخر انضمامها السياسي للدولة الموحدية عند بداية توسعها، وتراجع أخرى مع نهاية تواجدها على الأراضي الأندلسية مطلع القرن السابع الهجري، وما يطرحه مشكل تأثير تغير الأوضاع السياسية في انتقال العلماء من منطقة إلى أخرى، والذي يصعب هذا التحديد الزمني على الأقل خلال الفترات المضطربة من تاريخ المنطقة، وأما طريقة ترتيب أسمائهم على أساس الانتماء القبلي للبلديين منهم والغرباء، فإنها تفرض بالضرورة معرفة مسبقة بأسماء القبائل البربرية ومختلف بطونها وأفخاذها، مع تحري صحة نسبة الأفراد المنتمين إليها – ما أمكن – تجنباً للخلط بين النسبتين البلدية والقبلية[1]، كما أنها تفرز تصنيفاً تنازلياً يمكن تقسيمه إلى ثلاثة مستويات:

- على مستوى القبيلة الواحدة.
- على مستوى اسم الأسرة البربرية، وهو ما يعرف بالبيوتات.
- على مستوى الأفراد متعددي القبائل.

1- أظهرت بعض تراجم الأندلسيين أن المغيلي والجراوي والزناتي والكزني والأوربي هي مواضع مدن وقرى نسب إليها رهط من الأعلام بالرغم من أنها أسماء قبائل بربرية، وبتصريح المترجم وتتبع القرائن التي تضمنتها تراجم هؤلاء الأعلام إتضح أنهم ليسوا بالضرورة بربرًا، وهو ما يقال عن أعلام انتسبوا إلى أماكن حملت أسماء قبائل عربية، كالغافقي نسبة إلى قرية غافق شمال قرطبة، والقضاعي نسبة إلى قضاعة بالقرب من بلنسية، ينظر عن هذه النماذج ابن بشكوال، المصدر السابق، ص135-221، وابن الأبار، المصدر السابق، ج2 ص84، وابن سعيد، المغرب في حلى المغرب،ج1 ص236، وما تضمنته مقدمة بشار عواد معروف من تصويبات ضمن تحقيقه لكتاب ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ج1 ص20 و ما بعدها.

1- قبيلة نفزة البربرية، أصولها وأبرز أعلامها :

أ- أصولها ومواطن أعلامها:

يأتي اختيار هذه القبيلة نظراً لتعدد الأعلام المنتسبين إليها، وظهورهم في الحقبة الزمنية المؤرخة وبمنطقة جغرافية تتقارب فيها مواضع الكور والمدن؛ وهي المعروفة بشرق الأندلس، ويعود أصل تسمية نِفزة[1]- بكسر النون- أو نفزاوة على اختلاف في التسمية بين النسابة والمؤرخين - إلى نفزاو رأس هذه القبيلة وأحد من حملت ذريته أسماء البطون المتفرعة عنها، والظاهر أن ابن حزم تحرى سماع نطق اسمه فأثبت أنه بالسين بين الزاي والشين، ثم عدد بطونهم ومن انتسب إلى بيوتاتهم في الأندلس[2]، وأما ابن خلدون فعدها إحدى شعوب البتر، ووصفها بالكثرة والغلبة، وتتبع ذكر أصولها وأبرز بطونها ومواطنها، وأتى على شيء من أخبارها في بلاد المغرب[3]، ولأننا سجلنا فيما سبق من هذا البحث ذلك التشابه بين العدوتين في إطلاق اسم القبيلة على موضع استقرارها فإن الأمر ذاته تكرر مع قبيلة نفزة في ظهورها كاسم لمنطقة ببلاد المغرب وأخرى بالأندلس[4].

وتطلعنا مختلف المصادر ذات الصلة بتاريخ الأندلس على ذلك الحضور المبكر لأعلام هذه القبيلة منذ زمن الفتح وإلى النصف الأول من القرن6هـ/12م[5] ولكن بصورة أقل من الصورة التي تتوالى بشكل ملفت في كتب التراجم والفهارس إلى مطلع القرن

1- ضبطها ياقوت الحموي على هذا النحو نقلا عن أبي طاهر السلفي، ينظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4 ص189.

2- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص497.

3- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6 ص150 وما بعدها.

4- بلاد نفزاوة اسم لمنطقة بافريقية جنوب قفصة، وهي تضم عدة مدن وقصور وعمائر، ينظر عنها الإدريسي، أنس المنهج، ص205-206، ومؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد(دت) ص157- 158، وأما موضع نِفزة بالأندلس فأطلق على منطقة بالقرب من وادي آنه شمالاً، ينظر عنها ابن حيان، كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، نشر الأب ملشور أنطونية، طبع بولس كتنز الكبتي، باريس1937م، ص134-137.

5- ينظر أعلام قبيلة نفزة خلال هذه الفترة، تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، ووصفه لابن الشباط، نشر أحمد مختار العبادي، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965-1967م، ص140، وابن حيان، المصدر السابق، ص135، وابن بشكوال المصدر السابق، ص 126- 208، ابن عبد الحليم الإيلاني، المصدر السابق، ص167.

7هـ/13م، ومن خلالها تبرز أسماء مدن الشرق
السنين، فقد أورد أبو طاهر السلفي[1] المتوفى سنة 576هـ/1180م في معجمه نقلا عن أحد تلامذته، وكان بيرانيا نفزيا تفسير نسبته هذه بأنه"ولد في بيران قرية من نظر دانية، وأما نفزة فقبيلة كبيرة منها بنو عميرة وبنو ملحان المقيمون بشاطبة "[2].

عدد أعلام قبيلة نفزة	12	02	02	01	01	01	01
مواطنهم	شاطبة	رندة	غرناطة	جيّان	دانية	تاكرنا	شذونة

يلاحظ من خلال الجدول مدى توافق الخبر الذي أورده السلفي عن مكان تمركز قبيلة نفزة مع عدد الأعلام الذين تم إحصاؤهم في شاطبة التي احتلت المركز الأول، بينما توزع انتشار بقية أفرادها على المدن المجاورة لها بالشرق والجنوب الشرقي باستثناء جيان[3] بموسطة الأندلس، ورندة[4] وشذونة[5] بالجنوب، وأغلب الظن أن لعامل الانتقال وتغير الأوطان دوراً في ظهور الأسر النفزية في مناطق بعيدة عن الموضع الذي اشتهرت بالتواجد فيه، كما أن هناك من انتسبوا إلى قرى غير معروفة ولم يذكر أهل التراجم كبرى المدن الأقرب إليها قصد تحديد جهتها الجغرافية فأغفلنا ذكرها .

1- هو أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السلفي، والسلفي نسبة إلى جده، وقيل هي قرية بالمشرق نسب إليها، أصله من أصبهان، رحل إلى بغداد ودمشق وغيرها طالبا للعلم، إلى أن استقربه المطاف بالإسكندرية وبها أقام 65 سنة، وهو من كبار المحدثين في عصره، عالي الإسناد، روى عنه خلق كثير، ولطلبة المغرب والأندلس صلة وطيدة بالسلفي، دلت عليها كتب التراجم الأندلسية، ومن أثاره التي ترجم فيها لتلامذته من الغرب الإسلامي، "معجم السفر"، وفيه يظهر مدى شغف السلفي بمعرفة أحوالهم وأنسابهم ومدنهم، توفي السلفي سنة 576هـ/1180م، ينظر عن ترجمته، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق يوسف علي الطويل ومريم قاسم الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت ط1 1998 ج3 ص173.

2- السلفي، أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر، إعداد وتحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ط، 1979م ص64-65.

3- جيان: مدينة بالأندلس، وهي كثيرة الخصب، ولها زائد على ثلاثة ألاف قرية، كلها يربى فيها دود الحرير، وهي في سفح جبل عال جدا، وقصبتها من القصاب الموصوفة بالحصانة. الحميري، المصدر السابق، ص121.

4- رندة: مدينة بالأندلس من مدن تاكرنا، وهي قديمة بها اثار كثيرة، وهي على نهر ينسب اليها، الحميري، المصدر نفسه، ص269.

5- شذونة: مدينة بالأندلس، وهي كورة متصلة بكورة مرور، جليلة القدر جامعة لخيرات البر والبحر، كريمة البقعة، ومن كورها شريش وغيرها، الحميري، نفسه، ص339.

ب- الإسهام العلمي لأبرز أعلامها:

إن سبب تخصيص أبرز أعلام قبيلة نفزة بالذكر إنما يعود إلى الرغبة في إظهار إسهامهم كأنموذج شاهد على عطاءات أفرادها داخل الحياة العلمية المزدهرة بالأندلس وبخاصة لمن اشتهر منهم إما بمؤلفاته أو رحلاته أو شهرة تلامذته، والابتعاد ما أمكن عن التكرار الذي أوردته كتب التراجم عن الأعلام الذين لم تتجاوز تراجمهم بضعة أسطر لا يزيد محتواها عن معرفة أسمائهم وبلدانهم ومراتبهم العلمية وسنوات وفاتهم.

ونحسب أن أبا عمر أحمد بن أبي محمد هارون بن عات النفزي أشهر من يذكر على رأسهم، وذلك لإشادة كتاب التراجم وأهل الجرح والتعديل بعلمه وأدبه وشهرته في الأندلس و بلاد المشرق .

ولد ابن عات النفزي، - نسبة إلى جده الذي اشتهر به - سنة 542هـ/1147م في بيت علم ودين، فوالده هو الفقيه الحافظ أبو محمد هارون بن أحمد بن جعفر بن عبد الملك بن عات النفزي المتوفى سنة 582هـ/1186م، من فقهاء المالكية، له تنبيهات وحواشي على مسائل المدونة وغيرها من مؤلفات المذهب المالكي[1]و كان ابنه أحمد أحد تلامذته الذين اخذوا عنه، وقد اتخذ والده من داره مكاناً لتدريس الطلبة وإجازتهم، ومن كان هذا حاله فلا غرابة أن يستهل فترة حياته في استيعاب ما يؤهله لحضور مجالس العلماء في بلدته شاطبة إحدى قصبات الحضارة الإسلامية بالأندلس، ومنها تجشم الرحلة إلى بلاد المشرق مروراً بمدينة بجاية التي استقر فيها مدة طويلة، ولقي بها أبا محمد عبد الحق الإشبيلي المعروف بابن الخراط[2]، ثم انتقل إلى الإسكندرية للقاء أبي طاهر السلفي، ومنها اتجه إلى دمشق فروى عن مؤرخها الحافظ ابن عساكر[3]، وبالموصل عن أبي الفرج بن

1- ابن الزبير، المصدر السابق، ج4 ص 230-231.
2- ترجمته بالهامش رقم4 ص 65.
3- هو علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله، ولد في غزة سنة 499هـ/1105م، ونشأ بدمشق في بيت علم ودين، وتعلم على يد كبار علماء دمشق وبغداد، فأطلق عليه لقب الحافظ، صنف عدة كتب ومن أبرزها "تاريخ دمشق"، توفي سنة 571هـ/1175م، ابن خلكان، المصدر السابق، ج3 ص123.

الجوزي[1]، وغيرهم من الشيوخ في مصر ومكة و
ضمهم في كتاب – هو في حكم المفقود – سماه" النزهة في التعريف بشيوخ الوجهة "[2]، وإذا كنا لا ندري على وجه التحديد مدة هذه الرحلة العلمية إلاّ أن ابن عات النفزي عاد بعدها إلى شاطبة التي اتخذ منها منارًا لنشر علمه، إسهاماً منه في مسيرة الحياة العلمية بها، وهو ما جعل أهلها يفاخرون به وبما قدمه لبلدتهم.

ومن آثاره التي نوّه أهل التراجم بجودتها كتاب؛ وطيد الصلة بفن الترجمة لعلماء الأندلس سماه ّريحانة التنفس وراحة الأنفس في ذكر شيوخ الأندلس"[3]، والذي بلغت شهرته بلاد المشرق، وظهر تداوله لدى من عاش إلى مطلع القرن العاشر الهجري،(السادس عشر الميلادي)، إذ أنه واحد من المؤلفات التي اعتمد عليها جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911هـ/1505م في تأليف كتابه "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، وإذا كان كتاب "الرّيحانة" اليوم في حكم المفقود، فإن أهمية نقولات السيوطي عنه تكمن في حفاظها على نصوص وتراجم تعود إلى فترة القرن السادس الهجري التي عاش فيها ابن عات النفزي.

وأما عن مكانته العلمية ومرتبتها في نظر غيره من أهل العلم، فإنها تتفق عند من ذكره تعديلاً وتوثيقاً، حيث اعتبره ابن فرحون المتوفى سنة 799هـ/1397م "من أكابر المحدثين، وجلة الحفاظ المسندين للحديث والأدب بلا مدافعة، يسرد الأسانيد والمتون ظاهراً فلا يخل بحفظ شيء منها، ثقة عدلاً مأموناً مرضياً"[4]، وروى المقري عن غيره

1- هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن جعفر الجوزي التيمي البكري البغدادي، الحافظ الفقيه والأديب الواعظ والمؤرخ، له عدة مصنفات دلت على مكانته العلمية، رحل إليه الطلبة من كل الأصقاع، وزاد من شهرته حب استقراره في بغداد إلى أن توفي بها سنة 597هـ/1200م، ينظر عن ترجمته، ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص343.

2- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 565.

3- نفسه، ص566.

4- ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م، ص 126- 127.

"أنه كان آخر الحفاظ للحديث"[1]، ومن أبرز تلامذة
المخزومي.

وأما علاقته بالسلطة الموحدية التي عاصر أهم محطاتها لأزيد من نصف قرن، بداية بالسنوات الأخيرة من عهد عبد المؤمن بن علي، ووصولاً إلى عصر حفيده الناصر لدين الله، فإن خبرها يستفاد من مؤلف ابن عبد الملك المراكشي – الذي لم يفوت استدراك ما لم يرد عند غيره في هذا الجانب – فأثبت قائلاً: "كان الأمراء من آل عبد المؤمن يخاطبونه ويعتمدون رأيه وإشارته في مصالح بلده شاطبة وأهلها، ثقة بدينه وركوناً إلى نصيحته"[2]. وأغلب الظن أن هذه المخاطبة كانت تتم عبر رسائل رسمية لتعلق الأمر بالمدينة وأهلها، بدليل اعتماد الموحدين على هذا الأسلوب في مخاطبة أعيان المدن[3]، ولما كانت وقيعة العِقاب بين المسلمين والنصارى سنة 609هـ/1212م نجد أبا عمر يسهم فيها بنفسه مدافعاً عن وطنه، وليس بعيداً أن يكون له دور في تحفيز أهل بلده على الجهاد والحض عليه، وقد ذهب ابن عبد الملك المراكشي إلى أن ابن عات استشهد في هذه المعركة مستدلاً على أنه "لم يوجد فيها حياً ولا ميتاً"[4].

ومن أفراد قبيلة نفزة الذين اشتهروا برحلتهم في طلب العلم، وخلفوا آثاراً في أنواع من العلم نجد علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك النفزي، من فقهاء غرناطة ومحدثيها، رحل إلى المشرق فأخذ عن أبي طاهر السلفي وغيره[5]، واشتهر بكثرة تأليفه فقد عد له ابن الخطيب أزيد من عشرة كتب، نذكر منها: "مدارك الحقائق في أصول الفقه"، ويتألف من خمسة عشر جزءا، وكتاب "رسائل الأبرار، وذخائر أهل الحظوة والإيثار في انتخاب الأدعية المستخرجة من الأخبار والآثار" في سفرين، وكتاب "الإعلام

1- المقري، المصدر السابق، ج2، ص 601.
2- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج1 ص566.
3- ينظر نماذج من هذه الرسائل، ابن مغاور الشاطبي، المصدر السابق، بداية من ص121، والبونسي، المصدر السابق، ص 309 وما بعدها.
4- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه،ج1ص567.
5- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج4، ص 149- 150

في استيعاب الرواية عن الأئمة الأعلام" في سفرين الإرشاد" من ثلاثين جزءا، وكانت وفاته بغرناطة سنه 557هـ/1161م[1].

تتعدد أسماء علماء قبيلة نفزة لكثرة من تم إحصاؤهم، وتتنوع العلوم والفنون التي اشتهروا بها، وإن كان الطابع النقلي هو الغالب عليها كعلوم القرآن والحديث والفقه والتراجم، وما اصطلح على تسميته بعلوم اللسان[2]، وأن منهم من برع في عدة علوم فكانت له بذلك أكثر من حلقة علم، كما أسهمت الرّحلة في الطلب داخل الأندلس وخارجها في زيادة تحصيلهم وتنويع مروياتهم. ومن أعلام هذا العصر نذكر:

- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيديس بن محمود النفزي الغرناطي، وصفه ابن الخطيب "بخاتمة الرّحال بالأندلس"[3]، وأنه كان فقيهاً حافظاً ذاكراً للغة والأدب، نحوياً ماهراً، وقد صنّف في التصوف والفقه عدة مصنفات منها: "مواهب العقول وحقائق المعقول" و"الرسائل في الفقه والمسائل"، وغيرها[4].

ومن شعره في التصوف قصيدة همزية منها: [الوافد]

يَضِيْقُ عَلَيَّ مِنْ وُجْدِي الفَضَـــــاءُ وَيُقْلِقُنِي مِنَ النَّاسِ العَنَـــــاء

وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ وَلَكِـــــــــن أَبَتْ نَفْسِي تُحِيطُ بِهَا السَّمَـــاء

رَأَيْنَا العَرْشَ وَالكُرْسِي أعْلّـــى فَوَالَيْنَاهُمَا حَرَمَ الــــــولاَءِ[5]

- أبو جعفر أحمد بن حسن بن أحمد بن جعفر بن عبد الملك بن عات النفزي الشاطبي، وهو ابن عم الحافظ أبي عمر أحمد بن هارون، وقد اقتضب أهل التراجم الحديث عن

1- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج4 ص150.
2- وهي اللغة والنحو والبيان والأدب المنظوم والمنثور، وقد شرحها ابن خلدون بإسهاب في مقدمته، ينظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 753.
3- ابن الخطيب،المصدر نفسه، ج1، ص 196.
4- نفسه، ص197.
5- نفسه، ص197.

حياته العلمية، ودون تعيين للعلوم التي برز فيها، وق العلم.[1]

- أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن النفزي من أهل شذونة، اشتهر برحلته في طلب العلم، حيث سمع ببغداد من أبي الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب، ودخل بلاد ما وراء النهر فروى عن علمائها[2]، وكان حافظا عفيفا فاضلا، وخرج من بغداد بعد سنة 613هـ/1216م.[3]
- أبو جعفر أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن العاصي النفزي الشاطبي، يعرف بابن اللاية، أخذ علم القراءات عن أبيه بشاطبة، وانتقل إلى دانية فأتم تعليمه على يد علمائها، وروى عنه القراءات خلق كثير، وكان مقرئا متقدما في المعرفة بالتجويد والإتقان للأداء وجودة الضبط على القراء، وهو من أهل القرن 6هـ/12م.[4]
- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليفة النفزي، من أهل دانية، اشتهر بعلم القراءات، ولا نعرف عن حياته العلمية الشيء الكثير، وكانت وفاته سنة 564هـ/1168م[5] .
- أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن قبوج النفزي الشاطبي، روى عن أبيه وأبي عمر بن عات وغيرهم، وكان فقيها حافظا ذاكرا للفقه وأصوله وعلم العربية، والنحو واللغة والأدب، وله شعر بارع، ومن مؤلفاته كتاب "اختصار حلية الأولياء" لأبي نعيم، واشتهر بالتصوف وهو ما جعل الغبريني يشير إلى وجوب ذكره في كتاب أبي نعيم الذي اختصره لزهده في الدنيا وصلاحه، وخرج أبو الحسن من بلده سنة 640هـ/1242م، ودخل بجاية وبها درّس، ويشير الغبريني إلى أنه استفاد الكثير من حديثه وشعره عن شيوخه، وكانت وفاته سنة 542هـ/1147م.[6]

1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج1 ص87.
2- منهم علماء أصبهان وهمذان ونيسابور وشيراز. نفسه، ص 311.
3- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1 ص94.
4- ابن عبد الملك المراكشي، نفس المصدر والجزء، ص467.
5- ابن الأبار، نفس المصدر والجزء، ص30.
6- ابن الزبير، المصدر السابق، ج3 ص165، والغبريني، المصدر السابق، ص90.

- أبو الحسن علي بن سليمان بن إبراهيم بن تب
وأصله من رندة، دخل بلنسية وأخذ عن علمائها، وله رحلة إلى بلاد المشرق في سبيل طلب العلم والحج، وتصدر للتعليم بمراكش التي كانت بها وفاته سنة 614هـ/1217م، وقيل غير ذلك[1].

- أبو الحسن علي بن أحمد بن سليمان النفزي الغرناطي، أخذ العربية وعلم القرآن على أبي بحر الكفيف وأبي زيد السهيلي، وأبي مروان بن قزمان، وكان فقيها عارفا بمذهب مالك منسوبا إلى فهمه وحسن الاستنباط في النوازل، وكانت وفاته سنة616هـ/1219م[2].

- أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن منخل النفزي الشاطبي، سمع من أبي محمد بن عبد المنعم بن الفرس سيرة بن إسحاق، ومن أبي بكر بن أبي زمنيين موطأ مالك، وأخذ عن جماعة غيرهما، وقد ولي القضاء ببعض كور شاطبة وحدث بها، وذكر ابن الأبار أن أبا الحسن أجاز له ما رواه عند اجتماعه به ببلده، وروى عنه أبو العباس العزفي في "برنامجه"، وتوفي أبو الحسن في آخر سنة 630هـ/1230م[3].

- أبو الطيب صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن شريف النفزي الرندي، شاعر مجيد وله مشاركة في الحساب والفرائض، وله تصانيف أدبية وقصائد زهدية[4]، رحل في طلب العلم إلى المشرق، وقد اعتبره ابن عبد الملك خاتمة الأدباء بالأندلس، بارع التصرف في منظوم الكلام ومنثوره، فقيها حافظا فرضيا، متفننا في معارف جليلة، وله تواليف أدبية وقصائد زهدية منها: " المقامات"، وصنف في الفرائض وأعمالها مختصرا نافعا نظما ونثرا، وله تأليف في صنعة الشعر سماه "الكافي في علم القوافي"، وله كتاب كبير سماه "روضة الأنس ونزهة النفس"[5]، وذكر له ابن الخطيب عدة مقطوعات من شعره، منها قوله: [البسيط]

تَفَاخَرَ السَّيفُ فِيمَا قِيلَ والقَلَمُ وَالفَضْلُ بَيْنَهُمَا لاَ شَكَّ مُنْفَهِــمُ

1- ابن الأبار، المصدر السابق، ج3 ص247.
2- نفسه، ص228، و ابن الزبير، المصدر السابق، ج4 ص133.
3- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق،ج5 ص280، وابن الآبار، نفسه، ص237.
4- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3 ص275.
5- ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ص137، وابن الخطيب، المصدر نفسه، ج3 ص276.

كِلاَهُمَـــا شَرَفُ لِلهِ دَرُّهُمَـــا   وَحَبَّذ

كما أورد له مقتطف من كلامه المنثور، وذكر أن وفاته كانت سنة 648هـ/1250م[1].

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد النفزي الشاطبي، روى عن هارون بن عات النفزي، وأبي الحسن بن هذيل، وكان وافر الحظ، درّس الفقه، واشتهر بالحفظ للمسائل والرأي، وذكر ابن عبد الملك أنه كان على طريقة حسنة وهديا صالحا، وله في هجر الدنيا: [الطويل]

غَنَيْتُ بِمَا عِنْدِي وَمَا لِي لاَ أغْنَــى   وَأعْرَضْتُ فِي قَصْدِي عَنِ العَرَضِ الأدْنَى
إِلَى العَالَمِ الأعْلَى عَلَوْتُ بِهِمَّتِــي   فَوَافَقْتُ مَــا يَبْقَــى وَفَــارَقْتُ مَا يَفْنَــى
تَرَكْتُ لِلَذَّاتِ البَهَائِـمِ أهْلَهَــــا   وَهِـمْتُ بِمَـا يُعْنَى بِهِ عَالَــمُ المَعْنَــى

وكانت وفاة أبي عبد الله بعد سنة 616هـ/1219م[2].

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن سعادة النفزي الشاطبي، أخذ علم القراءات عن أبي إسحاق بن خليفة وأبي الحسن بن حسين وغيرهم، وروى الحديث عن عمه أبي عبد الله بن عبد العزيز وأبي بركة، وأخذ علوم اللسان نحوا وأدبا ولغة عن أبي الحسن بن سعد الخير وابن النعمة، وروى عنه أبو إسحاق بن بشكنال وأبو بكر بن مرابط، وابن الأبار، وكان مقرئا مجودا متصدرا، متحققا بالنحو ضابطا للغة حافظا لها، وكانت وفاته سنة 618هـ/1221م[3].

- أبو الروح عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى النفزي، من أهل تاكرنا[4]، رحل في طلب العلم إلى المشرق، وهناك توفي سنة 629هـ/1231م[5].

1- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3 ص282-286. وابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج4 ص137.
2- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج5 ص674.
3- نفسه، ص684.
4- تاكرنا: مدينة بالأندلس بمقربة من إستجة، وهي مدينة أزلية، إليها تنسب الكورة، وبها بلاط من بناء الأول، ومن مدنها رندة. الحميري، المصدر السابق، ص129.
5- المقري، المصدر السابق، ج2 ص606.

- أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعادة الن محمد بن أحمد بن عبد العزيز، أخذ القراءات عن أبي الحسن بن هديل، وابي عبد الله بن هذيل وأبي عبد الله بن علي بن اللاية النفزي، وكان من جلة المقرئين المجودين الضابطين المتقنين، حسن الخط جيد الضبط، راوية عدلا ثقة، درّس في شاطبة وبلنسية وعنه أخذ خلق كثير، وكانت وفاته بشاطبة سنة 614هـ/1217م[1].

- أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن منخل بن محمد بن شرف النفزي الشاطبي، أخذ بقرطبة قراءة نافع عن أبي القاسم النحاس، وسمع من أبي علي الصدفي علم الحديث عند دخوله شاطبة، ولا تعرف سنة وفاته، والظاهر من شيوخه الذين روى عنهم أنه كان حيا إلى منتصف القرن6هـ/12م[2].

- أبو عبد الله محمد بن سليمان بن خلف النفزي الشاطبي، رحل صغيرا إلى مرسية فسمع علم الحديث على أبي علي الصدفي، وعمن لقيه من شيوخ الحديث والفقه، وعاد إلى شاطبة وبها تصدر للتعليم، فقد كان فقيها متسع الحفظ ذاكرا للمسائل، يستظهر "مقدمات" ابن رشد، ويسرد متون الحديث، بصيرا بعقد الشروط، وببلده ولي خطة الشورى[3]، فكان رأسا فيها منفردا بالتقدم في معانيها، وتوفي بشاطبة سنة 553هـ/1158م[4].

- أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مطرف بن سهل بن ياسين النفزي الشاطبي، روى عن أبيه عبد الرحمن علم القراءات، وكان من أهل العلم بالفقه والحفظ للمسائل والبراعة في الأدب، ذا حظ صالح من قرض الشعر، وتوفي سنة 590هـ/1193م[5].

- أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص المعروف بابن اللاية النفزي الشاطبي الضرير، انتقل إلى دانية وبها أخذ عن علمائها القراءات السبع، وقد كان من أهل

1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6 ص 383-384.
2- نفسه، ص409.
3- هو منصب إداري اشتهر بالأندلس، تابع لنظام القضاء، وقد تألفت من أصحابه هيئة عرفت بالقضاة المشاورين، وهي تضع القواعد وتحدد المبادئ، في حين اقتصر أمر القضاة على التطبيق. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص488.
4- ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ص217-218.
5- نفسه، ص347، وابن الأبار، المصدر السابق، ج3 ص17.

[illegible] المعرفة بالقراءات وطرقها، وتصدر ببلده شاطبة وفاته، غير أن تتبع أسماء شيوخه وتلامذته يظهر أنه كان حيا إلى ما بعد منتصف القرن 6هـ/12م.[1]

- أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد النفزي، من أهل جيان، روى عن أبي الوليد بن رشد، وأبي عبد الله بن عبادة الجياني، وكان فقيها ومشاورا، درّس المدونة وغيرها، ولم يذكر أهل التراجم سنة وفاته، غير أن ترجمته تظهر أنه من أهل القرن 6هـ/12م.[2]

ونخلص من عرض الحياة العلمية لعلماء قبيلة نفزة ومواطن تواجدهم إلى أنهم اشتغلوا بمختلف العلوم والفنون، وإن غلب عليها الجانب النقلي، ونال علم القراءات النصيب الأوفر من اهتمام أفراد هذه القبيلة، وتصدرت مدينة شاطبة كمدرسة لتلقينه لكثرة من انتسب إليها من القراء، إضافة إلى شهرتها بين حواضر الأندلس بصناعة الورق وجودته[3]، كما اشتهرت مرسية بعلم الحديث وروايته.[4]

2- الأسر العلمية البربرية:

كثيراً ما اهتم كتاب التراجم في الأندلس بالتنبيه إلى صلات القرابة التي كانت تربط الأعلام المترجم بهم، وهو ما سهل على الدارسين عملية تجميع شجرة البيوتات الأندلسية، وأوضح أهمية مشاركتها في الجوانب السياسية والفكرية، وأهل التراجم كانوا يردفون –في الغالب– عمن كان هذا حالهم من الأعلام عبارة "إنه من ذوي البيوت العلمية"، وما قارب هذا المعنى في إشارة منهم إلى دور الأسرة العلمية في حياة المتعلم.

ولا تختلف الأسرة البربرية عن غيرها من أسر المجتمع الأندلسي في هذا الجانب فقد عرفت القرون الهجرية الخمسة السابقة نماذج لأسر بربرية عديدة أسهمت في الحياة

1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6 ص483. وابن الأبار،المصدر السابق، ج1 ص367.
2- ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ص498.
3- ابن مغاور الشاطبي، المصدر السابق، ص126.
4- نانسي فيصل الرواشدة، الحياة العلمية في مرسية الإسلامية من القرن الخامس إلى السابع الهجريين، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، ط1 2004م ص146.

السياسية والإدارية والعلمية بالأندلس[1]، وظهرت أس... العلم لأبنائها منذ نعومة أظفارهم، وتواصل هذا المشهد الحضاري إلى زمن الموحدين، فظهرت بيوت بربرية كان العلم السمة الأكثر شهرة بين أفرادها، والتي نذكر منها:

أسرة آل أبي سعيد الفازازي أنموذجاً:

يعود تأسيس هذا البيت إلى أبي سعيد يخلفتن بن أحمد بن تنفليت اليجفشي الفازازي من قبيلة زناتة البربرية، ويجفش إحدى أفخاذها[2]، وقد وقع الخلاف بين النسابة حول تحديد معنى الفازازي بين قائل أن التسمية تعود إلى "فازاز" وهو جبل بالقرب من مكناسة في بلاد المغرب بين نهري سلا وسبو[3]، ومن قائل إنهم فخذ من زناتة[4]، ويبدو من رواية ابن سعيد في جغرافيته أنه جمع بين القولين فاعتبر أن إطلاق اسم فازاز إنما يعود إلى البربر الذين سكنوا هذا الجبل واتخذوا فيه قلعة يخزنون فيها طعامهم ومحارثهم[5]، وبالرغم مما تظهره تراجم أبناء هذا البيت بأنهم من أهل الأندلس[6]، إلا أن المصادر غير صريحة في تحديد أصل موطنهم، في حين انتسب الأحفاد إلى عدوة المغرب، وهو ما سيتم التعرض لأسبابه لاحقاً.

وأبلغ ما ورد عن حياة أبي سعيد أنه كان على قدر من العلم مكنه من إجازة الرواية لأبنائه، وقد تميز باسمه البربري "يَخْلِفْتن"، والذي ضبطه السيوطي في بغيته بفتح الياء وسكون الخاء المعجمة والفاء[7].

1- عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص193، وملاحق البيوتات البربرية، ص488.
2- ابن عبد الحليم الايلاني، المصدر السابق، ص 175، وابن الأبار، التكملة، ج3، ص48.
3- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار، ص187.
4- ابن عبد الحليم الإيلاني، نفس المصدر والصفحة.
5- ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، ص141.
6- عدهم ابن الزبير من الغرباء عنها، غير أن ترجمته يشوبها بعض الاضطراب والنقص، وبها خلط واضح بسبب عدم التفرقة بين الأب والأخ والابن مع تردده في ضبط سنوات وفاتهم، وعهدتنا في ذلك ابن الأبار على اعتبار أنه عاصر أفراد هذه العائلة، وكان أكثر ضبطا لسنوات وفاتهم.
7- السيوطي، المصدر السابق، ج2، ص79.

وأما أكبر أولاده فهو أبو عبد الله محمد، لا نع[illegible] نشأته، غير أنه يتضح من وصف مترجميه أنه نال نصيبا وافرا من العلم في مراحل حياته العلمية، فقد "كان ذا حظ من الفقه، وتقدم في معرفة الآداب وذكر التواريخ واللغات، كاتباً بليغاً، شاعراً مجيداً"[1]، أهلته مكانته لتولي الكتابة في بلاط الموحدين على عهد الخليفة محمد الناصر بن يعقوب المنصور، وذهب ابن عبد الملك المراكشي إلى أن هذا الخليفة هو الذي رفعه من الكتابة إلى القضاء، وتقلب بين هذين المنصبين إلى عهد الخليفة يوسف المستنصر بن محمد الناصر(610-620هـ/1213-1223م)، وهذا لا يتأتى إلا لمن حاز حظاً وافراً من العلم واستوفى شروط القضاء، ولذلك تولاه في مختلف المدن الأندلسية كمرسية وغرناطة وانتهاء بقرطبة التي توفي بها وهو قاض عليها سنة 621هـ/ 1224م.[2]

وللقاضي والكاتب أبي عبد الله الفازازي حظ من قرض الشعر، فمن قصيدة يمدح بها الناصر بعد وصول نبأ انتصار جنده بإفريقية سنة 606هـ/1209م، منها: [الطويل]

هَذي الفُتُوحُ تَفَتَّحَتْ أزْهَارُهَــا   وَتَدَفَّقَتْ مِلْءَ المَلاَ أنهَارُهَا

وَتَأرَّجَتْ نَفَحَاتُهَا وَتَبَرَّجَـــتْ   صَفَحَاتُهَا وَتَبَلَّجَتْ أنْوَارُهَــا

وَأتَتْ بَشَائِرُهَا إلَيْكَ سَوَافِـــرًا   عَنْ أوْجُهٍ يَا حَبَّذَا أسْفَارُهَــا[3]

ونُسب له في ذم الخمر وشاربها أبيات منها: [البسيط]

مَاخَمَرَ العَقْلَ فَهُوَ خَمْـــرُ   وَالخَمْرُ عِنْدَ اللّبِيبِ جَمْـــرُ

يَا شَارِبَ الخَمْرَ مُسْتَسِـــرًّا   مَا دُونَ رَبِّ العِبَادِ سِـــرّ[4]

1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص362.
2- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص267، وابن عبد الملك المراكشي، نفس المصدر والجزء والصفحة.
3- ابن عذاري، المصدر السابق، ص255.
4- وردت هذه القصيدة ضمن آثار أخيه أبي زيد الفازازي، المصدر السابق، ص61.

وعبر عن امتعاضه لما آلت إليه بلاد الأندلس
أبيات "قيل أنها وجدت برقعة في جيبه يوم موته : [الطويل]

الرُّوْمُ تَضْرِبُ فِي البلاَد وَتَغْنَـــمُ وَالجُورُ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ وَالمَغْــــرَمُ

وَالمَالُ يُوْرَدُ كُلَّهُ قَشْتَالَـــــــــة وَالجُنْدُ تَسْقُطُ وَالرَّعِيَةُ تُسْلِــمُ

وَذَوُو التَّعْيِين لَيْسَ فيْهِمْ مُسْلِــمُ إلاَّ مُعِيْنُ في الفَسَادِ مُسلِّـــــمُ "[1]

وأما أشهر من اهتمت به المصادر من هذه الأسرة فهو أبو زيد عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازي، ولد بقرطبة بعد سنة(550هــ/1155م)، ونشأ في بيت علم ودين، حيث تعلم على يدي أبيه أبي سعيد ثم على جمهرة مشيخة قرطبة والأندلس [2] وكان "حافظاً، نظاراً، ذكياً، ذا حظ وافر من معرفة أصول الفقه وعلم الكلام، وعناية بشأن الرواية"[3]، وقد وصفه تلميذه الرعيني [4] في برنامجه "بسرعة البديهة ناظماً وناثراً، وأنه لم يلتق مثله في دينه وفضله ومشاركته في العلوم الشرعية"[5]، وذكر له ابن الأبار جانباً مهماً في حياته وهو التصوف "وصحبته المريدين في مطالبهم والتشدد على أهل البدع"[6].

كان عبد الرحمن الفازازي محبا للتجوال داخل الأندلس وخارجها، وقد شغف بحب تلمسان وأهلها، وتعلق بهما منذ الصغر، ومن آثاره في ذلك قصيدة كتبها إلى أحد أصدقائه نذكر منها: [السريع]

أهْــــوَى تِلِــــمْسَــــانَ وَسُــــكّانَــــهَا وَلَوْ كَانَ لِي فِي الكَوْنِ اخْتِيَـــــــار

1- المقري، المصدر السابق، ج4، ص467.
2- ابن الأبار، المصدر السابق، ج3 ص 48، والرعيني، المصدر السابق، ص102.
3- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3 ص395.
4- هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن هيصم الرعيني الإشبيلي، ولد سنة 592هــ/1195م في إشبيلية، وتولى القضاء في مرور، واشتهر بالكتابة لدى ملوك الأندلس، من أثاره برنامج شيوخه، وصلة المطمح والذخيرة وغيرها، توفي بمراكش سنة 666هــ/1267م . ينظر بن الزبير، المصدر السابق، ج4 ص146-147.
5-الرعيني، المصدر نفسه، ص103.
6- ابن الأبار، المصدر السابق، ج3، ص48 .

أرْضٌ خَلَـعْتُ العُذْرَ فِي تَرْكِهَـــا   أضْ

أقْسِّـــمُ بالبَـــيْـــتِ وَأسْـــتَـــارِهِ   وَزَمْزَمٍ وَالرُكْـنِ وَالمُسْتَـجَــار

مَا سكَنَتْ نَفْسِي إلَى غَيْرِهِـــــم   وَهَلْ يَرُوقُ الصّقْرُ بَعْـدَ النّضَــار

يَــا سكَــنَ اللهُ فُـــؤَادِي بِهِـــم   فَمَـــا لَهُ بَـــعْدَهُمْ مِـنْ قَـــرَار

أعْلِلُ النَّفْسَ بطُـولِ المَــــدَى   وَقَدْ مَضَـــى وَعْدُ وطَالَ انْتِظَــار

فَأيْنَ مِنِّـي وَالَّـــوَى غُرْبَــــةٌ   أولَئِكَ النَّــاسُ وَتِلْكَ الدِيَــــار[1]

وتنم قصائد أخرى عن مدى أواصر الصداقة التي كانت تربطه بأدباء تلمسان وشعرائها[2].

وقد رفعته مكانته الأدبية لأن يتولى مثل أخيه محمد الكتابة في بلاط الموحدين؛ فاختص بالسيد أبي إسحاق بن المنصور الموحدي والي إشبيلية ثم غرناطة، وبأخيه أبي العلاء المأمون أيام توليه الخلافة، وقد أشاد أهل التراجم ببراعته في الكتابة السلطانية والإخوانية، التي شكلت حبل اتصاله بالسلطة الموحدية، وفي خبر ذي صلة بذلك يطلعنا صاحب الحلل الموشية عن تدخل الكاتب أبي زيد سنة 627هـ/1229م لدى المأمون قصد إزالة جثث مخالفيه الناكثين بيعته، والتي كانت معلقة على أسوار مراكش[3].

وتعتبر آثاره وما خلفه دليلاً على نبوغه وبخاصة في جانبه الأدبي، من ذلك مثلا ديوان شعر في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم)[4] ضمّ مجموعة قصائد عرفت بالقصائد

1- أبو زيد الفازازي، المصدر السابق، ص.123.
2- نفسه ، ص121-125.
3- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص165-166.
4- اشتهرت المدائح الدينية في المغرب والأندلس خلال هذه الفترة، ينظر عن تاريخها وإسهام الأندلسيين في بعثها، الجيلالي سلطاني، المرجع السابق، ص257.

العشرينية، والتي كل قصيدة منها تتألف من عشرين

ومن مختارات مدحه لخير الأنبياء قوله: [الوافر]

إذَا أَمَّلْتَ مِنْ مَوْلاَكَ قُرْبــــــاً ... فَجَــدِّدْ ذِكْرَ خَيْرِ الأنْبِيَـــــــاءِ

وَصَلِّ عَلَيْهِ أولَ كُلِّ قَـــــولٍ ... وآخِرِهِ بِصُبْحٍ وَالمَسَـــــــــاءِ

فَإنَّ مُحَمَّـــداً أعْـلَى البَرَايَـــا ... مُحَلاً فِي السِّيَادَةِ وَالعَـــــــلاَءِ

لِوَاءُ الحَمْدِ فِي يُمْنَى يَدَيْـــــهِ ... وَكُلُّ النَّاسِ مِنْ دُونِ اللِّـــوَاءِ[3]

ولإجادته الكتابة النثرية أنشأ للواعظ أبي عبد الله بن الحجام[4] خطباً اشتهرت في أيدي الناس حيث جمعها ابن الحجام في كتاب كبير سماه "حجة الحافظين ومحجة الواعظين"[5]، بالإضافة إلى رسائله السلطانية والإخوانية، وقد أحصى عبد الحميد عبد الله الهرامة –محقق آثاره– ما بين يديه من أعماله المنظومة فبلغت 173 بين قصيدة ومقطوعة عدد أبياتها يزيد عن 2656 بيت، وأما الرسائل فأحصى منها 26 رسالة[6].

ونسب له المقري في نفحه كتاباً في التاريخ لم يذكر اسمه، غير أنه أشاد بصنيعه في رواية الأخبار وأن فيه تاريخ "الأيام والدول والأواخر والأوّل"[7].

1- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3 ص396.

2- عرفها محمد بن شريفة بأنها شكل شعري تتألف القصيدة فيه من عشرة أبيات تبنى كلها على حرف واحد، وهي نوعان غزلية وزهدية، ينظر مقدمة ابن الحريق البلنسي حياته وآثاره، المصدر السابق، ص84.

3- أبو زيد الفازازي، المصدر السابق، ص154.

4- هو محمد بن أحمد بن محمد اللخمي، التلمساني، المكناسي الأصل، أبو عبد الله بن الحجام، احتفى به المنصور وقربه ثم ابنه الناصر وحفيده المستنصر، وتولى إمامة الجامع الأعظم بإشبيلية، توفي سنة 614هـ/1217م، ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص266.

5- وأضاف ابن عبد الملك المراكشي أن هذا الكتاب اختصره أبو زكريا بن محمد بن طفيل وسماه "أنوار مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار"، وأنه وقف عليه في مجلدين ضخمين بخط مختصره، ابن عبد الملك المراكشي، نفس المصدر والجزء، ص267.

6- ويؤكد المحقق أن شعره ذاع في جنوب الصحراء الكبرى وبخاصة في غرب إفريقيا، وأنه شاهد الناس يقرؤونه في عيد المولد النبوي الشريف في المدن المالية وبخاصة في مدينة تنبكتو، وأنه اطلع على مخطوطاته في مدينة غدامس الليبية، مقدمة محقق آثار ابن أبي زيد الفازازي، المصدر السابق، ص16.

7- المقري، المصدر السابق، ج4 ص468.

تدل بعض الرسائل التي تبادلها أبو زيد الفا
التواصل التي كانت تربطهم، وموضوعها يدور حول وصايا علماء بني عذرة[1] لأبي زيد بأن يهتم بأبنائهم الوافدين على قرطبة ورعايتهم قصد طلب العلم، وفيها إشادة بما كان يقوم به أبو زيد من خدمة للطلبة الوافدين على قرطبة[2].

ولا يفوتنا أن نشير إلى موقف أبي زيد الفازازي من الفلسفة وأهلها، فرغم إجادته لأكثر من علم، وحثّ تلامذته على طلبه إلا أنه حذر من الفلسفة والفلاسفة، معللاً ذلك أنه لا نجاة للخائض في دروبها، ولخيبة طالب البرهان منها، وهذا الموقف ليس بالجديد من أبي زيد، ذلك أن جملة من العلوم العقلية شهدت خلال المرحلة الوسيطية في الأندلس معارضة للحد منها والتحذير من اتباع المشتغلين بها، على غرار علم الفلك والكيمياء والمنطق، وقد سجل هذا الموقف تلميذه الرعيني في أبيات منها، [الكامل]

فَاقْذِفْ بِأفْلاَطُون وَأرسْطَـــــالِسِ ... وَذَوِيهِمَا تَسْلُكْ طَرِيقاً لا حِبَـــــــــا

وَدَعِ الفَلاسِفَةَ الذَمِيْمَ جَمِيْعَهُـــــم ... وَمَقَالَهُمْ تَأتِ الأحَقَّ الوَاجِــبَــــــــا

يَا طَالِبَ البُرْهَانِ فِي أوْضَاعِهِم ... أعْزِزْ عَلَّيَ بِأنْ تَعْمُرَ خَائِبَــــــــــا

أعَرَضْتَ عَنْ شَطِّ النَّجَاةِ مُلْجِماً ... فِي بَحْرِ هَلَكٍ لَيْسَ يُنْجِي عَاطِبَــــــا

وَصَفَا الدَّلِيلُ فَمَا قَنَعْتَ بِصَفْوِهِ ... حَتَّى جَـــــعَلْتَ لَهُ التَّحَـــيُرَ شَائِبَـــا

فَانْظُرْ بِعَقْلِكَ هَلْ تَرَى مُتَفَلْسِفـاً ... مِمَـــــــــنْ تَرَى إلاَّ دَعِـــياً كَاذِبَــا[3]

1- هذه الأسرة من البيوتات العلمية، سكنوا الجزيرة الخضراء، ومن أعلامهم عمر بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الأنصاري، كان فقيها حافظا، راوية للحديث ذا حظ من الشعر، استقضي ببلده وبسبتة، توفي سنة 576هـ/1180م، وابنه عبد الرحمن شاعر وأديب، اشتهر بوضع وصية لأبنائه يحضهم فيها على طلب العلم، توفي في حدود 600هـ/1203م، ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ج5 ص448، وابن الزبير، المصدر السابق، ج3 ص202.
2- ينظر أدب الوصية من الآباء للأبناء، ويليه مكاتبات علماء بني عذرة لعبد الرحمن بن يخلفتن القرطبي يوصونه بأبنائهم في طلب العلم، تحقيق محمد بن عزوز، دار ابن حزم بيروت ط1 2003 م، بداية من ص 38.
3- الرعيني، المصدر السابق، ص104-105.

وقد تواصل حمل لواء الكتابة والقضاء من
الذين ورد ذكرهم عرضاً ضمن السرد الذاتي لتاريخ خلفاء وأمراء بني عبد المؤمن من غير إفراد تراجم خاصة بهم تعرفنا أكثر عن أماكن ولادتهم ونشأتهم، دون أن يمنعنا هذا من تأكيد انتسابهم إلى بلاد المغرب لأن منهم من ورد ذكره في قسم الغرباء الداخلين إلى الأندلس، ولعل الذي يؤكد هذا الانتساب هو انتقال أسلافهم إلى العدوة المغربية واستقرارهم فيها بحكم طبيعة وظائفهم في بلاط الموحدين وبحاضرتهم مراكش تحديداً، وامتهان أحفادهم للوظائف ذاتها التي اشتهر بها بيت الفازازيين.

ولنبدأ بأبناء القاضي أبي عبد الله محمد الفازازي الذي ذكرت له المصادر ولدين، اسم الأول منهما عبد الله ويكنى أبا محمد، وقد عده ابن الزبير من الغرباء الداخلين إلى الأندلس[1]، و"كان من جملة الطلبة النبهاء"[2]، ولي القضاء في عهد أبي العلاء إدريس المأمون بن المنصور؛ "فكان مشكوراً موصوفاً بالجزالة والتنفيذ، وانتقل من قضاء مالقة إلى إشبيلية عام625هـ/1227م"[3]، وأما الثاني فهو الكاتب أبوعمران موسى، الذي اختص بالكتابة عن بني عبد المؤمن[4].

وللكاتب والشاعر أبي زيد عبد الرحمن الفازازي ابنا واحداً، هو أبو عبد الله محمد، ذكره ابن الخطيب ضمن من روى عن أبي زيد من تلامذته[5] في إشارة إلى تواصل جذوة العلم والمعرفة بين أفراد هذه الأسرة، كما أورد ابن عذاري اسمه عند ذكر كتاب الرشيد عبد الواحد بن إدريس المأمون[6] (630-640هـ/1232-1242م).

ومن أحفاد هذا البيت، أبو زكرياء الفازازي، ولا يعرف على وجه التحديد والده، وهو من جملة كتاب أبي العلاء إدريس المأمون وابنه الرشيد، وكتب عن أخيه أبي الحسن

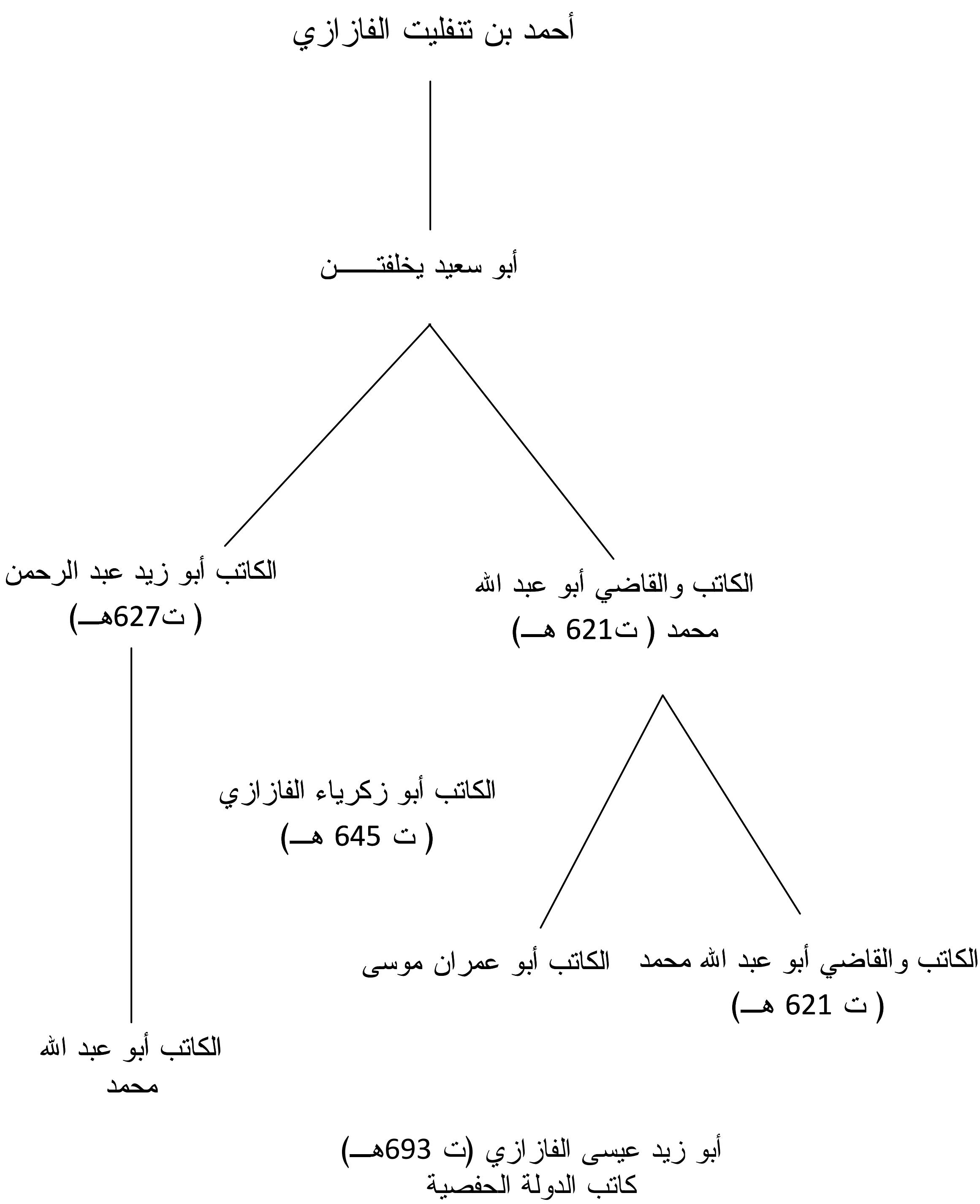
1- ابن الزبير، المصدر السابق،ج3 ص159.
2- ابن عسكر وابن خميس، المصدر السابق، ص.242.
3- نفسه، ص242.
4- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص.123.
5- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3 ص 394 -395.
6- ابن عذاري، المصدر السابق، ص299.

علي السعيد بن إدريس المأمون (640-646هـ
الكاتب سنة 645هـ/1241م[1]، ويطلعنا ابن القنفذ القسنطيني على دور وشهرة هذه العائلة في الدولة الحفصية بعد وفاة أحد كتابها المشهورين[2].

ولأن معرفة أنساب أعلام البربر فرضت علينا ضرورة تتبع كل ما قد يسهم في صياغة تصور عن علاقة النسب بالحياة العلمية للبربر في الأندلس، يجدر بنا التنويه إلى عدم تنكر أبي زيد الفازازي لأصوله البربرية[3]، في الوقت الذي لاحظنا فيه أعلاماً من البربر يتعمدون إخفاء أنسابهم أو تفضيل الانتساب بولائهم للقبائل العربية وبخاصة في زمن الدولة الأموية.

1- ابن عذاري، المصدر السابق ص 371-385.
2- هو الكاتب أبو زيد عيسى الفازازي المتوفى سنة 693هـ/1293م، ابن القنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية، تونس 1968م ص150.
3- ينظر الملحق رقم 1 ص139.

آل أبي سعيد الفازازي[1]



1- ينظر عن ترتيب أعلام أسرة الفازازي على هذا النحو ابن عذاري، المصدر السابق، ص255، 299، 385، 371، وعبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص267، وابن الأبار، المصدر السابق ج3 ص48، وابن الخطيب، المصدر السابق، ج3 ص395، وابن القنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص150.

3-علماء البربر:(أفراد أسمائهم وأنواع تخصصاتهم)

يتعدد ذكر أعلام البربر في كتب التراجم الأندلسية التي انصب اهتمام أصحابها على ذكر البلديين منهم مقارنة بالوافدين عليهم وإن عاشوا ودرسوا وماتوا في الأندلس إلا ما ضمه قسم الغرباء- على قلتهم – إتباعا لشرط مكان المولد، وتنوعت العلوم التي اشتغلوا بها، ومنهم من نبغ في أكثر من علم، غير أن ثمة جملة من العقبات تقف في طريق تصنيفهم والتعريف بهم، ومنها عدم تصريح المترجم بنوع العلوم التي اختص بها بعض الأعلام المترجم بهم، حيث الاكتفاء بأوصاف عامة كالحفظ والإتقان وكثرة الرواية، وذكر الشيوخ وانتهاءً بسنة الوفاة.

وهذه المعطيات لا تمكن المصنف من تحديد تخصصاتهم، فكان لا بد من إدراجهم ضمن عموم أهل العلم، ومنها معاصرة بعضهم لأكثر من فترة زمنية، ولعل في هذا ما يصعب عملية انتقائهم حسب سنوات وفاتهم، فليس بالضرورة أن يذكر من عاش إلى بداية تولي الموحدين ودخولهم إلى الأندلس ضمن علماء هذه الفترة بينما معظم مراحل حياته العلمية وعطائه الفكري كان زمن المرابطين، وهو ما فرض- في حدود ما أمكن – تتبع مختلف القرائن التي توضح صورة العصر السياسي الذي عاش فيه أعلام الفترة المدروسة، ومنها اهتمام علماء التراجم بتغليب الترجمة لمن اشتهر بالاشتغال بالعلوم النقلية مثلما دلت عليه تراجم السواد الأعظم من علماء الأندلس، في حين أن أهل العلوم العقلية أفردت لهم كتب خاصة- مع قلتها – على غرار ما كتبه ابن جلجل[1](من أهل القرن4هـ/10م)، وصاعد الأندلسي[2](ت462هـ/1070م)، وفي كتابيهما ما يفيد عزوف

1- هو سليمان بن حسان يكنى أبا أيوب، ويعرف بابن جلجل من أهل قرطبة، عني بعلوم عدة وغلب عليه علم الطب وعرف به، وألف كتابا في طبقات الأطباء والحكماء، فرغ منه سنة 377هـ/978م. ابن الأبار، المصدر السابق، ج4 ص85.

2- هو صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد التغلبي من أهل طليطلة، كان بارعاً في علوم الدين، تولى القضاء في طليطلة على عهد المأمون بن ذي النون، ومن أشهر مؤلفاته "طبقات الأمم"، ابن بشكوال، المصدر السابق، ص236.

كتاب الأندلس عن الترجمة لمن اشتغل بهذه العلوم ومستهل7هـ، فلم تظهر تراجم الأطباء والصيادلة والفلاسفة والفلكيين وعلماء الهندسة والفلاحة والحساب والكيمياء وغيرهم بنفس الطريقة التي اتبعها على الأقل صاعد الأندلسي[2]. ومنها قلة ما نعثر عليه من تراجم النساء عامة ناهيك عن البربريات منهن، وقد بدا هذا واضحاً في اقتضاب أهل التراجم لإخبارهن وأعدادهن بأقسام خاصة بهن وضعت عند الانتهاء من تراجم الرجال.

*** العلوم النقلية:**

- علوم القرآن:

من مشاهير علماء البربر الذين اهتموا بالقرآن الكريم تعليماً وتحفيظاً، وبرزوا في علم القراءات والتفسير ومعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ، وكل ما اتصل بالقرآن وعد من علومه:

- أبو الحسن علي بن أحمد بن حنين الكتامي، ولد بقرطبة ونشأ بها، وفي مدينته سمع موطأ مالك بقراءة أبيه أحمد، وأخذ علم القراءات عن علماء الأندلس، ورحل حاجا فأدى الفريضة ولقي أبا حامد الغزالي، وسمع منه أكثر الموطأ برواية ابن بكير، وعند عودته استوطن مدينة فاس سنة 553هـ/1158م، وتصدر لإقراء القرآن وعلومه إلى أن توفي بها سنة 569هـ/1173م[3].
- أبو عبد الله محمد بن مرزوق بن أبي الأحوص الزناتي، من أهل بلنسية، روى عن صهره أبي الحسن بن هذيل ولازمه وأكثر عنه، وأجاز له أبو القاسم بن حبيش، وكان من

1- ينظر ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2005م ص1-2، وصاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة 1998م، ص 85-89.
2- خوان فيرنيه، العلوم الفيزيائية والطبيعية في الأندلس، ترجمة أكرم ذا النون، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، المرجع السابق، ج2 ص1310.
3- ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1974م، ج2 ص480.

كبار المقرئين والأئمة المتقنين، ثقة صدوقا، ضابط
592هـ/1195م.[1]

- أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلصة الحميري الكتامي، من أهل قرطبة، وبها أخذ القراءات السبع على أبي بكر بن عياش بن فرج، والنحو واللغة والأدب على أبي بكر بن سمجون اللمتوني، وأجاز له من أهل الأندلس: أبو القاسم بن بشكوال وغيره، وتوفي سنة 600هـ/1203م.[2]
- أبو بكر محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زكرياء بن عبد الله بن حسنون الحميري الكتامي من مدينة بياسة[3]، أخذ علم القراءات عن أبيه، وروى عن أبي بكر بن العربي، وعلم العربية والأدب عن أبي عبد الله بن عبد الرحمن القفال، وكان من جلة المقرئين وأئمة الحديث، عدلاً ضابطاً متقناً، طيب النغمة بالقراءة[4]، وتولى قضاء مدينته وتصدر بها للإقراء وإسماع الحديث عمره كله، وعمّر طويلا فعلت روايته وكثر الراحلون إليه، وببلده توفي سنة 604هـ/1207م.[5]
- أحمد بن محمد بن إبراهيم الكتامي المتوفى سنة 610هـ/1213م كان يقرئ القرآن في حلقات بجامع قرطبة، وعليه روى عدد كبير من طلبة الأندلس.[6]
- أبو عبد الله محمد بن مصالة الفازازي الركلاوي، من أهل المغرب، ويعرف بابن عبو، دخل الأندلس وسمع بإشبيلية على ابن العربي الموطأ والصحيحين، وسمع على القاضي عياض كتاب "الشفا"، وكان عالما بالتفسير، ويجلس لتعليم القرآن، وكان على قيد الحياة سنة 611هـ/1214م.[7]

1- ابن الزبير، المصدر السابق، ج5 ص423.
2- نفسه ص344
3- بياسة: مدينة بالأندلس على كدية تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة، وهي ذات أسوار وأسواق ومتاجر، وحولها زراعات، الإدريسي، المصدر السابق، ج2 ص568- 569.
4- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6 ص452.
5- نفسه، ص452.
6- نفسه، ص423.
7- ابن الزبير، نفسه، ج3 ص27.

- أبو الحجاج يوسف بن محمد بن علي بن محمد مصامد، سكن مالقة، ورحل إلى المشرق طالباً للعلم فأخذ سند القراءات، ومن مؤلفاته في ذلك كتاب"المرشد في رواية ورش وقالون"، وكتاب " الاقتداء بسنن الهدى" في الفقه، وكتاب "المنتقى مما هو المرتضى للمتكلمين في أصول الدين"، وكتاب" المقام الأعلى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلي" ، وكانت وفاته بمالقة سنة 633هـ/1235م[1].

- أبو موسى عمران بن موسى بن ميمون الهواري، أصله من عدوة المغرب، ودخل الأندلس فأخذ عن أبي عبد الله بن الفخار المالقي، وأبي القاسم بن سمجون بغرناطة، وكان مفسرا، حافظا، أديبا نحويا، واختص بتدريس العربية وتفسير القرآن بمدينة غرناطة ومالقة، وتوفي بعدوة المغرب عند رجوعه إليها من الأندلس في حدود سنة 640هـ/1242م[2].

- أبو محمد عبد الحق بن يوسف بن تونارت بن تمحليت الصنهاجي، من أهل جيان، أخذ القراءات عن المقرئ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يربوع، ورحل إلى إشبيلية فأخذ عن أبي الحسين بن زرقون، وقرأ العربية والأدب على أبي علي الشلوبين وغيره، ورجع إلى بلده فأقرأ به القرآن والعربية وبه توفي سنة 640هـ/1242م[3].

- أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمران المزدغي، ومزدغة قبيلة من البربر[4]، رحل إلى الأندلس طالبا للعلم صحبة أبيه، فروى بإشبيلية وقرطبة وغيرهما، وكان ماهرا في علوم اللسان، ذا حظ صالح من رواية الحديث، ضابطا لما يرويه، اهتم بالقرآن الكريم، وذكر له ابن عبد الملك كتابا في تفسيره انتهى فيه إلى سورة الفتح، وتوفي دون إتمامه، ومن مصنفاته، كتاب" أنوار الأفهام في شرح الأحكام"، وغيره من المقالات والرسائل، كما درّس بفاس وسبتة، وتولى الخطبة والصلاة بجامع القرويين إلى أن توفي سنة 655هـ/1257م[5].

1- ابن فرحون، المصدر السابق، ص 443، وابن الزبير، المصدر السابق، ج5 ص292.
2- ابن الزبير، نفسه، ج4 ص177، وابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص243.
3- نفسه، ص12.
4- ابن القاضي، المصدر السابق، ج2 ص551.
5- ابن عبد الملك المراكشي، نفسه ، ص365، وابن القاضي، نفسه، ج1 ص222.

- **علوم الحديث:**

قسم علماء الحديث هذا العلم إلى نوعين: علم دراية وعلم رواية[1]، وأن على طالبي روايته أخذ إجازة أسانيد الأحاديث من رواتها، وهو ما تطلب من الأندلسيين القيام بالرحلة داخل بلادهم وخارجها قصد ملاقاة الشيوخ والرواية عنهم طلباً لعلو الإسناد وتنويع مروياتهم، ولعله واحد من الأسباب التي شجعت على رواج كتب برامج مرويات الشيوخ وفهارسهم، وقد اعتمد كتاب التراجم في الأندلس على عدد كبير منها كمصادر أولية لتدوين موادهم[2]، وممن تم إحصاؤهم من علماء الحديث الأندلسيين ذوي الأصول البربرية، والوافدين عليهم من بربر المغرب الغرباء نجد:

- أبو محمد عبد الله بن موسى بن عبد الرحمن بن حماد الصنهاجي، من أبناء غرناطة، وممن ولد بها سنة 521هـ/1127م، وهو من بيت علم ودين فوالده هو القاضي موسى بن عبد الرحمن المكنى بأبي عمران قاضي غرناطة، وقد كانت لابنه رواية عن عدة شيوخ، وذكر الكثير من الأحاديث، وهو من أهل القرن 6هـ إذ لا تعرف سنة وفاته على وجه التحديد[3].
- أبو سعيد ميمون بن ياسين اللمتوني، دخل الأندلس فأخذ بغرناطة عن جماعة من شيوخها، ورحل إلى المشرق فأخذ بمكة عن علمائها صحيح البخاري، واشتهر باقتنائه للكتب، وقد رجّح ابن الزبير أن وفاته كانت بعد سنة 550هـ/1155م[4].

1- علم الحديث رواية هو علم يشتمل على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله وتقريراته وصفاته وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها، وأما علم الحديث دراية فيعرف منه حقيقة الرواية وشروطها، وأنواعها وأحكامها وحالة الرواة وشروطهم وأصناف المرويات، ينظر السيوطي، تدريب الراوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، طبعة دار السعادة، القاهرة 1966م، ج1 ص40، وابن الصلاح، مقدمة علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، نشر المكتبة العلمية، دمشق ط3 1997 م ص12.

2- ينظر من ذلك مثلاً عدد البرامج والفهارس التي أحصاها عبد الله المرابط الترغي في كتابه فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، المغرب ط1، 1999م، بداية من ص 100. كما أكثر من ذكرها ابن عبد الملك المراكشي، ينظر ما أحصاه المحققان، ج5 ص792، وج6 ص585، وج8 ص682.

3- ابن الزبير، المصدر السابق، ج3 ص117.

4- نفسه، ص77.

- أبو علي منصور بن محمد بن الحاج داوود
المغرب، تعلم بمراكش ودخل الأندلس فروى بقرطبة عن أبي بحر الاسدي، وابي محمد بن عات النفزي، وببلنسية عن أبي الحسن طارق بن يعيش، وبمرسية أخذ علم الحديث عن أبي علي الصدفي وغيرهم كثير، وكان محدثا حافظا[1]، وقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي أن أبا علي اقتنى من دواوين العلم ما لم يكن لأحد مثله في عصره، وأنه فخر لمتونة العلمي، وذكر أن وفاته كانت بالأندس سنة 550هـ/1155م[2]

- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن الحسين اللواتي من الغرباء الداخلين إلى الأندلس طلباً للرواية عن علمائها، نال الإجازة في علم الحديث وأخذ العربية والفقه، وعنه حدث خلق كثير، وكانت وفاته سنة 573هـ/1177م[3].

- أبو الحسن علي بن أحمد بن سعيد بن عبد الله الكومي، من أهل المغرب، ونزل المرية فعد من أهلها، روى بالأندلس عن أبي القاسم بن بشكوال وغيره من أهل الفقه والحديث والقراءات، رحل إلى المشرق طلبا للعلم والحج، فروى بالبقيع عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، وبالموصل عن أبي الفضل الطوسي، وسمع ببغداد من غير واحد، وبالإسكندرية عن أبي طاهر السلفي وجلة من علماء المشرق، وحدث بمصر والقاهرة، وكان محدثا ذاكرا شديد العناية بعلم الحديث، ومن مؤلفاته كتاب "البستان في علم القرآن"، و"فتح المنغلق وجمع المفترق"، و"الزلفى والإرشاد إلى ما قرب وعلى من الإسناد"، وتوفي سنة 599هـ/1202م[4].

- أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن مرزوق الزناتي من محدثي الأندلس، ولا نعرف عن حياته العلمية الشيء الكثير، وكانت وفاته سنة 599هـ/1202م[5].

1- ابن الابار، معجم أصحاب أبي علي الصدفي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة، ط1 1989م ص193.
2- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص378.
3 – ابن الأبار، التكملة، ج3 ص244.
4 – نفسه، ص246.
5 – من استدراكات التجيبي على ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج6 ص507.

- أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليـ
روى ببلده عن أبيه وجمهرة من علماء تلمسان وفاس، ودخل إلى الأندلس فأخذ بإشبيلية عن أبي بكر بن الجد وغيره، ورحل إلى المشرق فروى عن أبي طاهر السلفي وغيره من علماء مصر، وذكر شيوخه في برنامجه الذي سماه" الإقناع في ترتيب السماع"، وعند عودته تصدر للتدريس، فقد كان راوية للحديث فقيها حافظا متقنا في علوم جمة، وجمع خزانة كبيرة من الكتب، وله مصنفات كثيرة منها "المختار في الجمع بين المنتقى والاستذكار"، وعدّ له ابن عبد الملك أزيد من عشرين مؤلفا في علوم شتى، وتولى القضاء ببلده، ومن مأثور نظمه ما قاله في عدد أحاديث صحيح البخاري: [الطويل]

جَمِيعُ أَحَادِيثِ الصَّحِيحِ الذِي رَوَى   البُخَارِي خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ فِــي العَدّ
وَسَبْعَةُ آلافٍ تُضَافُ وَمَا مَضَــى   إلَى مَائَتَيْــن عَدَّ ذَاكَ أولُو الجــــدِّ

توفي أبو عبد الله بتلمسان سنة 625هـ/1227م.[1]

- أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي القرطبي، أخذ الحديث عن علماء قرطبة، وكان أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لرجاله، وأشدهم عناية بالرواية، له برنامج مفيد في شيوخه، وقد تولى القضاء في بلاد المغرب وبها توفي سنة 628هـ/1230م.[2]

- الفقه وأصوله:

تعتبر طبقة الفقهاء الفئة الأكثر ارتباطاً بالحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية للناس، وهذا لما يعترضهم من مشكلات ونوازل تحتاج إلى فتاوى واستشارات فقهية لإقامة مختلف الشعائر الدينية والمعاملات اليومية، وليس خفياً أن الحصول على الإجازة في هذا التخصص بمختلف فروعه من كبار فقهاء الأندلس وبلاد المشرق فتح باب تولي

1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص317-321.
2- التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ط1 2004م،ج1 ص258.

المناصب الإدارية أمام الساعين إلى بلوغها كالقضا السوق، وهو ما تثبته تراجم هذه الفئة من المجتمع الأندلسي، ومنهم أعلام البربر الذين أسهموا باشتغالهم بعلم الفقه فنالوا مناصب إدارية أشاد بذكرها أهل التراجم، ومنهم:

- أبو عبد الله ميمون الهواري من أهل قرطبة، استخدمه الخليفة عبد المؤمن بن علي كاتباً له، وهو يعد من كبار الفقهاء والأدباء في قرطبة[1].
- أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزاري، نسبة إلى قبيل من البربر، من أهل غرناطة، أكثر القراءة والسماع على أبي إسحاق بن عبد العزيز بن أبي تمام وابن الخلوف وابن طاهر وابن العربي، وكان محدثا حافظا للتواريخ وطبقات الرواة وتعديلهم وتجريحهم، ماهرا في علمي الكلام وأصول الفقه، أديبا، وله مصنفات كثيرة في الحديث وتواريخه، منها كتاب" شرح إرشاد أبي المعالي"، وكتاب" أصول الفقه"، و"أجوبة على مسائل اقتضى منه الجواب عليها"، وكتاب "منهاج السادات في شرح الإرشاد"، توفي بغرناطة سنة 552هـ/1157م[2].
- أبو علي منصور بن فوناس بن مسلم بن عبدون بن أبي فوناس الزرهوني، من أهل فاس، روى ببلده ودخل الأندلس طالبا للعلم فروى بقرطبة عن أبي البحر الأسدي وابن عتاب، وبمرسية عن أبي علي الصدفي وغير هؤلاء كثير، وكان فقيها حافظا مفتيا مشاورا محدثا، عاد إلى بلده فاس وبها توفي سنة 556هـ/1160م[3].
- أبو الحسين علي بن الحسين بن علي بن الحسين اللواتي نسبة إلى قبيلة لواتة البربرية، أصله من مدينة فاس، دخل إشبيلية فأخذ عن أبي الحسن بن الأخضر العربية واللغة، وعن أبي عبد الله بن شبرين وغيرهما من شيوخ الأندلس، وكان عالما بالفرائض والعقود، فقيها حافظا، ومفتيا ومشاورا ، توفي بفاس سنة 573هـ/1177م[4].

1- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص113، وابن القطان، المصدر السابق، ص87، وأبو بحر صفوان بن إدريس، المصدر السابق، ص48- 49.
2- ابن الزبير، المصدر السابق، ج4 ص155، وابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج5 ص282.
3- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه ، ج8 ص378.
4- نفسه، ص156، وابن القاضي، المصدر السابق، ج2 ص466.

- أبو موسى عيسى بن عمران بن دافال المكناس

دخل الأندلس طالبا للعلم فأخذ بالمرية وغيرها[5]، وكان من الفقهاء قائما على الفقه وأصوله، ذا حظ صالح من قرض الشعر، روى له ابن عبد الملك قصيدة طويلة يوصي فيها بنيه وسائر أهل العلم، منها: [الكامل]

دَعْ ذِكْرَ دَارٍ مَصيرُهَا أنْ تَخْرَبَا وَاعْمَلْ لِدارٍ مُقَامَةٍ لَنْ تَذْهَبَــا
مَا كُنْتُ أحْسَبُ يَا عَلّيُ مَنِيَتِـــي تَقْضِي عَلَيَّ مُغَرباً عَنْ زَيْنَبَــا
فَارْفُق بِمَن سَمَّيْتُهَا لَكَ مُشْفِقـاً تُحْرِز رِضَايَ بِكَفّل أخْتِكَ زَيْنَبَا

وتولى أبو موسى قضاء إشبيلية ثم قضاء الجماعة بمراكش إلى أن توفي سنة 578هـ/1182م[1]

- أبو الحسن علي بن يحي بن القاسم الصنهاجي، أصله من عدوة المغرب ونزل الجزيرة الخضراء[2] فنسب إليها، وبهذه المدينة درّس الفقه إلى أن ولي قضاءها، ذكر له ابن الأبار مختصرا في عقد الشروط سماه" المقصد المحمود في تلخيص العقود"، وأن الناس أكثروا من استعماله لجودته ومعرفة صاحبه بهذا الفن، توفي أبو الحسن سنة 585هـ/1189م[3].

- أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي الفاسي، المعروف بابن الكتاني، من علماء البربر وأئمة أهل المغرب[4]، دخل الأندلس مرارا، وأخذ عن علمائها، وكان متحققا بعلم الكلام، متقدما في معرفة أصول الفقه، ذا حظ صالح من علوم اللسان وقرض الشعر، وقد تصدر للتدريس في بلده، ذكره ابن الزيات في أهل التصوف، وأنه كان زاهدا في الدنيا معرضا عنها، وفي ذلك يقول: [الطويل]

وَمَنْ كَانَ فِي رَوضِ المَعَارِفِ سَارِحًا فَمَا رَاقَهُ مِـــنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَسْرَحُ

5- ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ص254.
1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص255-256، و ابن القاضي، المصدر السابق، ج2 ص503.
2- الجزيرة الخضراء: مدينة بجنوب الأندلس، متحضرة لها سور حجارة وثلاثة أبواب ودار صناعة، ويشقها نهر يسمى نهر العسل، وهو حلو عذب ومنه شرب أهل المدينة، وأمامها جزيرة تعرف بجزيرة أم حكيم. الإدريسي، المصدر السابق، ج2 ص539.
3- ابن الأبار، المصدر نفسه، ج3 ص245.
4- ابن عبد الحليم، المصدر السابق، ص180.

إلَـــى المَلاِ الأعْلَى سَمَوْتُ بِهِمَّـــــتِي

وَإنِّي لأرْقَى دَائِمـــاً فِـــي مَعَـــــارِج

ويضيف ابن عبد الملك المراكشي أن الفندلاوي كان منقبضا عن الملوك وأبناء الدنيا، وقد رغب المنصور الموحدي في تقريبه من مجلسه فلم يقدر على ذلك، وذكر أن وفاته كانت بفاس سنة 597هـ/1200م[1].

- أبو علي الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري، أهل بيته ينتمون في تجيب، وأصله من ناحية بجاية، روى عن أبيه وأخذ الفقه عن علماء الأندلس، ودخل مرارا إشبيلية وبها ولي الخطبة، وكانت وفاته سنة 598هـ/1201م[2].
- أبو الحسن علي بن الحسين الصديني نسبة إلى قبيلة صدينة من البربر، من أهل فاس، دخل الأندلس وتعلم على يد أهلها وولي قضاء غرناطة، من أهل المعرفة بالفقه والنظر، وكانت وفاته بعد سنة 600هـ/1203 م[3].
- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن يحيى الغُماري، وغُمارة قبيلة من البربر، الواعظ الضرير، من أهل الجزيرة الخضراء، روى عن أبي بكر بن العربي واستظهر عليه موطأ مالك وأجاز له، توفي سنة602هـ/1205م[4].
- أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن حسنون الحميري الكتامي، من أهل بياسة، وصاحب الصلاة والخطبة بها، توفي سنة 604هـ/1207م[5].
- أبو طاهر أحمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن علي الهواري المالقي، استقضي مرتين بوادي آش[6]، وتولى الأحكام والمناكح بمرسية، وتوفي بوادي آش وهو يتولى قضاءها سنة 612 هـ/1215م[7].

5- ابن الزيات التادلي، المصدر السابق، ص273.
1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص331.
2- ابن الأبار، المصدر السابق، ج1 ص219.
3- نفسه، ج3 ص247.
4- نفسه، ج3 ص45 .
5- نفسه، ج2 ص91.
6- وادي آش: مدينة بجنوب الأندلس، متوسطة المقدار، لها أسوار محدقة، ومياه متدفقة، ولها نهر صغير دائم الجري، الإدريسي، المصدر السابق، ج2 ص567.

7- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج1 ص307-309.

- أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عياش الزناتي حافظاً له شغف بالعلم، توفي بغرناطة سنة 618هـ/1221م.[1]
- أبو عمران موسى بن عيسى بن عمران بن دافال المكناسي الوردميشي، روى عن أبيه، وأبي محمد عبد الحق بن الخراط الإشبيلي، وكان من بيت علم ودين، ودخل الأندلس، وكان حظيا عند الملوك والأمراء، ولاّه محمد الناصر الموحدي قضاء الجماعة بمراكش، واستمرت ولايته إلى وفاة الناصر فأقره ابنه المستنصر إلى أن توفي سنة 618هـ/1221م.[2]
- أبو عمرو عبد الرحمن بن محمد بن مغنين الكتامي، من أهل اشبيلية وجلة موثقيها، روى عن الحافظ أبي بكر بن الجد، واعتنى بالعلم وأهله، وأحكم علم التوثيق، ويرى ابن الزبير أنه لم يكن في زمانه من يماثله في هذا العلم، حسن خط، وبراعة لفظ، وإتقان صنعة، عكف على طلب العلم فلازم الفقيه أبا الحسين بن زرقون، وقد أفنى حياته في القراءة إلى أن توفي في حدود سنة 620هـ/1223م.[3]
- أبو علي عمر بن محمد بن علي الصنهاجي المراكشي، تفقه بمراكش على جماعة من أهلها، ورحل إلى بلاد المشرق فروى عن علماء مصر والحجاز وبغداد، وتفقه على يد أبي محمد عبد الوهاب البغدادي، وعاد إلى بلاد المغرب فدرّس علم الكلام وأصول الفقه، ودخل الأندلس صحبة أبي إسحاق بن المنصور الموحدي حين ولي إشبيلية، وبها أخذ عنه طائفة من أهلها، وكانت وفاته سنة 622هـ/1225م.[4]
- أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين اللواتي بن تامنتيت، من أهل فاس، دخل الأندلس وسكن إشبيلية، ورحل في طلب العلم فلحق بالمشرق، وكان فقيهاً متصوفاً، درّس في بلنسية وكان يؤثر التفسير والحديث والفقه، توفي سنة 624هـ/1227م.[5]

1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6 ص118.
2- نفسه، ج8 ص381.
3- ابن الزبير، المصدر السابق، ج3 ص208.
4- نفسه، ج8 ص237-239.
5- ابن الزبير، المصدر نفسه، ج5 ص349.

- أبو الحجاج يوسف بن محمد بن المعز المكلاتي فاس، دخل الأندلس فأخذ عن أبي بكر بن الجد، وابن احمد الرندي، وكان له اهتمام بالفقه وأصوله، ودخل إشبيلية صحبة المنصور الموحدي سنة 591هـ/1194م، فكان أحد الحضور في مجالسه العلمية، ثم قربه محمد الناصر إلى مجلسه عند دخوله الأندلس سنة 607هـ/1210م، وقد عظم صيته عند أهل الأندلس وتنافسوا في الأخذ عنه والازدحام بمجلسه، وتولى القضاء على عهد المستنصر بن محمد الناصر، واستمرت ولايته إلى أن توفي بمراكش سنة 626هـ/1228م، ومن مؤلفاته كتاب "لباب المعقول من علم الأصول"[1].

- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الوهاب بن يوسف بن دادوش اليفرني الزناتي، أصله من فاس، دخل الأندلس وأخذ عن علمائها كأبي عمر بن عات النفزي وأبي القاسم عبد الرحمن بن الملجوم، روى عنه أبو الحسن الرعيني، وأبو العباس بن فرتون الفاسي، وكان فقيها حافظا، ذاكرا للآداب والتواريخ، تولى القضاء في عدة مدن، وذكر ابن عبد الملك أنه امتحن بالأسر في يد النصارى ثم افتك من أسره، من شعره: [البسيط]

يَا مَاجِدًا لِرَعِينٍ يَنْتَمِـي حَسَبَـاً شِكَايَتِي دُونَ شَكٍّ أَنْتَ تُبْرِيهَـا
سَفِينَةُ الوعْدِ فِي بَحْرِ الرَّجَا وَقَفَتْ فَامْنُنْ بِريحٍ مِنَ الإنْجَازِ تُجْرِيهَا

وتوفي أبو عبد الله بسبتة سنة 639هـ/1241م.[2]

- أبو الحجاج يوسف بن محمد بن علي الصنهاجي من أهل مالقة، له رحلة إلى بلاد المشرق أخذ فيها عن جلة من العلماء، من مؤلفاته كتاب" الإقتداء بسنن الهدى" في الفقه المالكي، درّس الفقه ببلده فأخذ الناس عنه، وتوفي بمالقة سنة 640هـ/1242م.[3]

1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص432-434.
2- نفسه، ص309.
3- ابن الزبير، المصدر السابق، ج5 ص292.

- أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ... الأندلس فأخذ عن شيوخها كتاب سيبويه، والفقه وأصوله، وعاد إلى بلده وانتصب للتدريس في مدينة سبتة إلى حين وفاته سنة 648هـ/1250م.[1]
- أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن أحمد بن الحاج عبد الله بن محمد المغيلي، أصله من فاس، دخل الأندلس في بيعة إدريس المأمون من بني عبد المؤمن، وكان فقيها حافظا، مقربا من الأمراء والسلاطين، واستقضي بفاس إلى أن توفي سنة 648هـ/1250م.[2]

- **علوم اللسان:**

وهي كل ما يتصل بلسان العرب من أدب وشعر ونحو، وقد اشتهرت الأندلس عبر تاريخها بكثرة أدبائها وشعرائها، ولم يخل عصر من عصورها من مشاهير الفصحاء والبلغاء المتحلين بحلية الأدب[3]، وأما نحاتها فدلت عليهم كتب تراجم النحاة، وما شهادة السيوطي في بغيته إلا دليل على كثرة عددهم وشدة اعتنائهم[4]، ومن أجاد فنون الأدب فتحت أمامه مناصب الدولة في بلاد المغرب والأندلس " وبه يتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم"[5]، ومن أعلام البربر الذين برزوا خلال الفترة الموحدية في فن الكتابة السلطانية والإخوانية وأسهموا في منظوم الكلام ومنثوره نجد:

- أبو العباس أحمد بن حسن بن سيد الجراوي المالقي، من كبار النحاة والأدباء بالأندلس، درّس النحو والأدب كثيراً، وكان شاعراً وكاتباً بليغاً[6]، وانتقل إلى مراكش لتأديب بني عبد المؤمن فازداد شهرة وعظم قدره، وكانت وفاته بعد سنة 560هـ/1164م.[7]

1- ابن الزبير، المصدر السابق، ج3 ص225.
2- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص313.
3- البونسي، المصدر السابق، ص73.
4- السيوطي، المصدر السابق، ج2 ص358.
5- المقري، المصدر السابق، ج1 ص222.
6- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج1 ص93.
7- السيوطي، المصدر نفسه، ج1 ص259.

- أبو مروان عبد الملك بن أحمد بن أبي يداس نحوياً لغوياً، أديبا ذاكراً للآداب، راوياً للأخبار ذا حظ من قرض الشعر"[2]، خرج من بلده بعد سنة 540هـ/1145م في الفتنة، ونزل شاطبة حيث درّس القرآن والعربية ثم تحول إلى شقورة[3]، وخطب بجامعها إلى أن مات بها سنة 560هـ/1164م[4].
- أبو الحسن علي بن موسى بن حماد بن عبد الرحمن الصنهاجي، أصله من عدوة المغرب، وسكن غرناطة حين استقضي أبوه بها، وتفقه على يد أبيه، وكان من أهل العلم والأدب والنباهة، توفي بفاس سنة 564هـ/1168م[5].
- أبو يوسف الحجاج بن يوسف الهواري، قاضي الجماعة بمراكش وخطيبها، أصله من بجاية، ودخل الأندلس فروى عن علمائها، فكان من أهل العلم والأدب فصيحاً مفوهاً بليغاً، توفي بالطاعون بمراكش سنة 572هـ/1176م[6].
- أبو محمد عبد القهار بن مفرج بن هذيل الفزاري، أصله من البربر من أهل غرناطة، روى عن مشايخ بلده، وكان من أهل المعرفة بالفقه والأدب والعربية، كاتبا مجيدا، وشاعرا جيد القريحة، من علية طلبة وقته، توفي سنة 580هـ/1184م[7].
- أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي الزناتي الكومي، أحد أمراء بني عبد المؤمن، كان أديبا شاعرا، وكاتبا ماهرا، حمل العلم عن شيوخ وقته بالمغرب والأندلس، وتولى بلنسية ومرسية وقرطبة، وكانت مجالسه منتدى للشعراء والكتاب ورجال العلم، وله ديوان شعر، توفي سنة 604هـ/1207م[8]

1- ابن الأبار، المصدر السابق، ج3 ص82.
2- السيوطي، المصدر السابق، ج2 ص93.
3- شقورة: حصن بشرق الأندلس، وهو كالمدينة عامر بأهله في رأس جبل عظيم متصل منيع الجهة حسن البنية، ويخرج من أسفله نهران أحدهما نهر قرطبة الكبير، والثاني النهر الأبيض الذي يمر بمرسية، الإدريسي، المصدر السابق، ج2 ص560.
4- ابن الأبار، المصدر نفسه، ص82.
5- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص227.
6- ابن الأبار، نفسه، ج1 ص230.
7- ابن الزبير، المصدر السابق، ج4 ص46.
8- ابن سعيد، الغصون اليانعة، ص131، وعن حياته العلمية ينظر ما نقله محققو ديوانه عن صاحب مخطوط واسطة العقدين، ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي وآخرون، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس(د ت) ص 5-6.

- أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت
اليزدكتني العلامة الجزولي المراكشي، وجزولة بطن من البربر واليزدكتني فخذ منها، رحل إلى المشرق فزار مصر وتجول بها فأخذ العربية والنحو عن علمائها، ثم قفل إلى بلاد المغرب فأقام بجزائر بني مزغنا، وأخذ أصول الفقه وبها درّس العربية، ثم أجاز إلى الأندلس، وفي ألمرية أخذ عنه جماعة من أهلها، ثم استوطن مراكش حيث قربه المنصور الموحدي، واحتفى به، ولقي حظوة عند ابنه الناصر إلى أن توفي سنة 607هـ/1210م[1].

- أبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم بن يوسف بن محمد المغيلي، أصله من مدينة فاس، وانتقل إلى غرناطة وسكنها، وأقرأ بها العربية واللغة والأدب، وعنه أخذ الناس، وكانت وفاته سنة 609هـ/1212م[2].

- أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي الغفجومي الفاسي، الذي دخل الأندلس وأخذ على علمائها، وخدم بشعره أربعة خلفاء، هم عبد المؤمن وابنه يوسف وحفيده يعقوب المنصور ومحمد الناصر، له ديوان شعر محفوظ، ولا تعرف سنة وفاته على وجه التحديد، ويرجح أنها كانت سنة 609هـ/1212م[3].

- أبو الحسن علي بن محمد بن علي الكتامي المراكشي، المعروف بالعشبي وابن القابلة، روى عن طائفة من أهل مراكش، ودخل الأندلس فأخذ عن علمائها، واختص بأبي الحسن سهل بن مالك، وكان أديبا بارعا، كاتبا بليغا، وشاعرا مجيدا، ذكر له ابن عبد الملك المراكشي مقطوعات شعرية ومقتطف من كلامه المنثور، فمن شعره: [السريع]

يَا سَعْدُ قَدْ شَبَّ صَغِيرُ الهَوَى وَجَدَّ عِشْقِي الهَازِلُ المَــازِحُ

يَا سَعْدُ قَدْ أَسْلَمَنِــي لِلْــرَّدَى صَبْرُ حَرُورٍ وَهَوَى جَامِــحٌ

1- السيوطي، المصدر السابق، ج2 ص197، و ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص246 وما بعدها.
2- ابن الزبير، المصدر السابق، ج3 ص223، والسيوطي، المصدر نفسه، ج2 ص74.
3- تنظر ترجمته عند ابن الأبار، المصدر السابق، ج1 ص 128، ومقدمة المستدرك من شعره المستخرج من مخطوط جنى الأزاهر النظيرة وسنى الزواهر المنيرة في صلة المطمح والذخيرة لابن الفخار الرعيني (ت666هـ/1267م)، تحقيق البشير التهامي ورشيد كناني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ط1 2005م ص16.

ولا تعرف سنة وفاته، غير أن ما يدل على أنه م
المطرف بن عميرة المخزومي، حيث أورد له ابن عبد الملك المراكشي مقتطف من رسالة إخوانية بعث بها إلى أبي المطرف دلت على إجادته في مخاطبة أدباء عصره.[1]

- أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي بكر بن عيسى بن حماد الصنهاجي القلعي، من قلعة بني حماد، تعلم العربية والقرآن في بلده، ودخل الأندلس فروى عن أبي جعفر بن محمد بن عياش بمرسية وغيره من شيوخ الأندلس، وممن روى عنه أبو العباس بن فرتون الفاسي، وكان أديبا، بارع النظم والنثر، ذا حظ صالح من الفقه وأصوله، متحققا بالنحو، وصنف في اللغات والآداب، منها كتاب" الإعلام بفوائد الأحكام "، و"شرح قصيدة عمر بن أبي ربيعة"، و" شرح مقصورة ابن دريد"، و"برنامج شيوخه"، وقد أشار ابن عبد الملك إلى أنه وقف على ديوان شعره ونثره، منه جزء سماه " عجالة المودع وعلالة المشيع"، تولى أبو عبد الله قضاء الجزيرة الخضراء ومرسية، فحمدت سيرته، ومن نظمه الذي كتب به من مرسية إلى أحد شيوخه: [الكامل]

يَا أيُّهَا النَّدْبُ السَّرِي الأمْجَدُ وَالعَالِمُ الحَبْرُ الفَقِيهُ الأوْحَـــــدُ
يَا أيُّهَا البَحْرُ المُحِيطُ مَعَارِفاً لاَ تَنْتَهِي وَفَوَائِدًا لاَ تَنْفُــــــــدُ

وهي قطعة طويلة أوردها بتمامها ابن عبد الملك المراكشي، وذكر أن وفاته كانت سنة 628هـــ/1231م.[2]

- أبو محمد عبد الحق بن سعيد بن محمد بن أيوب الهنتاتي، نسبة إلى قبيلة هنتاتة من البربر، من أهل قرطبة ، كان من أهل العلم والأدب والاعتناء بالرواية، واقتنى من الدفاتر كثيراً، وكانت وفاته بعد سنة 633هـــ/1235م.[3]

1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص201.
2- نفسه، ص 323-325، والغبريني، المصدر السابق، ص101-102.
3- ابن الأبار ، المصدر السابق،ج3 ص124.

- عتبة بن محمد بن عتبة الجراوي الوادي آشي، ن أقرأ العربية واللغة وولي قضاء غرناطة إلى أن توفي سنة 635هـ/1237م[1].

- أبو عمر ميمون بن علي بن عبد الخالق الصنهاجي الفاسي، دخل الأندلس وروى عن علماء مالقة وبياسة وغرناطة وشاطبة وإشبيلية وبلنسية، وقد عدد في رسالة له أوردها– ابن عبد الحليم– جميع شيوخه الذين أخذ عنهم علم الحديث والفقه واللغة والأدب،[2] ولأن ابن عبد الملك المراكشي كان كثير الاهتمام بتراجم المغاربة الداخلين إلى الأندلس فقد أشاد بما قدمه أبو عمر، وأوضح أنه" قطع مدداً من عمره في الارتسام بامتداح ملوك عصره، فكان يأتي في ذلك بما لم يُسمع ذكره، ولا يُطمع في لحاقه، سرعة ارتجال، وحسن افتنان وبراعة إنشاء"[3]، وأورد له قصائد طويلة، ومقتطف من كلامه المنثور، وأنه " كان في إشبيليّة في كنف أبي العلاء بن المنصور الموحدي، وأن أمداحه فيه بلغت ثلاثة مجلدات ضخمة، منها عند انتقاله إلى إشبيليّة والياً بعد قرطبة: [البسيط].

يَاسَعْدَ حِمْصَ[4] لَقَدْ نَالَتْ بِكَ الأَمَلاَ كَأَنَّكَ الشَّمْسُ قَدْ حَلَّتْ بِهَا الحَمَلاَ

وَاليَوْمَ قَدْ عَلِمَتْ أَقْطَارُ قُــرطُبَةٍ لِفَقــدِ مَــرْءَاكَ مَابِهَا نَــــــزَلاَ

يَا وَاصِلاً سَنَدَ التَّوْحِيدِ يَحْـمِلُهُ عَنِ الخَلاَئِقِ بِالمَــهْدِيِ مُتَّـــصِلاَ

وقد توفي أبو عمر الصنهاجي سنة 637هـ/1239م[5].

- أبو بكر محمد بن محمد الكتامي المرسي، أخذ النحو والأدب عن أهل بلده، ودرّسهما في بلده، وكانت وفاته في حدود سنة 640هـ/1242م[6]

1- السيوطي، المصدر السابق، ج2 ص111.
2- ابن عبد الحليم، المصدر السابق، ص172 .
3- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص389-399.
4- اسم أطلقه الأندلسيون على إشبيلية.
5- ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ص405.
6- ابن الزبير، المصدر السابق، ج5 ص423.

- أبو محمد عبد الحق بن يوسف بن تونارت بن ... وتعلم بجيّان ورحل إلى إشبيليّة فأخذ عن علمائها، ورجع إلى بلده لتدريس القرآن والعربية، وبها توفي بعد سنة 640هـ/1242م.[1]

- عمران بن موسى بن ميمون الهواري، كان مفسراً حافظاً أديباً نحوياً، أقرأ العربية بغرناطة وعنه أخذ جلة من الأعلام، وتوفي في حدود 640هـ/1242م.[2]

- أبو الربيع سليمان بن علي بن محمد بن سليمان الكتامي، من أهل شِلب[3]، روى عن أبي الوليد بن خالد العبدري الأندي، وأبي محمد بن حوط الله، ودخل بلنسية وكان أحد أصحاب ابن الأبار الذي وصفه بالأدب والضبط وحسن الخط، وأنه كان شاعرا بليغا، وكانت وفاته سنة 642هـ/1244م.[4]

- أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن رحمون المصمودي النحوي، كان ذا لسنٍ وفصاحة، وله معرفة جيدة بالنحو، وكانت وفاته سنة 649هـ/1251م.[5]

- أبو الحجاج يوسف بن موسى بن إبراهيم الهواري، من أهل المغرب، دخل الأندلس فروى عن أبي الحسن بن القطان وغيره، وكان ماهرا في علوم اللسان أدبا ونحوا، وشاعرا محسنا، وكاتبا بليغا، وكان ينشد بين يدي الملوك، وله رسالة أدرج فيها شواهد من كتاب سيبويه، وذكر له ابن عبد الملك غيرها من الرسائل التي أجاد في تصنيفها، وكانت وفاته سنة 649هـ/1251م.[6]

1- نفسه، ج4 ص12.
2- السيوطي، المصدر السابق، ج2 ص194.
3- شلب: مدينة بغرب الأندلس، حسنة بسيطة من الأرض وعليها سور حصين، ولها غلات وجنات، وشرب أهلها من واديها الجاري، والبحر منها غرباً، والمدينة في ذاتها حسنة الهيئة بديعة المباني، مرتبة الأسواق، الإدريسي، المصدر السابق، ج2 ص543.
4- ابن الابار، المصدر السابق، ج4 ص104.
5- السيوطي، المصدر نفسه، ج2 ص75.
6- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج8 ص437.6

* التاريخ و السّير:

ويشمل هذا الجانب علم التاريخ وسير العلماء والملوك وأخبارهم، وقد اشتغل علماء البربر بهذا الفن وأجادوا فيه، ولا مناص من إعادة ذكر من كانت له مشاركة فيما سبق عرضه من العلوم لنبوغ عدد منهم في أكثر من علم، ومنهم:

- أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي بكر بن عيسى بن حماد الصنهاجي، أصله من بجاية، ودخل الأندلس فروى عن شيوخها، وقد سبق ذكر من أخذ عنهم علوم اللسان والفقه وأصوله، وتم عرض بعض مصنفاته في ذلك، وأما كتابته التاريخية فقد أشاد الغبريني وابن عبد الملك المراكشي بنبوغه فيها، ومن مؤلفاته في هذا الفن كتاب وطيد الصلة بتاريخ قبيلة صنهاجة في بلاد المغرب سماه " النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة بافريقية وبجاية"، وأشار ابن عبد الملك إلى أن له كتابا أخر شبيه به هو "الديباجة في أخبار صنهاجة"[1]، وذكره ابن عبد الحليم في مفاخره وأشاد بعلمه ونبوغه[2].
- أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمران المزدغي، دخل الأندلس وأخذ عن علماء قرطبة وإشبيلية واهتم بالتاريخ والسير إلى جانب اشتغاله بعلوم اللسان والحديث، حيث أشار ابن عبد الملك المراكشي إلى اهتمامه بنشر كتاب سيرة ابن إسحاق[3].
- أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزاري، من أهل غرناطة، اهتم بعلم التاريخ والتراجم إلى جانب العلوم الشرعية واللسانية، وكانت وفاته بغرناطة سنة552هـ/1157م[4].
- أبو موسى عيسى بن عمران بن دافال المكناسي، من أهل مراكش، دخل الأندلس طالبا للعلم فروى عن علماء المرية، والى جانب بروزه في الفقه واللغة، اهتم كذلك بالتاريخ ورواية الأخبار[5].

1- الغبريني، المصدر السابق، ص102، وابن الملك المراكشي، المصدر السابق،ج8 ص324.
2- ابن عبد الحليم، المصدر السابق، ص172.
3- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر نفسه، ج8 ص366.
4- ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، ج5 ص282.
5- نفسه، ج8 ص254-256.

العلوم العقلية:

وهي العلوم التي يعتمد فيها على العقل بشكل كبير، ولذلك سميت باسمه، وفيها يتم بذل المجهود في أنواعها النظرية والتطبيقية، وعلى الرغم من الرواج الكبير الذي عرفته هذه العلوم على عهد الموحدين إلا أن القليل من أعلام البربر من اشتغل بها –في حدود ما تطلعنا به المصادر–، ولعل هذا راجع إلى اهتمامهم كغيرهم بالعلوم النقلية أكثر من غيرها في العصر الوسيط، ومن مشاهير علماء البربر الذين اهتموا بها نجد:

- أبو محمد عبد الله بن سهل المصمودي الكفيف، من أهل مرسية، اهتم بعلم الكلام والفلسفة، ولا نعرف أشياء كثيرة عن حياته العلمية، وكانت وفاته بمرسية بعد سنة 560هـ/1164م.[1]
- أبو عبد الله محمد بن سحنون الندرومي، منسوبا إلى ندرومة من نظر مدينة تلمسان وهو كومي ينسب إلى قبيله، مولده بقرطبة في نحو سنة 580هـ/1184م، وبها نشأ ثم انتقل إلى إشبيلية وتعلم على يد القاضي أبي الوليد بن رشد صناعة الطب، وخدم الخليفة محمد الناصر في آخر دولته بصناعة الطب، ثم ابنه المستنصر، وله اشتغال بعلم الأدب والعربية والحديث.[2]
- العريف علي الغماري[3]، أحد المعماريين الذين أوكلت لهم إعادة بناء صومعة جامع إشبيلية وما اختل من داخله، وكان ذلك سنة 584هـ/1188م، وتم الانتهاء منها سنة 594هـ/1197م.[4]
- أبو محمد عبد الله بن محمد بن الياسمين الفندلاوي، نسبه من البربر، اشتغل بعلم الحساب والعدد، وله أرجوزة في الجبر والمقابلة، وقد درّس هذه العلوم في إشبيلية سنة 587هـ/1191م، وتوفي بمراكش سنة601هـ/1204م.[5]

1- ابن الزبير، المصدر السابق، ج3 ص107.
2- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص493.
3- لم أقف على ترجمته.
4- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 482 وما بعدها.
5- ابن القاضي، المصدر السابق، ج2 ص423.

- أبو الحجاج يوسف بن محمد الهواري المتوفى س
شقر، درس علوم الدين والأدب على أبي القاسم بن وضاح، وهو غرناطي، رحل إلى المشرق للحج والطلب فأخذ القراءات، ودرس المنطق، من كتبه "المدخل إلى صناعة المنطق"[1].

4- إسهام البربريات في الحياة العلمية:

لم تنل المرأة في الغرب الإسلامي عامة حظا كبيرا من الاهتمام بدورها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، ومع ذلك ورد ذكر بعضهن في المصادر التاريخية والأدبية وكتب التراجم، وإذا اقتصرنا على الجانب العلمي في العصر الموحدي فإن مشاركتهن بقيت محدودة في قرض الشعر أو ممارسة التعليم وامتهان حرفة الطب دون ظهورهن بمستوى يقارب –على الأقل- ما ناله الرجال، إذ من النادر أن نحصل على مصنفات علمية من تأليفهن أو عقدهن للحلقات العلمية أو المشاركة في المجالس الفكرية والقيام بالرحلات العلمية، وتكاد بعض الدراسات الحديثة تجمع على أسباب متقاربة لا تخرج في مجملها عن دور الهيمنة الذكورية على المجتمع والتي لم تكن خاصة بالمجتمع الأندلسي[2]، إضافة إلى عدم خروج النساء عن بعض التكاليف الشرعية التي تفوق المنفعة العلمية كالسفر والاهتمام بالأسرة في بعدهما الديني[3]، إضافة إلى تحكم الفكر القبلي في تعليم المرأة وبروزها[4].

ويزداد الأمر صعوبة عند البحث عن النساء البربريات ومعرفة مدى إسهامهن في الحياة العلمية بالأندلس على عهد الدولة الموحدية التي عرف عن داعيتها ابن تومرت انتقاده للمرابطين الذين سمحوا للمرأة بالتدخل في الشؤون السياسية ومنحها حرية لا عهد لمجتمعهم بها، ولذلك واجهت النساء تشددا من طرف الموحدين حال دون بروزهن في ميادين الحياة العلمية إلا من بعض الاستثناءات التي سبقت الإشارة إليها.

1- ابن الأبار، المصدر السابق، ج4 ص119.
2- GABRIEL Martinez- gros, Identité andalouse, sindbad. Actes sud, 1997 P 161.
3- إبراهيم القادري بوتشيش، مقالات في تاريخ الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين و الموحدين، مطبعة سجلماسة، المغرب ط1 2007م ص 133.
4- كرزاز فوزية، دور المرأة في الغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري (ق 11 –13م)، دار الأديب للنشر و التوزيع، وهران ط1 2006م ص130.

وممن اشتغلن بالعلم من البربريات:

- حفصة ابنة القاضي أبي عمران موسى بن حماد الصنهاجي، زوجة القاضي ابي بكر محمد بن علي الغساني المرشاني، كانت من فضلاء النساء وخيارهن، قارئة كاتبة لها معرفة جيدة بالفرائض، وكانت تذكر كثيرا من فتيا أبيها، وقد توفيت بغرناطة ولا تعرف سنة ذلك غير أن سنة وفاة زوجها كانت سنة 575هـ/1179م[1] مما يعني أنها من أهل القرن6هـ/12م.
- زينب بنت الخليفة أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد بن عبد المؤمن بن علي، ولدت بالأندلس وتزوجها ابن عمها أبو زيد بن أبي حفص، أخذت عن أبي عبد الله بن إبراهيم علم الكلام، وكانت ذا حظ من العلم، معروفة بالتفوق على نساء أهل زمانها.[2]

لا تكاد ظاهرة المنافسة الحضارية بين العدوتين المغربية والأندلسية تختفي من مشاهد تاريخهما المشترك، بل ازدادت حدتها مع تولي المغاربة أمر الأندلس وإشرافهم على شؤونها السياسية والاقتصادية والعلمية، وبلغت حدتها منافرة خطيرة ارتبطت بطبائع نفوس البشر على رأي ابن الخطيب والمقري[3]، ويعكس هذه المنافسة قول عبد المؤمن بن علي لشاعره الجراوي:" يا أبا العباس إنا نباهي بك أهل الأندلس"[4]، بينما تظهر المنافرة الطبيعية في رواية ابن سعيد للمناظرة التي جرت بين عالمين أحدهما أندلسي والأخر مغربي في مجلس صاحب سبتة أبي يحيى بن أبي زكرياء[5] صهر الخليفة محمد الناصر، وقد وقع النزاع بينهما في التفضيل بين البرّين، فكان رأي الأول:" أنه لولا الأندلس لم يذكر بر العدوة، ولا سارت عنه فضيلة"[6]، ثم أحجم عن الكلام توقيرا للمجلس ومهددا بأن يقول أكثر من هذا، فكان رد الأمير تعقيبا على سكوته" أتريد أن تقول كون

1- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ج6 ص 486.
2- ابن الأبار، المصدر السابق، ج4 ص262.
3- ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3 ص227، و المقري، المصدر السابق، ج3 ص213.
4- ابن سعيد، الغصون اليانعة، ص100.
5- لم أقف على ترجمته.
6- المقري، المصدر السابق، ج3 ص186.

أهل برنا عربا و أهل بركم بربرا"[1]، فأنكر ذلك، إلا
وكانت هذه الحادثة سببا في طلب الأمير أن يؤلف كل منهما رسالة في تفضيل بلده.

لا خفاء أن من انتقل من أعلام البربر إلى الأندلس في هذه الفترة لم يكن بعيدا عمّا كان يسود العصر من منافسة ومنافرة بين العدوتين، غير أنه لم يمنع تواجد العديد منهم في الحواضر الأندلسية طلبا للعلم، وتدريسه لمن نبغ فيه، وتولي مناصب إدارية هامة كالقضاء والخطبة والكتابة واتخاذهم للأندلس موطنا لهم وإن أصر أهلها على اعتبارهم من الغرباء.

1- المقري، المصدر السابق، ج3 ص186.

الخاتمة

لقد حاولت من خلال هذا البحث أن أعرض جانبا مهما من تاريخ البربر في الأندلس لا يقل أهمية عن الجوانب السياسية والاجتماعية؛ وهو إسهامهم في الحياة الفكرية لمن عرف بالبلديين منهم، ومن دخل بداية من منتصف القرن السادس ومستهل السابع الهجريين واصطلح أهل التراجم على تسميتهم بالغرباء، فرصدت جوانب من حياتهم العلمية ومراتبهم ورحلاتهم، معتمدا على الإحصاء أحيانا والتحليل والمقارنة أحيانا أخرى قصد توضيح صورة إسهامهم ضمن التاريخ الحضاري الزاخر للأندلس، ومن أهم ما خلصت إليه من نتائج في هذا البحث :

لا تختلف المصادر حول تأكيد فكرة الجمهرة العددية للقبائل البربرية وانتشارها على نطاق واسع من الغرب الإسلامي، وقد برزت هذه الجمهرة في الأندلس مع بداية فتحها، غير أن نشوب الصراعات القبلية، وظهور الدولة الأموية بشعار العروبية انعكس سلبا على الشخصية البربرية، ولعل هذا ما يفسر اختيار الكثير منهم الانتساب إلى العرب بالولاء .

إن كتاب التراجم الأندلسيين لم يلتزمو بالموضوعية في الترجمة لأعلام الأندلس بانتهاجهم للانتقائية، حيث ظهرت الأسماء العربية بشكل يوحي للمطلع عليها أن ساكنة القطر الأندلسي وإلى مستهل القرن السابع الهجري كانوا في غالبيتهم من العرب، حيث لا تظهر الأسماء البربرية المختلفة من حيث ترتيب حروفها عن الأسماء العربية مع كثرة ما تطلعنا عليه المصادر منها كتلك التي اهتمت بذكر أعلام بلاد المغرب ومن دخل منهم إلى الأندلس وبخاصة من البربر، ومما زاد عزلتها في تراجمهم هو الشرط الذي توارث ذكره كتاب التراجم عن ابن الفرضي من خلال إفراد الترجمة لمن ولد في الأندلس، وإدراج غيره في قسم الغرباء الداخلين إليها مع قلة ذكرهم، وما للنفرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة من دور في تأجيج نفوس الأندلسيين واستعلائهم عن الترجمة لهذه الفئة من المجتمع الأندلسي، وهو ما اعترض عليه ابن عبد الملك المراكشي، واعتبره إجحافاً في حق طائفة كبيرة من أهل العدوة، وقد دلت النصوص على وقوف الدولة الأموية وراء هذا التوجه العروبي، والذي أخذ يتلاشى مع سقوطها بداية من القرن الخامس الهجري

(الحادي عشر الميلادي)، ولعل ما يؤكد هذا الطرح مع لحاق العدوة الأندلسية ببلاد المغرب، وأخذ زمام أمورها من طرف القبائل البربرية.

اهتم الموحدون بإعادة الاستقرار والأمن داخل الأندلس بعد مرحلة عمت فيها الفوضى وانقسم أهل الأندلس على أنفسهم فغادر الكثير منهم مكرها فيما عرف بالفتنة، وقد انسجم الموحدون مع وتيرة الحياة العلمية في الأندلس، بعد أن استتب لهم الأمر فشجعوا العلماء، وبنو المساجد وأغدقوا في العطايا على أهل العلم وطلبته.

إن ظهور أسماء أفراد القبائل البربرية وبيوتاتهم ضمن قوائم علماء الأندلس البلديين والغرباء، أوجب تتبع إسهامهم العلمي في مختلف مناحي الحياة العلمية السائدة في تلك الفترة، وما خلفوه من إرث فكري معتبر للحضارة العربية الإسلامية على سبيل الانتماء العقدي والحضاري لها، وأن ندرة النصوص وسكوت المصادر أحيانا أرغمتنا على صعوبة الربط بين تأثيرات انتماءاتهم العرقية على إسهامهم العلمي إلا ما ندر، بينما تظهر جلية في جوانبها السياسية، وحتى ميولات طبائعهم البشرية وسلوكياتهم، وبخاصة بين الأندلسيين والغرباء عنهم بداعي الاحتقار والمنافرة والبغض الذي ظهرت صوره في المجتمع الأندلسي بسبب تأثير العوامل التاريخية والسياسية والبيئية، وهذا من دون الجزم بعموم انتشارها كظاهرة اجتماعية هددت عيشهم المشترك.

الملحق رقم01 :

إحدى رسائل ابن أبي زيد الفازازي القرطبي الإخوانية،

وفيها ذكر لنسبه البربري:

ويظهر من سياقها أن المرسلة إليه شبهه بأحد بلغاء العرب فردّ عليه قائلا:

"سلام على فلان، أبقاه الله في كرامة جديدة المعاهد، وسعادة شديدة المعاقد (...)، وودك أيها الصديق البّين صدقه، المتعين حقه، المتشوف لأجله ناسه وأفقه، غالب على الفكر مالئ ما بين الجوانح والصدر، والله تعالى ينفع بها أخوة صافية، ويزينها بلذتي المجاورة والمحاورة عافية، بمنه.

وقد وصل كتابك المبرور، فنعم بالي، وجدّد أنسي البالي، وقدّر عندي من صفاتك ووفائك ما لم أزل أتعرفه المتصل المتوالي، فلو أن السطور تستحيل شذوراً، والفقر تصير دررا، لما نفقت للسلوك عند الملوك سوق، ولا تحلت سواها سوالف ومعاصم وسوق (...).

وحالي عقب ترحالي على ما يرضيك، لم أعدم محبوبا إلا مرآك، ولا وجدت مكروها إلا مناك، ومثلك يكفيه تعريض لفظه، ويغنيه إيماء لحظه. والحمد لله الذي كل يسير بتيسيره، وكل خير بتقديره، وتفصيل هذا التجميل يمنع منه شغل أستحق اليد والخلد، ومحتمل أطال الحفز وقصر الأمد، وفضلك يغضي عن خطلي ولا يقيس حليه على عطلي، فما أصبحت من أصبح، ولا سحبت من بحر البلاغة حيث يسبح، أبت لي ذلك نسبة بربرية، وفكرة من دعوى الأدب بريئة، والله يرزقنا إراحة من العلل، وفصاحة في العمل، بمنه: [الوافر]

رَحَلْتُ وَقَدْ وَجَدْتُ الْعَيْشَ مُراً ... بِسعِّي البَغْي وَالْمَرْعَى وَخِيمَـا
فَسَنَّى اللهُ لِـيْ بَراً حَـدِيْثًا ... نَسَيْـتُ بِطيبِهِ البَـرَّ القَدِيمَـا
فَمَن يَكُ سَـائِلاً عَنِّي فَإِنِّـي ... وَجَدْتُ اللهَ رَحْـمَاناً رَحِيمَـا"[1]

1- ابن أبي زيد الفازازي، المصدر السابق، ص 114

الملحق رقم02 :

مقتطف من خطبة الشيخ الزاهد أبي محمد عبد الواحد بن عمر يحرّض الجيوش الموحدية المحاصرة للنصارى في مدينة وبذة سنة 567هـ/ 1171م وقد أوردها ابن صاحب الصلاة مترجمة عن اللسان البربري:

".... ولما كان يوم الجمعة السابع والعشرين من ذي القعدة جمع الناس على كثرتهم ووفورهم من كل قبيلة، وقام فيهم الشيخ الزاهد المرحوم أبو محمد عبد الواحد بن عمر خطيبا باللسان العربي تارة، وباللسان الغربي أخرى، يحرضهم على قتال النصارى ويعرفهم بما أوجب الله عليهم من الجهاد وقال في كلامه لهم باللسان الغربي:

قد كنتم بمراكش تقولون: لو كنا غزونا النصارى لجاهدنا الله عز وجل واجتهدنا، فلما حضرتم معهم قصرتم وجبنتم وخنتم الله عز وجل ونكلتم وما نصحتم، ما أنتم بمؤمنين ولا بموحدين إن تسمعوا النواقيس تضرب وتعاينوا الكفر ولا تدفعوا المنكر، إن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ليس يقدر أن يراكم لتفريطكم في حق الله تعالى من الجهاد على كثرتكم من الأعداد، ثم ثوبهم، فقالوا: ثبنا"[1].

1- ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 501، وابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 123. و يحتمل أن يكون هذا المقتطف جزء من خطبة صلاة الجمعة، ولا ضير في ذلك عند الموحدين إذ كانت خطبة الجمعة تلقى في بلادهم باللسان البربري.

الملحق رقم 03:

وصية الخليفة المنصور الموحدي لبنيه وقادة الموحدين خيرا بالأندلس وأهلها:

" لما دنت الوفاة من الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور بن الخليفة أبي يعقوب يوسف بن الخليفة عبد المؤمن بن علي، رحمهم الله، جمع بنيه والموحدين ووصاهم بوصايا منها:

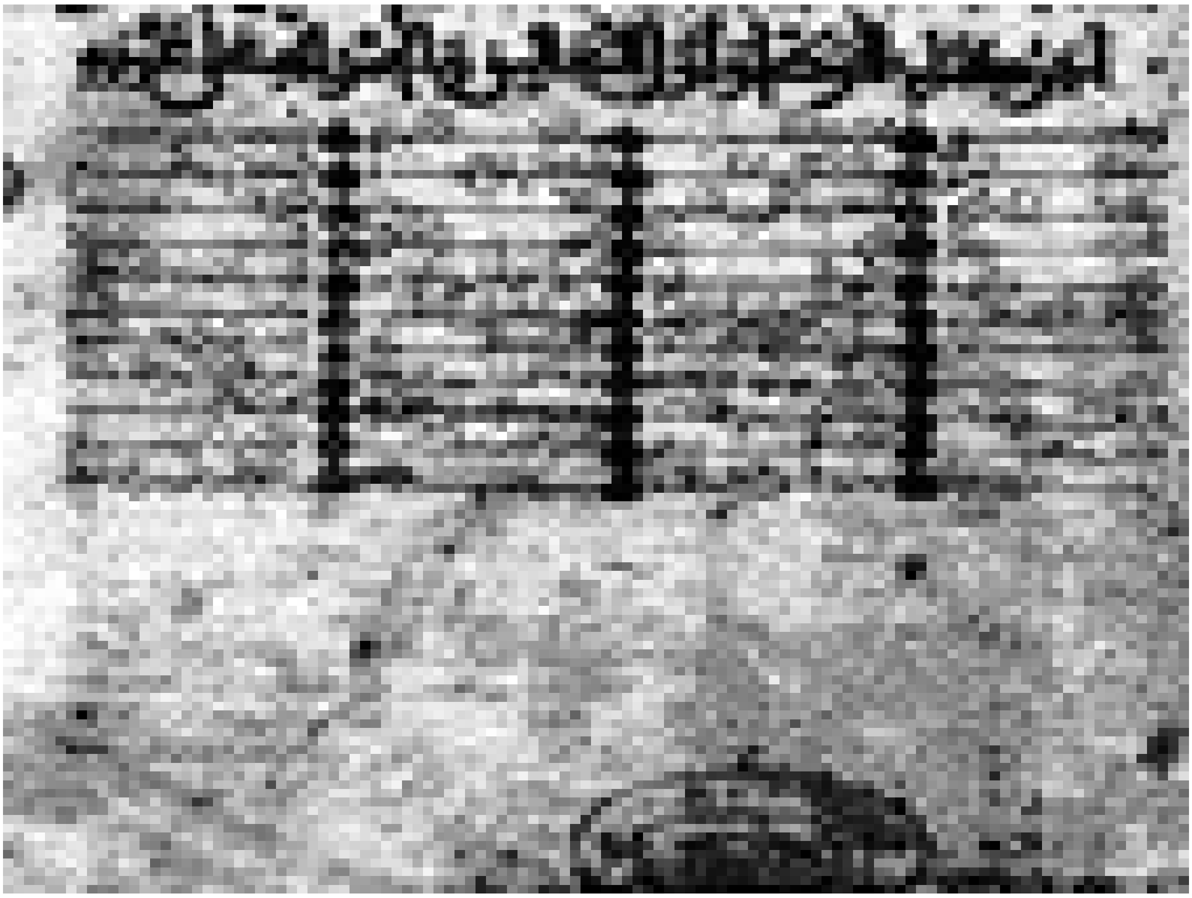
أيها الناس، أوصيكم بتقوى الله، وأوصيكم بالأيتام واليتيمة، فقال له الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص محمد بن يحي الهنتاتي: يا سيدنا ومولانا وما الأيتام واليتيمة؟ فقال: الأيتام أهل جزيرة الأندلس، والأندلس هي اليتيمة، فإياكم والغفلة عما يصلحها من تشييد الأسوار، وحماية الثغور وتربية أجنادها، وتوفير رعايتها، ولتعلموا أعزكم الله أنه ليس في نفوسنا شيء أعظم من همها، ولو مد الله لنا في الحياة لم نتوان في جهاد كفارها حتى نعيدها دار إيمان، ونحن الآن قد استودعناها الله وحسن نظركم فيها، فانظروا للمسلمين، وأجروا الشرائع على مناهجها، والله ولي أموركم وهو المستعان"[1].

1- ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 157.

الملحق رقم04 :

الورقتان: الأولى والأخيرة من موطأ ابن تومرت[1]





1- موطأ ابن تومرت، مخطوط رقم ج 840، الخزانة العامة، الرباط.

الملحق رقم 05:

الورقة الأولى من مصنف " **الترغيب في الصلاة** "[1] الذي أمر المنصور الموحدي بتأليفه وتوزيعه في مختلف الولايات، وهو يتضمن فتاوى فقهية نادرة لابن تومرت.



1- "الترغيب في الصلاة"، مخطوط رقم 4478، الخزانة الحسنية، الرباط.

الملحق رقم06:

مقتطف من رسالة طلبة إشبلية إلى المنصور الموحدي جواباً على وصول كتابه:

"... الطلبة الذين بإشبلية والكافة من أهلها، سلام طيب كريم ... وإنّ ما جمع للعبيد أمر دينهم ودنياهم وحواه، وقرن لهم بين عاجل الخير وآجله بذلك واستوفاه، الكتاب الكريم العزيز الواصل إليهم من مقر العلم ... لقد أشرقت بما تضمنه الأنوار الساطعة والآثار البينة الواضحة ... واستوى في معرفة صدق ما ألقاه من البراهين القاطعة للشك ... فيما اقتضته ألفاظه الصادعة بالحق ومعانيه... ولما وصل ... وانتهى إلى العبيد خبر وروده ووصوله، ألقي في روع كل منهم قبل سماعه أن خير الدنيا والآخرة حصل لهم في مضمنه ومحصوله ... تبادروا نحو سماعه للحين ... ثم لما استوعبوا سماع جميع ما تضمنه من الفصول ... إلى معرفة حقيقة دينهم من كتاب الله وسنة الرسّول؛ ولم يجعلوا لأحد ممن بلغ التكليف أو ناهزه في غير الاشتغال بدراسته من سبيل، وأخذوا بتحصيله كافة نسائهم وصبيانهم وإيمائهم ... فهم يتدارسونه بالأبرية والأفنية، ويتلى حق تلاوته ابتهاجاً به ... قد عمرت بدراسته المساجد والمحاضر ... وأعملت في انتساخ نسخته الأمدة والأقلام والمحابر، وتساوى في ذلك كله القريب والبعيد والبادي والحاضر، والله تبارك وتعالى يوفق العبيد لما فيه رضاه ورضى سيدنا ومولانا الإمام الخليفة أمير المؤمنين، ويحسن عونهم على شكر هذه النعمة الجسيمة التي أنعمو بها على عبيدهم..."[1].

1- أحمد عزاوي، رسائل موحدية، ج1، ص 208- 210.

الملحق رقم07:

أبرز أعلام قبيلة نفزة في العدوة الأندلسية على عهد الموحدين:

اسم العالم	موطنه	سنة وفاته	تخصصه
-أحمد بن حسن بن أحمد بن جعفر بن عات النفزي	-شاطبة	-588هـ	- له حظ من العلم
-أحمد بن علي بن عبد الرحمن أبو العباس النفزي	-شذونة	-610هـ	-الحديث- الأدب
-أحمد بن علي بن محمد أبو العباس النفزي	-مرسية	-كان حيا سنة613هـ	- الفقه- الحديث
-أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن العاصي النفزي.	- شاطبة	-من أهل القرن 6هـ	-مقرئ.
-أحمد بن هارون بن أحمد بن عات النفزي	-شاطبة	-609هـ	- الفقه- الحديث- الشعر – التراجم
-إبراهيم بن محمد بن خليفة النفزي	-دانية	-564هـ	-مقرئ
-إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيديس بن محمود النفزي.	- جيان	- 593هـ	- الفقه- الأدب
-عبد الغفور بن عبد الله بن محمد ابو القاسم النفزي.	-مرسية	- من أهل القرن 7هـ	– الفقه- الأدب
-عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن فتوح النفزي.	- شاطبة	- 642هـ	-الفقه-الحديث-الأدب.
-علي بن سليمان بن إبراهيم بن تبال الجواهري النفزي	-رندة	- 615 هـ	- الشعر – النثر
- محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مطرف بن ياسين النفزي	-شاطبة	- 590هـ	- الفقه- الأدب
- علي بن علي بن أحمد بن سليمان النفزي	- غرناطة	- 613هـ	-الفقه-الأدب.
- علي بن محمد بن أحمد بن نخل أبو الحسن النفزي.	- شاطبة	- 630هـ	-الفقه- الحديث
- عيسى بن عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد النفزي.	- تاكرنا	- 626هـ	-الأدب- الحديث

- صالح بن يزيد بن موسى بن علي النفزي.	- رندة	[illegible]	[illegible]
-محمد بن احمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد أبو الوليد النفزي	- شاطبة	- 616هـ	- الفقه – الحديث
- محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن سعادة النفزي.	- شاطبة	- 614هـ	- الفقه – الحديث – الأدب – النحو.
- محمد بن أحمد بن عبد الملك بن منخل بن مشرف أبو بكر النفزي.	- شاطبة	- 625هـ	- الأدب – النحو.
- محمد بن سليمان بن خلف أبو عبد الله النفزي.	- شاطبة	- 552هـ	- الفقه – الحديث
- محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص أبو عبد الله بن اللاية النفزي	- شاطبة	- من أهل القرن 7هـ	- الفقه – الحديث – النحو – الأدب.
- محمد بن عبد الملك بن منخل بن محمد بن مشرف أبو عبد الله النفزي	- شاطبة	- من أهل القرن 7هـ	- مقرئ
- محمد بن علي بن محمد أبو عبد الله النفزي.	- جيان	- من أهل القرن 6هـ	- الفقه.
- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف النفزي.	- غرناطة	- من أهل القرن 7هـ	- الأدب – النحو
- هارون بن احمد بن جعفر بن عات النفزي.	- شاطبة	- 582هـ	- الفقه – الحديث.



أبرز المدن الأندلسية التي انتسب إليها علماء البربر على عهد الموحدين.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

- **القرآن الكريم:**
- **صحيح مسلم**، مؤسسة المختار، القاهرة ط1 2005م
- **سنن النسائي**، تحقيق صدقي الجميل العطار، دار الفكر، دمشق ط1 2001م.

أ. **المصادر المخطوطة:**

1. ابن تومرت، **موطأ ابن تومرت**، مخطوط رقم 840ج، الخزانة العامة، الرباط.
2. ابن حيون، محمد بن علي الصقلي الأندلسي، **كتاب الجمان في أخبار الزمان**، مخطوط رقم 2614، المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، الجزائر.
3. المواعيني، أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة الإشبيلي (ت564هـ/1168م)، **ريحان الألباب وريعان الشباب في مراتب الآداب**، مخطوط رقم 1406 و2647، الخزانة الحسنية، الرباط، ونسخة المكتبة الوطنية في الجزائر رقم 5074م ج.
4. **الترغيب في الصلاة**، كتاب ألف بطلب من المنصور الموحدي، مخطوط رقم 4478، الخزانة الحسنية، الرباط.

ب. **المصادر المطبوعة:**

5. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت658هـ/1260م)، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبد السلام الهراس، دار المعرفة، المغرب(دت)
6. ابن الأبار القضاعي، **الحلة والسيراء**، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985م.
7. ابن الأبار القضاعي، **تحفة القادم**، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986م.
8. ابن الأبار القضاعي، **معجم أصحاب أبي علي الصدفي**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة، ط1، 1989م.

9.ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد ابن القاس
(ت668هـ/1269م) **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ضبط وتصحيح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

10. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس (ت560هـ/1165م)، **أنس المنهج وروض الفرج**، تحقيق الوافي نوحي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط1، 2007م.

11. الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م.

12. ابن بسام، أبو علي الشنتريني (ت542هـ/1148م)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

13. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1183م)، **الصلة في تاريخ علماء الأندلس**، اعتنى به ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2003م.

14. البونسي، أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن (ت651هـ/1253م) **كنز الكتاب ومنتخب الآداب**، تحقيق حياة قارة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2004م.

15. البيدق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (من أهل القرن 6هـ/12م)، **كتاب أخبار المهدي بن تومرت**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 1975م.

16. البيدق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971م.

17. التنبكتي، أحمد بابا (1036هـ/1626م)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيقي علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004م.

18. الجراوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام، (ت
تحقيق علي إبراهيم الكردي، دار سعد الدين، دمشق، ط1، 1994م.

19. **المستدرك على شعر أبي العباس الجراوي، مستخرج من مخطوط الأزاهر النضيرة وسنى الزواهر المنيرة في صلة المطمح والذخيرة لابن الفخار الرعيني** (ت666هـ/1267م)، تحقيق البشير التهامي ورشيد كناني، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب ط1 2005م.

20. ابن جلجل، أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسي(من أهل القرن 4هـ/10م)، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق فؤاد سيّد، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،2005م.

21. ابن حبيب، أبو مروان عبد الملك بن سليمان السلمي (ت238هـ/852م)، **رسالة إلى معلم ولده**، نشرها وعلق عليها سعيد أعراب، مجلة الثقافة المغربية، العدد 07، 1972م.

22. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (456هـ/1064م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، 1962م.

23. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1987م.

24. الحميدي، أبو عبد الله محمد الأزدي (488هـ/1095م)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.

25. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي (ت710هـ/1310م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

26. ابن حيّان، أبو مروان حيّان بن خلف (469هـ
الأندلس، نشر الأب ميشورم.أنطونية، بولس كنتر الكتبي، باريس 1937م.

27. ابن الخرّاط، أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي (ت582هـ/1186م)، **تلقين الوليد الصغير**، تحقيق أبي الفضل بدر العمراني الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

28. ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السّلماني (776هـ1374م)، **تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956م.

29. ابن الخطيب، لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ضبط وتقديم، يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

30. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (808هـ/1406م)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط ومراجعة خليل شحاتة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م.

31. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد شمي الدين(ت681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق يوسف علي الطويل ومريم قاسم الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

32. ابن خير، أبو بكر محمد بن خير بن عمر الأموي الأشبيلي (ت575هـ/1179م)، **فهرسة ابن خير الإشبيلي**، تحقيق محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

33. ابن دحية، أبو الخطاب محمد بن حسن الكلبي (ت633هـ/1235م)، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، ضبطه وقدم له صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2008م.

34. ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد
الخطابة، تحقيق محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1967م.

35. الرّصاع، أبو عبد الله محمد الأنصاري (894هـ/1488م)، **فهرس الرصّاع**، تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967م.

36. الرصافي، أبو عبد الله محمد بن غالب البلنسي (ت572هـ/1267م)، **ديوان الرصّافي**، جمعه وقدم له إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط2، 1983م.

37. الرعيني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الإشبيلي (ت666هـ/1267م)، **برنامج شيوخ الرعيني**، تحقيق إبراهيم شبوح، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962م.

38. ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي (ت708هـ/1308م)، **كتاب صلة الصلّة**، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، مطبعة فضالة، المغرب، 1993م.

39. الزجالي، أبو محمد عبد الله بن أحمد الزجالي الأندلسي (ق7هـ)، **تاريخ الأمثال والأزجال**، تحقيق محمد بن شريفة، منشورات وزارة الثقافة، المغرب، ط1، 2006م.

40. ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن أبي زرع الفاسي (كان حيا سنة726هـ/1326م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المكتبة الملكية، الرباط، ط2، 1999م.

41. الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي(يرجح أنه توفي سنة 932هـ/1525م)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق حسين اليعقوبي، المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1998م.

42. ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي
رجال التصوف، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2007م.

43. ابن سعيد الأندلسي، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1970م.

44. ابن سعيد الأندلسي، **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، القاهرة، ط2، (دت).

45. ابن سعيد الأندلسي، **المُغرب في حلى المَغرب**، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م.

46. السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد صدر الدين (ت576هـ/1180م)، **أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1979م.

47. السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت911هـ/1505م) **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2006م.

48. السيوطي، **تدريب الراوي**، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، طبعة دار السعادة، القاهرة، ط1، 1966م.

49. ابن صاحب الصلاة، أبو مروان عبد الملك بن محمد (كان حيا أواخر القرن 6هـ)، **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1964م.

50. صاعد، أبو القاسم بن أحمد بن صاعد الاندلسي (ت462هـ/1070م) **طبقات الأمم**، تحقيق، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط1 1998م.

51. صالح، أبو علي صالح بن عبد الحليم الإيلانـ
مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط2، 2008م.

52. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ/1362م)، **الوافي بالوفيات**، اعتنى به س. ديد رينغ فيبادن، ط2، 1974م.

53. ابن الصلاح، أبو عمرو تقي الدين عثمان(ت643هـ/1245م)، **مقدمة في علوم الحديث**، تحقيق نور الدين عتر، نشر المكتبة العلمية، دمشق ط3 1997م.

54. صفوان بن إدريس التجيبي المرسي(ت598هـ/1201م)، **زاد المسافر ومحيا الأدب السافر** ، تحقيق عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي بيروت 1980م.

55. الضبي، أبو جعفر أحمد بن يحي بن عميرة (ت599هـ/1203م)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تقديم ومراجعة صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2005م.

56. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/923م)، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1988م.

57. ابن ظافر، أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي جمال الدين (ت 613هـ/1216م)، **بدائع البدائه**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 1992م.

58. ابن عبد البر، أبو عبد الله بن محمد النمري (ت463هـ/1070م)، **القصد والأمم ويليه الإنباه على قبائل الرواه**، تحقيق محمد زينهم محمد وعائشة التهامي ومديحة الشرقاوي، مكتبة المدبولي، القاهرة، 1998م.

59. ابن عبدون، أبو عبد الله محمد بن أحمد التجيبي (من أهل القرن 6هـ/12م)، **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.

60. ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد المراك
البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمَغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد زنيبر ومحمد بن تاويت وعبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ودار الثقافة، المغرب، ط1، 1985م.

61. ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، الجزء الثاني، تحقيق ج.س. كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1980م.

62. العذري، أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلاء (ت 478هــ/988م)، **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك**، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1965م.

63. العزفي، أبو العباس أحمد (ت633هــ/1235م)، **دعامة اليقين في زعامة المتقين**، تحقيق أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، المغرب، 1989م.

64. ابن عسكر، أبو عبد الله محمد بن علي بن هارون الغساني(ت636هــ/1238م) وابن خميس، أبو بكر محمد بن محمد (كان حيا في القرن 7هــ/13م)، **أعلام مالقة**، تحقيق عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي، ودار الأمان، الرباط، ط1 1999م.

65. علماء بني عذرة **مكاتبات علماء بني عذرة لعبد الرحمن بن يخلفتن القرطبي يوصونه بأبنائهم في طلب العلم مرفقة بكتاب أدب الوصية من الآباء للأبناء**، جمع وتحقيق محمد بن عزوز، دار ابن حزم بيروت، ط1، 2003م.

66. الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله،(ت714هــ/1314م)، **عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق محمد بن أبي شنب، دار البصائر، الجزائر، ط1، 2007م.

67. ابن فرحون، أبوإسحاق إبراهين بن نور الدين **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق مامون بن محي الدين جنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1969م.

68. ابن الفرضي، أبو الوليد أبو عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت 403هـ/1012م)، **تأريخ علماء الأندلس**، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008م.

69. ابن الفرضي الأزدي، **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

70. ابن فضل الله العمري، أبو العباس أحمد بن يحي شهاب الدين، (ت749هـ/1348م)، **وصف إفريقية والمغرب والأندلس**، تحقيق حسن حسني، تونس، 1969م.

71. الفازازي، أبو زيد عبد الرحمان بن أبي سعيد يخلفتن، (ت627هـ/1229م)، **آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي**، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1994م.

72. القسطلي ابن درّاج، أبو عمر أحمد بن محمد، **ديوان ابن درّاج** ، تحقيق محمود علي مكي، المكتب الإسلامي دمشق، ط2، 1964 م.

73. ابن القاضي، أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي (ت960هـ/1552م)، **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والعراقة، الرباط، 1973م.

74. ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي بن محمد الكتامي (كان حيا سنة 646هـ/1248م)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م.

75. ابن القنفذ، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي
الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية، تونس، 1968م.

76. كتاب الدولة الموحدية، **رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، جمع وتحقيق ليفي بروفنسال، معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، 1941م.

77. كتاب الدولة الموحدية، **رسائل موحدية**، دراسة وتحقيق أحمد عزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ط1، 1995م.

78. ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (كان حيا أواخر القرن 6هـ/ 12م)، **تاريخ الأندلس**، تحقيق أحمد مختار العبادي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1971م.

79. مجهول، (من أهل القرن8هـ/14م)، **كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ط1، 1979م.

80. مجهول، (من العصر الموحدي)، **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين**، تحقيق أمبروسيو هويثي ميرندا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1961-1962م.

81. مجهول، (من أهل القرن 6هـ/12م)، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (دت).

82. المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي (ت 703هـ/ 1303م)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصل والصلة:**

- السفر الأول من قسمين، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، (دت).
- بقية السفر الرابع، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت (دت).
- السفر الخامس من قسمين، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت (دت).

- السفر السادس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقاف
- السفر الثامن من قسمين، تحقيق محمد بن شريفة، اكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1984م.

83. المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن علي (ت647هـ/1250م)، **المُعجب في تلخيص أخبار المَغرب**، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2006م.
84. ابن مغاور، أبو بكر عبد الرحمن بن محمد السلّمي الشاطبي (ت 587هـ/ 1191م)، **ابن مغاور الشاطبي حياته وآثاره**، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ط1، 1994م.
85. المقري، أبو العباس أحمد بن محمد شهاب الدين التلمساني (ت1041هـ/ 1631م)، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، ضبط وتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، المغرب (دت).
86. المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1968م (الطبعة الجديدة 2004م).
87. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين (ت 711هـ/ 1311م)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1997م.
88. النّباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي (من أهل القرن 8هـ/ 14م)، **تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م.
89. النّويري، أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد البكري (ت 732هـ/ 1331م)، **تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1984م.

90. اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن أبي يعقوب
البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م.

91. اليوسي، أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد (ت1102هـ/1690م)، **المحاضرات في الأدب واللغة**، تحقيق محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006م.

ثانيا المراجع العربية والمعربّة:

92. الأوسي، حكمة علي، **الأدب الأندلسي في عصر الموحدين**، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دت).

93. بعيون سهى، **إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الأندلس عصر ملوك الطوائف (422- 479هـ/ 1031- 1086م)**، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2008م.

94. بالنثيا أنخل جنثالث، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008م.

95. بن منصور عبد الوهاب، **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1968م.

96. بوتشيش إبراهيم القادري، **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2006م.

97. بوتشيش إبراهيم القادري، **مقالات في تاريخ الغرب الإسلامي خلال عصري المرابطين والموحدين**، مطبعة سجلماسة، المغرب، ط1، 2007م.

98. بورويبة رشيد، **ابن تومرت**، ترجمة عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

99. الحسين عبد الهادي أحمد، **مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي**، اللجنة المشتركة لإحياء التراث الإسلامي، المغرب، 1982م.

100. حقي محمد، **البربر في الأندلس، دراسة ل** **سقوط الخلافة الأموية** (92-422هـ/711-1031م)، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2001م.

101. ريبيرا خوليان، **التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة (دت).

102. السّلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد بن حمّاد الناصري الدرعي (ت1315هـ/1897م)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، اعتنى به محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007م.

103. ابن شريفة محمد، **كتابة التراجم في الغرب الإسلامي، بواعثها وأنماطها**، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، ط1، 2003م.

104. طالبي عمار، **آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع**، الجزائر، (دت).

105. طه عبد الواحد ذنون، **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م.

106. طه عبد الواحد ذنون، **نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م.

107. طويل مريم قاسم، **مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م.

108. عبد الحميد عيسى محمد، **تاريخ التعليم في الأندلس**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982م.

109. العريني يوسف، **الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين**، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض، ط1، 1995م.

110. علاء عبد الله، **الدولة الموحدية بالمغرب ف**
المعارف، القاهرة، ط1، 1971م

111. عنّان محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990م.

112. عيسى فوزي، **الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م.

113. فوزية كرراز، **دور المرأة في الغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري**، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 2006م.

114. القرقوطي، محمد الهادي محمد، **جهاد الموحدين في بلاد الأندلس**، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2005م.

115. الكتاني نور الهدى، **الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م.

116. الكساسبه رضا عبد الغني، **النثر الفني في عصر الموحدين وارتباطه بواقعهم الحضاري**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2004م.

117. الكعاك عثمان، **البربر**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 2003م.

118. مسعد سامية مصطفى، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية من إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين**، مكتبة الثقافة الريفية، القاهرة، ط1، 2003م.

119. المغراوي محمد، **الموحدون وأزمات المجتمع**، جذور للنشر، الرباط، ط1ن 2006م.

120. المنوني محمد، **حضارة الموحدين**، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1989م.

121. موسى عز الدين عمر، **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م.

122. مؤنس حسين، **فجر الأندلس**، دار المناهل والعصر الحديث، بيروت، ط1 2002 م.

123. ميراندا أمبروسيو هويثي، **التاريخ السياسي** ... الواحد أكميرّ، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2004م.

124. هونكة سيجريد، **شمس الله تشرق على الغرب**، ترجمة فؤاد حسنين علي، دار العلم العربي، القاهرة، ط1، 2008م.

رابعا: الأطروحات

125. بوباية عبد القادر، **البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، 300-422هـ/912-1031م**، رسالة دكتوراه غير منشورة، قدمت بقسم التاريخ، جامعة وهران، 2001- 2002م.

126. بوخاري عمر، **الإمارات البربرية الصغرى في جنوب الأندلس**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قدمت بقسم التاريخ، جامعة وهران، 2008- 2009م.

127. حاج عبد القادر يخلف، **الإسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي**، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت بكلية الحضارة والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2008-2009م.

128. الحسين لطيفة، **المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق**، لأبي العباس أحمد بن يحي بن عبد الواحد الونشريسي (دراسة وتحقيق)، رسالة لنيل دبلوم الدراسات الإسلامية العليا، غير منشورة، دار الحديث الحسنية، الرباط ، 1995- 1996م.

129. الديب صفية، **التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، غير منشورة، قدمت بكلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، الجزائر ، 2001- 2002م.

130. زيدور حميد، **البربر بين المعارضة والموالاة على عهد الإمارة الأموية بالأندلس**، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت بكلية الحضارة والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة وهران، مذكرة 2008-2009م،

131. سلطاني الجيلالي، **الشعر الديني على عهد ا**
العربي القديم، غير منشورة، قدمت بكلية الآداب اللغات والفنون سنة 2001–2002م.

132. العمراني محمد، **الموحدون في الأندلس، الوجود العسكري وعلاقة السلطة بالمجتمع** (541- 609هـ/1147- 1212م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قدمت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2002- 2003م.

133. غربي بغداد، **خطة الكتابة على عهد الموحدين**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قدمت بكلية الحضارة والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003- 2004م.

134. المغراوي محمد، **العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قدمت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2001- 2002م.

خامسا: المقالات

135. بن معمر محمد، **نظام القضاء في الأندلس الموحدية خلال القرن 6هـ/12م**، ضمن ملتقى دولي عن الحضارة الإسلامية بالأندلس في القرن 6هـ/12م، (أفريل 2007م)، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2008م.

136. بيرغل.ج ك، **ابن طفيل وكتابه حي بن يقظان، نقطة تحول في الكتابة الفلسفية العربية**، ترجمة مريم عابد الباقي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، ج2، 1999م.

137. بيرنيت تشالز، **حركة الترجمة من العربية في القرون الوسطى في إسبانيا**، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، ج2، 1999م.

138. رحمون الحسين العربي، **أدباء الأندلس، إس**
العربية (خلال القرنين 7 و8 الهجريين)، السجل العلمي لندوة الأندلس، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط1، 1996م.

139. سانشيز اكسبيراثيون غارثيا، **الزراعة في إسبانيا المسلمة**، ترجمة أكرم ذا النون، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، ج2، 1999م

140. فلتشر مادلين، **الأندلس وشمال إفريقيا في عقيدة الموحدين**، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، ج1، 1999م.

141. فيرنيه خوان، **العلوم الفيزيائية والطبيعية والتقنية في الأندلس**، ترجمة أكرم ذا النون، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى خضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، ج2 ، 1999م.

142. فيلالي عبد العزيز، **الطب والصيدلة في الأندلس في القرن 6هـ/ 12م**، ضمن ملتقى دولي حول الحضارة الإسلامية بالأندلس في القرن 6هـ/ 12م (أفريل 2007)، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر 2008م.

143. الكنساني أحمد بوزيد، **التأليف بالأمازيغية ببيليوغرافيا إنتقائية لمؤلفات أمازيغية بالحرف العربي في منطقة سوس**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، العدد 25، سنة 2005م.

144. المنوني محمد، **موطأ ابن تومرت**، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، العدد 1، السنة 17، ماي، 1976م.

145. هيرنانديس ميغيل كروز، **الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية**، ترجمة رشيد الحور، الحضارة العربية الإسلامية، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م.

سادسا: المراجع الأجنبية

146. Dominique Urvoy : Le Monde des Ulémas Andalous du V/XI^e au VII/ XIII^e siècle, librairie droz, Genève- 1978.

147. Dominique Urvoy : Pensée D'Al-Andalous, La Vie intellectuelle a Cordoue et seville au Temps des empires berbères (fin XI^e siècle- début XIII^e siècle)- édition du centre national de la recherche scientifique, Toulouse- 1990.

148. Gabriel Martinez- Gros : Identité Andalouse, sindbad- Grenade- 1997.

149. Mouloud Gaid : les berbères dans l'Histoire en Espagne Musulmane, édition, mimouni- Alger- 1996.

فهرس الموضوعات